ܒܝܬ ܡܪܕܘܬܐ

ܕܡܠܦܢܐ ܓܘܪܓܝܣ ܒܪ ܐܢܛܘܢ ܕܒܝܬ ܟܝܪܐܙ

Ex Libris

Beth Mardutho Library

The Malphono George Anton Kiraz Collection

ܟܠ ܐܢܫ ܕܫܐܠ ܠܗ ܠܟܬܒܐ ܗܢܐ ܡܢ ܒܬܪ ܐܩܪܐ
ܐܘ ܦܚܡ ܡܢܗ ܡܕܡ ܗܘܐ ܡܫܟܚܐ ܒܗ ܠܡܦܩܐ
ܘܢܘܟܪܝܐ ܡܢ ܒܢܝ ܡܠܟܐ ܘܣܦܪܐ ܕܢܫܩܘܠ ܐܘ
ܢܓܠ ܠܗ ܣܦܪܐ ܟܠ ܕܢܣܒ ܗܘܐ ܠܗ ܣܦܪܐ ܒܢܓܠ
ܢܦܪܘܥ ܕܝܢܐ ܕܢܦܩ ܠܗ ܠܕܘܟܬܗ ܀

Anyone who asks for this volume, to read, collate, or copy from it, and who appropriates it to himself or herself, or cuts anything out of it, should realize that (s)he will have to give answer before God's awesome tribunal as if (s)he had robbed a sanctuary. Let such a person be held anathema and receive no forgiveness until the book is returned. So be it, Amen! And anyone who removes these anathemas, digitally or otherwise, shall himself receive them in double.

كتاب

الفصول الانسيّة في التواريخ القدسيّة

تاليف احد مشاهير العلماء الفرنساويّين يُقال له بيليز ،
وقد استخرجهُ عن اصلهِ الفرنساويّ الى اللغة العربيّة

السيّد

المطران جرجس عبد يشوع الموصليّ الكلداني

طبعة ثالثة

طُبع في الموصل

في دير الآباء الدومنكيّين

سنة ١٨٩٣

اثبت على ما تعلّمت وايقنت . فقد علمت ممّن تعلّمت
وبانّك من صبائك تعرف الاسفار المقدّسة التي تقدر ان
تحكّمك للخلاص بالايمان الذي بيسوع المسيح * انّ كلّ
كتاب قد أُوحي بهِ من قِبل الله مفيدٌ للتعليم والتوبيخ
والتقويم والتاديب الذي في البرّ. لكي يكون رجل الله كاملاً
مستعدًّا لكلّ عملٍ صالحٍ *

(٢ طيمثاوس ٣ : ١٤)

فاتحة

الحمد لله الذى جعل الاوّلين عبرةً للمتاخّرين . واخبار الاولياء والصلحاء موعظةً للمتعظين . واودع في خزانة الكتب المنزَلة وحْيًا لا ريب فيهِ هدىً للمومنين . يستغنى بهِ عن الاساطير المطوّلة علمًا بتثقيف الاخلاق وحسن الآداب واصلاح امرَيْ الدنيا والدين . فضلاً عن الاحاطة باقدم التواريخ وتقلّبات احوال الامم ولاسيّما امّة اسرائيل بقضاء امين . حتّى كان انجاز النبوّات والرموز بظهور فادي العالم السيّد المسيح في ميقاتٍ معيّن وآمَن حين * سبحانهُ هو الذي دعا الناس من الاضاليل الى الهُدى . ومن الظلّ الى الحقيقة بصوت انجيلهِ الطاهر الثمين *

امّا بعد فيقول مستخرج هذا الكتاب . المستعين بعون ربّهِ الوهّاب . افقر مطارين الكلدان . جرجس عبد يشوع رقيق الرحمان . اني لمّا شاهدتُ شوق اهل موطني ولغتي الى فنون العلوم . وغمّني احتياجهم الى مختصَر في التواريخ المقدّسة بعموم الفائدة موسوم . اجلتُ طرْفي في مكاتب العلماء المعدودين . فانتقيتُ من المؤلّفات باللغة الفرنساويّة ما على المقصود يعين . فحلّيتهُ بحلّة العربيّة المأنوسة . واتحفتُ بهِ عامّة هذه البلاد المحروسة . ولقّبتهُ بالفصول الانسيّة . في التواريخ القدسيّة * عسى أن يثمر تعبي هذا القصير .

ما ينتفع بهِ الكبير. فضلاً عن الصغير * فهذا يستقي منهُ غذآء اللبن النقيّ وهو في مهد المدارس. وهذا يجني بهِ في عراك الدنيا والهوى والوساوس. اذ كانت الحوادث الاثيريّة الشرعيّة هي القانون القويم للاعمال البشريّة والاخلاق الادبيّة * ومن الله ارجو التسهيل. والامداد الجميل * واليهِ في ذلك اتوسّل. وعليهِ اتوكّل. آمين *

نبذة

في جغرافية التواريخ المقدّسة

لا شكّ انّ منشأ العالم كان في القطعة العظيمة من الارض التي يقال لها اسيّا * ومن بعد الطوفان فالمشهور انّ الفُلك التي كانت حاملةً بقيّة الجنس البشريّ استقرّت على جبل اراراط في ارمنيّة (وقيل بل على جبل جودي). وانّ اولاد نوح عليهِ السلام بنوا برج بابل في سنعار بين الدجلة والفرات. وأنَّ الآبآء الاوّلين سكنوا في ما بين النهرين وارام الشام. وبعد الخروج من مصر اقاموا في ارض كنعان *

اعلم انّ بلاد اليهوديَّة موقعها في اسيَّا وهي المدعوّة في اوّل الامر ارض كنعان. لانّ اوّل مَن عَمَّرها بعد الطوفان الكنعانيّون اولاد كنعان بن حام. ثمَّ سُمّيت ارض الميعاد وارض اسرائيل. وبعد الرجوع من السبي اشتهرت باسم اليهوديّة * وكان اليونان والروم يسمّونها فِلَسطين والفلسطينيّة نسبةً الى قبائل الفِلَسطينيّين التي سكنت سواحل تلك البلاد فصار لها مخالطة مع اولئك الامم * وفي عهد النصرانيّة سُمّيت

ايضًا الارض المقدّسة اعتبارًا لذكر المخلّص القدّوس الذي فيها وُلد وعاش وسكن وتُوفّي وانبعث حيًا *

وكانت فِلسطين تُحَدّ شمالاً بارض الشام التي يقال لها في الكتاب ارام دمشق وقسمٍ من فونيقيّة[1] . وغربًا ببحر الروم ويقال لهُ في الكتاب البحر الكبير. وجنوبًا وشرقًا ببادية العرب * وكان من القبائل التي تسكن الحدود بين بادية العرب والارض المقدّسة العمالقةُ والادوميّون والمديانيّون والموابيّون والعمّونيّون * امّا في عهد داود وسليمان عليهما السلام فكانت هذه الحدود قد امتدّت جنوبًا الى البحر الاحمر الذي يُقال لهُ ايضًا بحر سوف وشرقًا الى الفرات . ثمّ قلّت شيئًا فشيئًا حتّى اقتُصِرت على نحو ما كانت عليهِ اوّلاً *

وطولها كان من دان (وهي مدينة موقعها اليوم موضع يقال لهُ تلّ القاضي) شمالاً الى بير سبع جنوبًا زهاء اثنين وعشرين فرسخًا . وعرضها ما بين خمسة وستّة عَشَر على اختلاف اتّساعها وضيقها . ومساحتها لم تكن تتجاوز الثلثماية والثلاثة

(١) اعلم انّ فونيقيّة ويقال لها فونيقي ايضًا هي البقعة الواقعة بين الطنطورة الى جنوبيّ راس الكرمل وبين النهر الكبير الى شماليّ طرابلس . نصّ على ذلك بطلميوس المصريّ في جغرافيّتهِ *

والثلاثين فرسخًا مربعًا . ومع ذلك ففي غاية زهوها وسعودها لم يكن يُعدّ فيها اكثر من خمسة آلاف الف نفس من الذكور *

واما جبالها فنحو الشمال سلسلة جبالٍ تنقسم الى شعبتين متقابلتين فُوَيق فِلَسطين . وهما لبنان ومقابل لبنان (وهو المعروف عند المتأخّرين بالجبل الشرقيّ) وهو الذي بهِ يتّصل جبل حرمون (وهو المعروف اليوم بجبل الشيخ) وقد سمّاهُ ابو الفداء المؤرّخ العربيّ الشهير جبل سنير وجبل الثلج . ويردفها جبل جلعاد (ويُقال لهُ جبل الصَّلْت) وجبال اباريم وعجلون . وجبل البلقاء . وجبال مواب (او جبال قوم لوط) . وجميع هذه الجبال هي شرقيّ الاردنّ * واما في غربيهِ فتمتدّ كتتمّة جبال لبنان سلسلةٌ اليها يُنسَب جبل تابور . ثمّ جبل الكرمل وجبل افرايم . ومن شُعَبهِ جبال جلبوع وغَرِزّيم وشيلو * ومن اشهر الجبال المنفردة جبل الزيتون الواقع على مسافة ربع ساعة عن اورشليم * وهذه الجبال الكثيرة المخترقة هذه الارض جعلت فيها اوديةً شتّى . اشهرها وادي قدرون ووادي يهوشافاط *

وقد ذكرنا آنفًا انّ بحر الروم (وهو المعروف بالمتوسّط وبالبحر الابيض وبحر الشام ايضًا) يحدّ بلاد فلسطين غربًا * فنقول انّ بحر الروم كان لهُ عند اليهود اسمآء مختلفة اشهرها

البحر الكبير * واما المياه الباطنية فمنها بُحَيْرة جنّاشار التي يقال لها ايضًا بحر الجليل وبحر طبرية * ومنها البحيرة المنتنة وهي البحر الميّت . ومياهها مرّة جدًّا ثقيلة يغرق فيها ما يعوم في غيرها . ويُظَنّ انها تغطّي ارض سدوم وعمورة وصَبوإيم المدن التي انقلبت بنارٍ وكبريت كما ذُكر في التوراة * واما الاردنّ فهو وحدهُ في فلسطين نهرٌ معتبر . وهو ينحدر من جبل حرمون وقد اجتمع من مياه انهر ونُهَيرات كثيرة . ويجري ببحيرة جناشار ثمّ يصبّ في البحيرة المنتنة *

انّ في الكتاب المقدّس وصفًا بليغًا عن جودة تربة بلاد كنعان وخصبها العجيب . على أَنّ سهولها كانت اريضةً جدًّا وغنيّة باصناف الحبوب . وجبالها مزيّنة بانواع الشجر والنبات * وكان من حواصلها الوافرة الكَرْم والزيتون وسائر الفواكه والبقول وكثير من العقاقير العطريّة *

واعلم انّ الاسرائيليّين يوم دخلوا ارض الميعاد وجدوا فيها شعوبًا متفرّقة يسكنونها ويُعرَفون جميعًا على وجه الاجمال باسم الكنعانيّين . لانّ اصلهم كافّةً من كنعان حفيد نوح . وبعد تملّكهم قُسمت اراضيها بين اسباط اسرائيل الاثني عشر * وفي مُلْك رحبعام بن سليمن خرجت عليهِ عشرة أَسباط . وانشأوا

مملكة اسرائيل. فاقتصرت مملكة يهوذا على السبطين الباقيين. وثبت كرسيها في اورشليم * واما مملكة اسرائيل فكان سريرها تارةً في شخيم. وتارةً في ترصة والسامرة * وعند انقراض مملكتيْ اسرائيل ويهوذا زال نظام قسمة الأَسباط * وبعد رجوعهم من السبي زالت التقسيمات الاولى عن نظام جديد. فصارت فلسطين مشتملة على اربع كُوَر اصلية. وهي اليهوديّة والسامرة والجليل وبيريّة *

ومن اعظم مدن اليهوديّة كانت اورشليم. وكان يقال لها قبلاً يابوس. والجلجال ويقال لها اليوم جلجولة. واريحا وهي المعروفة بمدينة النخل في كتب موسى النبيّ. وغاي التي افتتحها يشوع بن نون. وبيت ايل. وجبعون. وهذه كانت في حدود السامرة. والرامة بلدة سموئيل. ومصفا. وزين. وحبرون وهي المعروفة اليوم بالخليل. وبيت لحم بلدة داود الملك عليهِ السلام ومولد السيّد المسيح لهُ المجد *

واما مُدن السَّامرة فاشهرها شخيم التي يقال لها نابلس وموقعها بين جبل عيبال وجبل غرزّيم. والسامرة ويقال لها سَبَسْطيّة *

ومن مدن الجليل كفرناحوم الشهيرة بآيات السيّد

يسوع المسيح الكثيرة المصنوعة فيها . وبيت صيدا . وعيندور . ونائين . والناصرة . وهي التي عاشت فيها السيّدة مريم البتول عليها السلام. وقانا وهي التي صنع فيها سيّدنا المسيح بكر معجزاتهِ . وسونام . ويزراعيل *

ومن مدن بيريّة لسّا وكليروم . وسكُّوث . وراموث جلعاد *

ثمَّ انَّ بلاد اليهوديّة في عهد أَوْغُسْطس قيصر وخلفآئهِ اصابها تقلّبات شتّى . وقُسِمت الى اقسام متعدّدة . ونُصِب عليها حُكّام من سلالة هيرودس . وكانوا يسمّون رؤَسآءَ الامم او رؤَسآء الرُّبع . اذ كان كلٌّ منهم متوليّاً على واحدٍ من اربعة أَرباع اليهوديّة * وبعض اقسام اليهوديّة أُضيف الى ولاية الشام التي كان يسوسها العُمَّال الروميّون * وصيّر اقلوديوس ولاية اغريبا مقاطعةً روميّة . ونصب عاملها سريرهُ في قيصريّة فلسطين على شاطئ البحر *

التواريخ المقدّسة

المقدّمة

انّ التواريخ المقدّسة هي اخبار شعب الله واخبار الديانة المسيحيّة على حدٍّ سوى من قبيل استعدادها السابق وتاسيسها اللاحق * لانّهُ فيها تُذكَر بالتفصيل اخبار العبرانيّين وهم بنو اسرائيل او هم اليهود. والحوادث العجيبة التي اعدّت اساس تلك الديانة التي ابتدأَت مع العالم. ونمت في سياق الازمنة الى عهد ولادة المخلّص. وكان تمام ظهورها في الانجيل * وفي هذه التواريخ نعاين مجيء يسوع المسيح مبشَّرًا بهِ الرحمانُ بعقب سقطة الانسان الاوّل. ومشارًا اليهِ باشارات ورموز واضحة لا تُحصَى ومصوَّرًا في نبوّات الانبياء * وفي هذه التواريخ فقط دون غيرها كافّةً نرتقي الى معرفة اصل الاشياء. ونقف على احاديث القرون السالفة الاولى وهي تقاليد مستندة على اصحّ الشهادات * فجميع اخبار هذه التواريخ متضمَّنة في أَسفار العهد العتيق اي في الكتاب الجليل العجيب الذي لو لم يكن منزلاً

لحسبناه اجلّ مؤلَّفٍ بشريٍّ على الاطلاق ولامثيل لهُ في العالم باعتراف كلّ خبير * وامّا كتاب العهد الجديد فهو بمنزلة تتمّة العهد القديم وتذييلهِ . ويشتمل خصوصًا على سيرة السيّد يسوع المسيح وعلى احكام الديانة المسيحيّة(١) *

(١) اعلم انّ الكتب المنزلة كلّها قسمان كما رايت . اي العهد العتيق والعهد الجديد . وقد يقال بالاستعارة للعهد العتيق كلّهِ التورية . وللعهد الجديد الانجيل * وامّا جملة الاسفار المقدّسة المحتوي عليها العهد العتيق فهي خمسة اسفار موسى واسفار يشوع والقضاة وراعوث وشموئيل الاوّل والثاني والملوك الاوّل والثاني وعزرا ونحميا وطوبيا ويهوديث واستير وايوب والمزامير والامثال والجامعة ونشيد الانشاد والحكمة وابن سيراخ والانبياء الاربعة الكبار وباروخ والانبياء الاثني عشر الصغار والمقابيين الاوّل والثاني * وامّا العهد الجديد فيشتمل على الاناجيل الاربعة . وهي لمتّى ومرقس ولوقا ويوحنّا . وقصص الرسل . ورسالات بولس الرسول الاربع عشرة . والرسالات الكاثليقيّة . وهي رسالة يعقوب ورسالتا بطرس ورسالات يوحنّا ورسالة يهوذا . والجليان اي رويا يوحنّا * هذه هي الكتب المقدّسة المنزلة الموحى بها في البيعة المقدّسة الكاثليقيّة الرسليّة الرومانيّة وهي التي تسلّمتها كوديعة ثمينة وتفسّر معانيها لبنيها بالهام روح القدس مرشدها الامين * فمن رفض بعض هذه الاسفار او حرّفها او زاد عليها فهو من الضالّين الخابطين خبط العشواء . كما تفعل من الجملة فِرَق البروتستنت في النسخ المطبوعة عندهم محرّفة ومحذوفًا منها في مواضع شتّى * (للمستخرج) *

ملك على اسرائيل الى انقضاءِ جلآءِ بابل * والسادسة من الرجوع من بابل الى ولادة المسيح * والسابعة من ولادة المسيح الى خراب اورشليم وتبدُّد اليهود *

الفصل الاوّل

الخليقة — قصّة آدم وحوّآء — الفردوس الارضيّ — تجاوز الانسان الأول — طَرْد آدم وحوّآء من الفردوس — قصّة قايين وهابيل — وشيت ونسلهِ

(سنة ١ للخليقة وهي سنة ٤٠٠٤ قبل المسيح) — إنّ الارض التي نحن فيها . والشمس التي نستضيءُ بها . والكواكب اللامعة في جَلَد السمآءِ . هذه كلّها لم تكن دائمًا * وقبلما خُلقت ذوات الحيوة الماشية على سطح الارض وسائر ما هو موجودٌ وواقع تحت النظر اوّلاً . لم يكن في الوجود الاّ الله وحدهُ . لانّهُ ازليٌّ قديمٌ سرمديٌّ ابديٌّ عديم البدءِ والنهاية * فالله ابدَعَ العالم وما فيهِ قاطبةً من العدَم بمجرّد كلمتهِ . وجآءَ في التوراة انّ هذا العمل انقضى في ستّة ايّام * قال موسى في سفر التكوين : في

البدء خلق الله السمآء والارض * غير انّ هذه الارض كانت خاوية خالية اي كانت، من وجهٍ ما مادّة مُبَلْبَلَةً غائصةً كلّها في المياه ومحوّطة بالظُلمات * ففي اليوم الاوّل قال الله: ليكن النور. فكان النور. وفي الحال زالت الظلمة. ولم ترجع الى الظهور الاّ مع الليلة الاولى * وفي اليوم الثاني خلق الجلد وسمّاهُ سمآء * وفي اليوم الثالث اجتمعت المياه المتفرّقة في النواحي. وتكوّنت منها الخلجان والابحر. وظهرت الارض يابسةً بهيئة جزائر وبرار. وتزيّنت بأجناسٍ شتّى من الشجر والنبات بمقدار لا يُحصى. وكلّ نبتٍ بزرهُ معهُ * وفي اليوم الرابع خلق الله الشمس والقمر والكواكب. ولمعت قبّة السمآء بضيآء النجوم التي بعضها فوّض اليها امر النهار وبعضها امر الليل لضبط الازمنة والفصُول والاشهر والسنين بحركاتها المختلفة * وفي اليوم الخامس امتلأَت المياه سمكًا باجناسهِ. والجوُّ طيورًا * وفي اليوم السادس أُعطيت الارض ايضًا سُكّانها من البهائم والحَشَرات والدوابّ والهَوامّ * وبعد ان امتلأَت الارض من كلّ جنس من الحيوان رأى الله ان يُقيم عليها رئيسًا. فقال: هلمّ نصنعْ انسانًا على صورتنا ومثالنا. لكي يستولي على اسماك البحر وطيور السمآء وبهائم الارض * فجبل الانسان من طين الارض. واعطاهُ نسمة الحيوة.

وسمّاهُ آدم * وفي اليوم السابع كان خِتامُ الخَلقْ . وفيهِ فرَغَ الله من عَمَلهِ . ومن ثمَّ جُعل اليوم السابع من الاسبوع للراحة والصلوة *

قلنا انَّهُ تعالى بعد ان جبل الانسان من طين الارض احياهُ بنسمتهِ الالهيّة . اي اعطاهُ نفسًا من شانها ان تعرف خالقها وتحبهُ . غير انَّ آدم لم يكن جديرًا بهِ أن يمكث وحدهُ على الارض . بل كان ينبغي لهُ قرين * فاوقع الله على آدم سبات نومٍ . واخذ ضلعًا من اضلاعهِ وهو نائم . وصوَّر منها المرأة . فاستيقظ آدم واذا الى جانبهِ الزوجة التي اعطاهُ الله ايَّاها . هذه هي حوَّآء امّ الجنس البشريّ * وأُسكنَ آدمُ وحوَّآء في جنَّة عدن وهي المعروفة بالفردوس الارضيّ * وكان هذا المقام مشتملاً على جميع عجائب الخليقة . فكان نهر زلال يجري في رياضهِ . وبقاعهُ مزيَّنة بكلّ نوع من الاشجار والزهور * ثمَّ انَّ الله اراد ان يمتحن طاعة المرء الاوَّل . فاباح لهُ ان ياكل حسب هواهُ من كلّ ما كان تحت نَظرهِ . واستثنى من ذلك شيئًا واحدًا وهو شجرة معرفة الخير والشرّ . نهاهُ الله عن التناول من ثمرها قائلاً لهُ : ان انت ذقتَ منها فموتًا تموت * فلو لبث آدم وحوَّآء خاضعين بالطاعة لخالقهما . لعاشا في السعادة

البدء خلق الله السمآء والارض * غير انّ هذه الارض كانت خاوية خالية اي كانت من وجه ما مادّة مبلبلة غائصة كلّها في المياه ومحوّطة بالظُلمات * ففي اليوم الاوّل قال الله: ليكن النور. فكان النور. وفي الحال زالت الظلمة. ولم ترجع الى الظهور الاّ مع الليلة الاولى * وفي اليوم الثاني خلق الجَلَد وسمّاهُ سمآء * وفي اليوم الثالث اجتمعت المياه المتفرّقة في النواحي. وتكوّنت منها الخلجان والابحر. وظهرت الارض يابسةً بهيئة جزائر وبرار. وتزيّنت بأجناسٍ شتّى من الشجر والنبات بمقدار لا يُحصَى. وكلّ نبتٍ بزرهُ معهُ * وفي اليوم الرابع خلق الله الشمس والقمر والكواكب. ولمعت قبّة السمآء بضيآء النجوم التي بعضها فوّض اليها امر النهار وبعضها امر الليل لضبط الازمنة والفُصول والاشهر والسنين بحركاتها المختلفة * وفي اليوم الخامس امتلأَت المياه سمكًا باجناسهِ. والجوُّ طيورًا * وفي اليوم السادس أُعطيت الارض ايضًا سُكّانها من البهائم والحَشَرات والدوابّ والهَوامّ * وبعد ان امتلأَت الارض من كلّ جنس من الحيوان رأى الله ان يُقيم عليها رئيسًا. فقال: هلُمَّ نصنعْ انسانًا على صورتنا ومثالنا. لكي يستولي على اسماك البحر وطيور السمآء وبهائم الارض * فجبل الانسان من طين الارض. واعطاهُ نسمة الحيوة.

وسمّاهُ آدم * وفي اليوم السابع كان خِتامُ الخَلقْ . وفيهِ فَرَغَ الله من عَمَلهِ . ومن ثمّ جُعل اليوم السابع من الاسبوع للراحة والصلوة *

قلنا انهُّ تعالى بعد ان جبل الانسان من طين الارض احياهُ بنسمتهِ الالهيّة . اي اعطاهُ نفسًا من شانها ان تعرف خالقها وتحبّهُ . غير انّ آدم لم يكن جديرًا بهِ أن يمكث وحدهُ على الارض . بل كان ينبغي لهُ قرين * فاوقع الله على آدم سبات نومٍ . واخذ ضلعًا من اضلاعهِ وهو نائم . وصوّر منها المرأة . فاستيقظ آدم واذا الى جانبهِ الزوجة التي اعطاهُ الله ايّاها . هذه هي حوّآء امّ الجنس البشريّ * وأُسكنَ آدمُ وحوّآء في جَنّة عدن وهي المعروفة بالفردوس الارضيّ * وكان هذا المقام مشتملًا على جميع عجائب الخليقة . فكان نهر زلال يجري في رياضهِ . وبقاعهُ مزيّنة بكلّ نوع من الاشجار والزهور * ثمّ انّ الله اراد ان يمتحن طاعة المرء الاوّل . فاباح لهُ ان ياكل حسب هواهُ من كلّ ما كان تحت نَظرهِ . واستثنى من ذلك شيئًا واحدًا وهو شجرة معرفة الخير والشرّ . نهاهُ الله عن التناول من ثمرها قائلًا لهُ : ان انت ذقتَ منها فموتًا تموت * فلو لبث آدم وحوّآء خاضعين بالطاعة لخالقهما . لعاشا في السعادة

والخلود * ولكنّ الشيطان الذي كان قد سقط بكبريائهِ وصار يحسد الانسان علي سعادتهِ. خَطر لهُ ان يتلف ذرّيتهُ الآتية بعين اصلها. فتردّى شكل الحيّة. وكانت الحيّة اخبث سائر الحيوان * فأقبل الى حوّآء بزيّ الحيّة وقال لها: ما بال اللهِ نهاكما عن الاكل من أثمار كلّ اشجار الفردوس * قالت المرأة: اننّا لنا ان ناكل من ثمر الاشجار التي في الفردوس. غير أنّ الله قد امرنا ان لا نمسّ الشجرة التي في وسط الفردوس مسّاً ولا ناكل من ثمرها. فانْ اطَعنْا والاّ وقعنا في حكم الموت * قالت الحيّة: لا شكّ انّكما لن تموتا. وانّما علمُ الله انكّما ساعة تاكلان من هذه الثمرة تصيران شبيهين بالاله تعرفان الخير والشرّ *

فأُطغيت حوّآء بمواعيد الروح المجرّب الخبيث * ودنت من الشجرة المنهيّ عنها. وجنت منها ثمرةً واحدةً وذاقت. وعرضت على زوجها فاكل هو ايضًا. فلم يلبثا وهما في كسر الوصيّة الاّ وشعرا بجسامة خطيّتها. وامتلأت قلوبهما رعبًا * أمّا آدم فلهيبتهِ من حضرة الله فرّ مختفيًا في المواضع البعيدة رجآء ان ينجو بذلك من الغضب السماويّ. واذا بصوت من الله مرعب لَحِقَ بأثرهِ في اقصى منفردهِ يقول: يا آدم اين

انت * قال : انّي خشيتُ ملقاك فاختفيتُ * قال الله : وأنَّى لك الخوف الاّ أنّك مسّيت ثمرة الشجرة التي نهيتك عن أكلها * قال آدم : انّ المرأة التي اعطيتنيها زوجةً هي قدّمت لي من ثمرة هذه الشجرة فاكلتُ * ثمّ حاكم الله حوّاء . فأوقعت الذنب على الحيّة . واحتجّت بانّ الحيّة استهوتها بخبثها وتزويق كلامها * ثمّ قال الله في شان الحيّة : لتكن الحيّة ملعونةً ابدًا بين جميع الحيوانات على انّها غرّت المرأة الاولى واغوتها . ولتكن من الآن فصاعدًا تزحف على بطنها وتاكل التراب . ولتبدُ بينها وبين المرأة عداوةٌ شديدةٌ . وقال الله : سياتي يومٌ فيهِ تنتصر المرأة عليكِ بنسلها اي انّ احد اولاد المرأة سيسحق راسكِ * قال الله هذه الاقوال الشريفة منبئًا لجنس البشر بالفادي الذي كان عتيدًا ان يقيمهُ من سقطتهِ . ثمّ قال لحوّاء : انّ معصيتكِ ستورثكِ جميع البلايا . وستلدين بالانين والمخاض . وتكونين تحت سطوة زوجكِ . فيتسلّط هو عليكِ * وقال لآدم : لانّك استهنت بوصيّتي فلتكن الارض ملعونة بين يديك . ولتكن عليك عاصية وتخيّب اتعابك . فلا تنبتنّ لك سوى الشوك والحسك . فتحرثها بعرق جبهتك لتحصّل منها قوتك حتّى ساعة موتك . الى أن ترجع الى الارض التي أُخذتَ منها .

لانّك تراب والى التراب تعود * فانظر كيف ابوانا الاوّلان لعصيانهما الجسيم تعرّيا ابدًا من موهبتهما الجليلة اعني الخلود وعدم الموت. فصارا في الحال عُرضةً لجميع الاوجاع والامراض البشريّة والتعب والموت * وبكى آدم وحوّآء بانتحابٍ مرٍّ تأسُّفًا وتندُّمًا على جريمتهما هذه التي شملت بعواقبها النجسة ذرّيّتهما باسرها * وكما صارا اوّل مثال للخطيئة. كذلك اضحيا اوّل قدوة للندامة والتوبة والحزن * غير انّ حزنهما كان يلين بتذكر وعدٍ كان يلطّف شدّة عقوبتهما. وذلك انّهُ تعالى عند ما ونّبهما على خطيّتهما عاهدهما بانّ نسل المرأة يسحق راس الحيّة. وبذلك اثار في قلوبهما رجآءً بغفران بعيد المدى. ويراد بذلك الزمان الذي فيهِ كان المخلّص عتيدًا ان يُولَد ويصمي الشيطان بسهام موتهِ *

(سنة ١٨٢ للعالم وسنة ٣٨٧٦ ق م) — انّهُ بعد ما اطلق الله حكمهُ الذي لا يُستأنَف على آدم وحوّآء طردهما من جنّة عدن. واقام على مدخلها ملاكًا مسلّحًا بسيفٍ من نار ليمنعهما من الدخول ايضًا * وعاشا بعد ذلك عدّة سنين كثيرة * وكان اسم ابنيهما الاوّلين قايين وهابيل. وكان قايين البكر وكان فلّاحًا. وهابيل راعي غنم. وكلاهما كان يقرّب قرابين للربّ * فكان قايين يقرّب

من اثمار الارض وليس من احسن الأثمار ولا من اشهاها • وهابيل كان يقرّب أبكار قطعانهِ منتخبًا منها ما كان اكثر بياضًا وسمنًا * فنظر الربّ بعين القبول الى هابيل وهداياهُ. وانف من قرابين قايين * فامتلأ قايين غضبًا . واذابهُ الحسد حتّى عزم ان ياتي بكبيرة فظيعة * فاراد الله ان يردّهُ عن ذلك . فقال لهُ : يا قايين ما بال الغضب مستحوذًا عليك . وعلى مَ يظهر عبوس عظيم في وجهك . أَوَلا تعلم انّك ان تفعل الخير فلك الثواب . وان تفعل الشرّ تحمل العقاب * فلم يلِنْ بهذه الكلمات قلب قايين البتّة. بل استمرّ في قيد البغضآء والحقد على هابيل اخيهِ . وكان يتطلّبُ فرصةً ليبرّد غليلهُ بالانتقام * فبينما هما ذاتَ يوم يتمشّيان خارجًا في القفار . اذ وثب قايين على اخيهِ واغتالهُ وقتلهُ * فالتبستهُ الرعبة من جرى صنيعهِ هذا . وفرَّ هاربًا . ولكنّ صوت الربّ العظيم لحق باثرهِ وقال لهُ : أَقايين أَين اخوكَ هابيل • قال : لا ادري . افَلَعَلّي رقيبٌ لاخي * قال الربّ : ها انّ دم اخيك هابيل صعد اليّ وصاح يطلب انتقامًا . فلتكن الارض المضرّجة بدمهِ عدوّةً لك منذ اليوم . فتحرثها زمانًا طويلًا وجبهتك تقطر العرق وهي لا تزال جدبآء * ولأَطبعنّ على جبهتك سِمةً لا تُمحَى .

بها يعرفك كلّ احدٍ دائمًا. وذلك احترازًا من نهاية تعجيل قصاصك *

اعلم انّ الآباء القدّيسين لاحظوا في موت هابيل رمزًا الى موت يسوع المسيح *

وانّ قايين بعد ان يئس من حياتهِ. اعتزل عن عشيرتهِ وتاه زمانًا على وجههِ في الارض. وشاد مدينةً لتكون لهُ ملجاً من عدوان البشر * وكان من ذرّيتهِ اوّل من استنبط بعض الصنائع النافعة * من ذلك يوبال. فانّهُ استنبط آلات الطَّرَب. وتوبلقايين اخترع حرفة اصطناع النحاس والحديد بأَصنافهما *

ثمّ انّ آدم وُلد لهُ ابنٌ ثالثٌ ودُعِي اسمهُ شيتًا * وهذا شيت بقيت ذرّيتهُ قانتةً طائعة لله. وامّا بقيّة الآباء جدود الاجيال التالية فهم انوش. وقينان. ومهللائيل. ويارد. واخنوخ البارّ. الذي بآيةٍ الهيّة خُطف من الدنيا. لانّها لم تكن اهلاً لان تحويهُ. ومتوشالح الذي اختصّهُ الله بعمرٍ اطول من غيرهِ. ولامك ونوح *

الفصل الثاني

فساد البشر — نوح — ابتناء الفلك — الطوفان — اولاد نوح — برج بابل — تشتيت القبائل — الدُول الاولى

(سنة ١٥٥٦ للعالم وسنة ٢٤٤٨ قبل المسيح) — انَّ بني شيت المعروفين باولاد الله بعد ان اختلطوا بالتصاهر مع ذرّيّة قايين. الذرّيّة التي تسمَّى في التوراة اولاد البشر. داخلهم الفساد. وتكاثرت فيهم الآثام والقبائح على الارض. حتى اوشك الضلال ان يعمّ الارض كلّها * فاخذتهُ تعالى الحميّة من رداءة البشر. وحتم على اهلاكهم بطُوفان عامٍ يغرِق ما على وجه الارض. وقال: لأُبيدنَّ من الارض الانسان الذي خلقتهُ. واُهلكنّ كلّ شيءٍ من بشر وحيوان ممّا يدبّ على الارض دبيبًا وما يطير في السماء طيرانًا. فانّي نادمٌ على انّي خلقتُ هذه كلّها * هذا ولم يوجد سوى نوح وحدهُ محافظًا على الايمان وتقوى آبائهِ. فظفر بنعمة قدّام الله * فأوحى الربّ اليهِ بانّهُ قد عزم ان يبيد الارض بالغرق. وامرهُ ان يبتني فُلكًا. وعلّمهُ كيف يبتنيهِ * فصنع نوح الفُلْك بهيئةِ سفينة. وطلى جوانبها بالزفت. وصرف في عملها مائة سنة * وكان نوح في هذه الغضون لا يفتأ من انذار الناس وتحذيرهم الوعيد

الالهيّ . ولكنّهم لبثوا في عماهم عاكفين على شهواتهم ومواظبين على آثامهم * فدخل نوح الفُلك مع اولادهِ الثلاثة . وهم سام وحام ويافث . ونسائهم . وادخل ايضًا معهُ زوجًا من كلّ من الحيوانات الموجودة على الارض *

(سنة ١٦٥٦ للخليقة وسنة ٢٣٤٨ ق م) — وبدأت المياه ان تنصبّ من السماء . ولم تزل على ذلك اربعين نهارًا واربعين ليلة * وانفجرت ايضًا ينابيع الغمر . اي فاضت مياه البحر . فغطّت الارض كلّها . وارتفعت خمس عشرة ذراعًا فوقَ اعلى الجبال . وكان الفُلْك يرتفع على قياس ارتفاع المياه * ثمَّ اخذت قرارها واستقرّت مُدّة ماية وخمسين يومًا على وجه الارض . حتى هلك جميع المخلوقات الحيّة ما خلا من كان محبوسًا في الفُلْك * وعند ذلك ذكر الله نوحًا وآلهُ . فأرسل ريحًا شديدةً فدفعت المياه من الجانبين حتّى رجعت الى مخازنها . وانسدّت ميازيب السماء وانقطع المطر * وفي الشهر السابع استقرّ الفُلْكُ على جبال اراراط في ارض الارمن . ولم يكن يرَى بعدُ والحالة هذه سوى ماء وسماء . فانّ قمم اعلى الجبال لم تبتدئ في الظهور الاّ الشهر العاشر بعد الطُّوفان * ففتح نوحٌ احدى كُوى الفلك . واطلق الغراب . فطار في وجههِ . ولم يعُد راجعًا حتّى نشفت المياه من

على الارض * فاطلق ايضاً الحمامة. فطارت. ولمّا لم تجد مكان استراحةٍ واجهدها الطَّيَران. عادتْ الى الفلك * وبعد سبعة ايّامٍ أَرسل نوحٌ الحمامة من جديد. وبهذه الدفعة اصاب الغرَض. فانّ الطائر رجع عند المسآء وفي منقارهِ غُصْنُ زيتونٍ اخضر * واستدلّ نوحٍ بذلك على انّ المياه قد نشفت. ولكنّهُ انتظر سبعة ايّام أُخرَى * فلمّا انقضت. اطلق الحمامة ايضاً. فراحت ولم تَعُدْ * فتحقّق نوح انّ الارض في كمال نشافها. وخرج من الفُلْك بامر الله مع اهلهِ والحيوانات المحبوسة منذ سنة تامّة * واوّل فرض خطر ببالهِ ان يؤدّيهُ كان ان يبتني مذبحًا ويقرّب للربّ قربان الشكر * فلمّا فعل ذلك. وقع موقع القبول لديهِ تعالى. فقال له: انّي منذ الآن لا اعود العن جنس البشر. ولن تخرب الارض بطوفان خراباً ثانياً. ولَاضعنَّ عهدي بيني وبينك وذرّيّتك: فاذا جلّلتُ السمآء بالغيوم. جعلتُ قوس قُزَحي في السحاب لتكون علامةً للميثاق الذي ضربتهُ معكم *

اعلم انّ آثار الطُّوفان العامّ منبثّة على الارض كلّها. والسفينة التي بها نجت بقيّة الجنس البشريّ لم تزل في كلّ الازمان شهيرةً في البلاد الشرقيّة. ولا سيّما في المواضع التي استقرّت فيها بعد انقضآء هذا سيل العرِم * ونرى وجوهاً أُخر كثيرةً مختصّة بهذه الواقعة

العظيمة مسطورة في تواريخ القبائل القديمة. لا بل انّ الكرة الارضيّة حفظت آثارًا ظاهرة من هذا الانقلاب العظيم *

ثمّ انّ نوحًا فضلًا عن محافظتهِ على جنس البشر حافظَ ايضًا علي الصنائع الاصليّة الضروريّة للحيوة البشريّة التي كان البشر قد اتقنوها من اوّل امرهم * وكذلك الصنائع التي كانوا قد استنبطوها فيما بعدُ * وعكف نوحٌ على اتعاب الفلاحة. ونصب الكَرْم. ولم يكن الناس بعدُ قد عرَفوا استعمالهُ * وأَضحى هو اوّل من رُمي بسهام السكَر. فانطرح نائمًا فيَ خيمتهِ * فنظرهُ حام وهو ثاني اولادهِ علي هذه الحال. فلم يصنع لهُ ما كان يحقّ من البرّ والحرمة. بل اتّخذ ذلك سببًا للهزوْ بهِ. وذلك انّهُ قصّر ان يستر عار ابيهِ. واقبل علي اخوتهِ وحكاهم ما رأى ليضحكوا معهُ على ابيهِ * ولكنّ سامًا ويافث انكرا فعل حامٍ هذا واستقبحاهُ. لانّهما كانا يعلمان ما يجب عليهما لابيهما من المحبّة والاكرام. فاخذا رداءً والقياهُ على ابيهما وهو راقدٌ * وعندما استيقظ وعلم ما جرى. لعن حامًا ليس في ذات شخصهِ. بل في شخص كنعان أَشرّ اولادهِ. وتنبأ على ذرّيّتهِ بانّها ستكون مستعبدة لذرّيّتَيْ أَخويهِ * وأمّا ابناهُ الآخَران اي سام ويافث فباركهما ودعا لهما ولسلالتهما بفيض النعم كلّها *

انّ هذه القصّة جديرةٌ بان نتّخذها عبرة جليلة القدر. فانّ الاولاد منها يتعلّمون حقوق البِرّ التي يجب عليهم ان يأدّوها لوالديهم وما يجب لهم عليهم من التوقير والحبّ *

وكان الناس الى ذلك الحين لا يعيشون الاّ بالحبوب والاثمار. فاخذوا اذ ذاك باذنهِ تعالى يقتاتون بلحوم الحيوان * ومع ذلك فهذا القوت الجديد لم يُغنِهم علي اطالة الحيوة. بل قُصّرت بذلك مدّة بقاءهم عمّا كانت عليهِ قبل الطُوفان قصرًا بليغًا * ثمّ انّ بني نوح تفرّقوا في نواحي الارض من كلّ جهة وعمروها. فاقام يافث في اسيا الشماليّة. وانتشرت ذرّيّتهُ ايضًا في اسيّا الغربيّة وفي اوروبا حيث لم تبرح شهيرةً باسم يافث بعينهِ * وحلّ سام في اواسط اسيا. ومنهُ خرج بنو اسرائيل وسائر الاجيال الساميّة وهم العرب والسريان والاثوريّون وغيرهم. وملأ حام افريقيّة وهو جدّ الفونيقيّين والمصريّين *

(سنة ١٧٥٧ للخليقة وسنة ٢٢٤٧ ق م) — انّ نسل ابناء نوح تكاثر سريعًا جدًّا * فكانت العشائر اذا لم يسعها ان تسكن معًا من اجل كثرة اتّساع اهاليها. تقاسمت بالمواشي وانفصلت عن بعضها بعض انفصالًا مؤبّدًا * واما ديانة الاله الحقّ فلم تلبث كثيرًا أَنْ تغيّرت. حتّى امسى البشر يجهلون بارئهم. واتّخذوا

الشمس والقمر والكواكب آلهةً لهم . وسلّموا انفسهم شيئًا فشيئًا الى جميع المنكرات والفواحش * ولمّا كان قد غاب عن بالهم ذكر الطُّوفان . غدَوْا لا يخشون اهوال العدل الالهيّ بتّةً *

وانّهم قبلما تفرّقوا على وجه الارض خطر لهم فكر مُنكَر نتعلّم من عاقبتهِ كم يغترُّ الانسان بالزهو * وذلك أنّهم اجتمعوا في بقعة سنعار بين الدجلة والفرات . وطفقوا يخاطبون بعضهم بعضًا قائلين : تعالوا نبتنِ برجًا عظيمًا يبلغ راسهُ الى السمآء . ونجعل لنا اسمًا شهيرًا . ولمّا قالوا هذا . اخذوا في العمل * فاقاموا اللِّبْن المشويّ مقام الحجارة . والزفت مقام الجصّ . وجزموا على انفسهم ان لا ينكفّوا من صنيعهم هذا حتّى يبلغوا الى تمامهِ * ولكنّ الله اخزى كبريآء بني آدم وحتم على تبطيل بُنيانهم في حال شروعهم . وقال : ها انّ هؤلآء الناس يتكلّمون لغة واحدة . وهم في صورة أُمّة واحدة متساوية الأَهوآء . فهلمّ نجعل البلبلة في لسانهم بحيث لا يفهم احدهم ما يتكلّم بهِ صاحبهُ * وفي طرفة عين صار جميع هؤلآء الأَقوام لا يفهمون على بعضهم بعض . فاضطُرّوا ان يتركوا عملهم ويتشتّتوا * ودُعي ذلك البرج ببابل من البلبلة لاجل ما جرى فيهِ من تبلبل الالسن * ومن عهد تشتُّت البشر هذا يُؤرَّخ انشآء الممالك . فانّ أوّل الممالك قد نشأت في موضع

منشأ البشر بعينهِ اي في سهل سنعار وعلى رَدْم بُرْج بابل في العراق . حيث نمرود حفيد حام اختطّ مدينة بابل * وكان نمرود اوّل غازٍ على الارض . واخضع لولايتهِ مُعظَم بلاد اسيا * وبعد زمان قليل شيّد اثور بن سام اسوار نينوى التي صارت قاعدة سلطنة الاثوريّين * وابنآء كنعان انشأوا قبيلة الكنعانيّين * ثمّ ظهرت مدينة سدوم ومدينة عمورة . ثمّ مدينة اور في ديار الكلدانيّين . وغيرها *

الفصل الثالث

دعوة ابراهيم — لوط — ملكيصاداق — هاجر واسماعيل — ولادة اسحق — خراب سدوم وعمورة — ذبيحة ابراهيم ووفاة ساره وخطبة رفقة وزفافها — وفاة ابراهيم

(سنة ٢٠٨٣ للعالم و١٩٢١ ق م) — قد رأينا في ما مرّ انّ عبادة الاوثان انبثّت على وجه الارض قبل وقوع تفرّق القبائل . فانّ البشر كانوا يومًا فيومًا ينسون خالقهم فيكثّرون الالوهيّات الباطلة ويعبدونها عبادة كفريّة * فرأى الحقّ سبحانهُ ان يوقف

عدو هذه الشرور الجسيمة . وشرع يعزل لهُ قبيلةً مختارةً قصد بها تاييد عبادتهِ وولادة المخلّص الموعود بهِ * وكان في وسط الفساد العامّ بعض الآبآء قد حافظ على ايمان نوح بقنوتٍ * والذي اشتهر اكثر من غيرهِ في التقوى كان ابراهيم بن تارح . وكان من مدينة أُور في ما بين النهرين المسمّاة اور الكلدانيّين * فهذا ابراهيم اصطفاهُ الله وقد سُرّ بحُسن اخلاقهِ . فضرب لهُ الميثاق قائلاً : ابرهيم . اخرج من بيت ابيك . واهجر بلد جدودك . وارحل الى الارض التي ساعطيها لنسلك . ولاخرجنّ منك شعباً كبيرًا . واباركنّك . وستُبارَك فيك جميع قبائل الارض : ارفعْ راسَك نحو السمآء . فكما لا تستطيع ان تُحصِيَ عدد النجوم . كذلك لن يُحصَى عدد ذرّيّتك *

فامتثل ابراهيم امر الربّ . وترك ديار آبائهِ . وسار الى مدينة حرّان في الجزيرة . ومن ثمّ انتقل الى ارض كنعان بصحبة ساراي زوجتهِ ولوط ابن اخيهِ * واذا بمجاعةٍ شديدة الجاتهُ الى الانتقال الى مصر . فاصاب هناك اهوالاً كثيرةً في وسط تلك القبائل الجاهليّة . ولكنّهُ لم يزل في ثقةٍ وامان من قِبَل تدينّهِ وقنوتهِ وانقيادهِ لاوامر الله . وافضى امرهُ الى انّ فرعون عزيز مصر عاملهُ برعاية ولُطْف . واعطاهُ عبيدًا ومواشي *

وعند رجوعهِ من مصر نشأت خصومةٌ بين خَدَمهِ وخَدَم لوط فشقَّ عليهِ ذلك . وكانت الخصومة تتجدّد كلَّ يوم وتعظم . حتّى آل الحال الى الانفصال * فاراد ابراهيم ان يمنع عواقب هذهِ الشحناء والبغضاء . فدخل على ابن اخيهِ وقال لهُ : لا يكن نزاعٌ بيننا وبين خَدَمنا . لاننّا اخوة . فاخترْ انت البلد الذي يعجبك : فانْ انت استاثرت بناحية الشمال . مشيتُ انا نحو اليمين ، وان استبدَّيت باليمين . توجّهتُ نحو الشمال * فجال لوط بنظرهِ الى ما حولهُ . فوقعت تحت عينيهِ الاراضي المسقيّة بالاردنّ . وسهول عمورة الزاهية المخصبة * فاسرع لوط واختارها لنفسهِ . وحلَّ في سدوم * وأمّا ابراهيم فبقي في بلد كنعان * ووعدهُ الربّ وعدًا ثانيًا بان يكون لهُ نسلٌ كثيرٌ *

(سنة ٢٠٩٢ للعالم وسنة ٢٩١٢ ق م) — وفي نحو هذا الزمان تحالف ملك سنعار وملك عيلام وملكان آخران على ملكَيْ سدوم وعمورة وحاربوهما . وكانت الدائرة عليهما . فوليّا هاربين . وأُسِر رجالهما . ودخلوا تحت رقّ غالبيهم * وكان لوط من جملة الاسرى . فاقبل احد خواصّهِ وحمل الى ابراهيم هذا الخبر المحزن . فجمع ابراهيم ثلاثمائة وثمانية عشر رجلًا . ولحق معهم باثر الملوك الاربعة * فشبّت الحرب بينهم . وكانت النصرة لابراهيم . فانهُ فتك بهم

اي فتكٍ . وفكّ منهم جميع المأسورين *

فلمّا بلغ ملك سدوم هذا الخبر . خرج للقآء الشيخ ابراهيم يهنئهُ بالغلبة * وفي ذلك الآن ظهر ملكيصاداق الذي يقال لهُ في التوراة الحبر العظيم للالَه العليّ . وهو الذي قرّب حينئذٍ الخبز والخمر وقدّم الشكر لله وبارك ابراهيم . وابراهيم اعطاهُ العُشر من الغنيمة كلّها * وطلب ملك سدوم الى ابراهيم ان يحفظ لنفسهِ جميع الامتعة التي سلبها من الاعدآء . واراد بذلك أن يكافئهُ عن المعروف * فرفض ابراهيم بعزّة نفسٍ هذه الغنيمة الوافرة *

ومع كلّ سعادة ابراهيم هذه ويُمنهِ هذا المبارك . فكان يعوزهُ شيءٌ واحدٌ . وهو انّهُ لم يكن لهُ ولدٌ وقد طعنَ في السنّ * فلمّا رأت سارة زوجتهُ انها بقيت عاقرًا لا محالة . عرضت على زوجها ان يتزوّج بأُخرى . وكان ذلك حينئذٍ مباحًا باذن الله لقلّة الناس * فاختار ابراهيم هاجَر المصريّة . وهي احدى امائهِ * وهاجر هذه استخفّت يومًا بسيّدتها . فشقّ ذلك على سارة . فبكّتتها تبكيتًا شديدًا وتوعّدتها . ففرّت هاجر هاربةً الى البرّيّة وقد يئِستْ من حياتها * ولولا حماية ملاكٍ اسرع لنجدتها . لماتت جوعًا وعطشًا * وقال لها الملاك : انّ الربّ قد سمع

صوت شدّتكِ . فارجعي الى سيّدتكِ . وتواضعي تحت يدها *
فقامت هاجرُ ورجعت الى ابرٰهيم وقد امتلأَ قلبها خضوعًا .
وبعد قليل ولدت لهُ ابنًا فسُمّي اسماعيل *

وبعد مدّة يسيرة قدم الى باب خيمة ابراهيم بامر الله
ثلاثة ملائكة في صورةٍ بشريّة . فاستقبلهم بكلّ الكَرَم والعزّ *
فقال لهُ احدهم : إنّي في مثل هذا الوقت بعد سنةٍ سارجع
ازورك . فأَجدكما كليكما في الحيوة انت وزوجتك ساره . وهي
يكون لها ابن * وحقّت هذه الكلمات . وذلك انّ ساره في
كِبَر سنّها ولدت ابنًا . ودُعي اسحٰق * ثمّ انّ ساره بعد ولادة
اسحٰق لم تكن تطيق احتمال حضور اسمٰعيل البتّة . فسرّح ابرهيم
هاجر بامرهِ تعالى . واعطاها خبزًا وانآءً فيهِ مآء . فجعلت هاجر
تتيه في الصحرآء بصحبة اسمٰعيل . وهي تبكي على حالهِ * واذا
ملاك من عند الله ناداها وقال لها : يا هاجر . لا تجزعي .
فانّ الله سيصيّر ابنكِ رأس شعبٍ كبير . وسيتسلّط هذا الولد
على قبائل البرّيّة * وبنآءً على ذلك فاسمٰعيل تنسَّل منهُ جميع
الاسماعيليّين وبطون العرب المستعربة *

(سنة ٢١٠٧ للعالم وسنة ١٨٩٧ ق م) — انّهُ في ذلك العهد
بعينهِ اغتاظ الله غيظًا شديدًا على سكّان سدوم وعمورة من

سبب قباحاتهم . وجزم ان يخرب تلك الديار التي كانت ماوى الفواحش والاثم * وبلغ لوطًا امرٌ من الله بان يهجر مدينة سدوم برفقة زوجتهِ وابنتيهِ . ولمّا رحلوا . اوصاهم الربّ بالخصوص ان لا يلتفتوا الى ورآئهم . واذن لهم ان يلتجئوا الى المدينة المدعوّة صاغر * وفي اثناءَ انصرافهم امطر الله نارًا وكبريتًا فأفنيا المدن المجرمة واهلكا جميع سكّانها * امّا امرأة لوط فغفلت عن النهي الالهيّ ولم تتمالك ان نظرت الى خلفها . وفي الحال عاقبها الله لفضوليّتها هذه وتجاوزها الوصيّة . بان حوّلها الى تمثالٍ من ملح * وغدا لوط ابًا لمواب وعمّون اللذين من صلبيهما خرج قبيلتانِ كبيرتانِ وهما الموابيّون والعمّونيّون *

(سنة ٢١٤٥ للعالم وسنة ١٨٥٩ ق م) — وكان اسحٰق في غضون ذلك ينمو بالعمر وبالحكمة * ورأى الله ان يمتحن ايمان عبدهِ ابراهيم وطاعتهُ . فقال لهُ : خذ ابنك الوحيد اسحق الذي تحبّهُ كثيرًا . واذهب بهِ وقرّبهُ ضحيّةً على جبل ادلّك عليهِ * فامتثل ابرهيم امرهُ تعالى وطاع لمشيئتهِ . ودعا ابنهُ وحمّلهُ حطبًا للوقود . واخذ السيف والنار . وتوجّه نحو الجبل الذي عيّنهُ لهُ الربّ * فلمّا كان الصبيّ اسحٰق ماشيًا ورآءَ ابيهِ في الطريق . قال لهُ : يا ابتاه هأنذا ارى النار والحطب . فاين الضحيّة للذبيحة * فقال

لهُ : الله يرى ذلك يا ابني . فلتكن مشيئتهُ * واذ وصلا الى المكان المعيّن . ابتنى ابرٰهيم مذبحًا . ووضع على المذبح الحطب للوقود . ثمّ ربط ابنهُ اسحٰق ومدّهُ على الحطب وكاد يذبحهُ . واذا بملاك الربّ يناديهِ من السمآء قائلًا : ألا يا ابرٰهيم لا تبسط يدك على الغلام ولا تضرّهُ شيئًا . فانك بالحقيقة تخشى الله . لانّك من اجل طاعتهِ لم تشفق على ابنك الوحيد * فرفع ابرٰهيم عينيهِ . فلاح لهُ من ورائهِ كبشٌ مرتبك في قرنيهِ بالعوسج . فأَخذهُ وقرّبهُ ضحيّةً بدل ابنهِ *

اعتبر انّ اسحٰق في هذه القصّة هو اشارة الى يسوع المسيح الذي صعد جبل الجلجلة حاملًا صليبهُ * واننا نجد في هذه القصّة ايضًا مثال الايمان الاشدّ حرارةً . والتسليم التامّ لارادة الحقّ سبحانهُ *

ثمّ توفّيت سارة ولها من العمر مائةٌ وسبعٌ وعشرون سنةً . فرأى ابرهيم ان يزوّج ابنهُ . ووكّل على ذلك احد خدّامهِ الامينين وهو اليعازر . فبعث بهِ الى ما بين النهرين ليخطب امرأةً لاسحٰق من عشيرتهِ ويصحبها برجوعهِ اليهِ * فذهب مصحوبًا بعشرة جمال محمّلة هدايا نفيسة للفتاة خطّيبة اسحق ولاهلها . ووصل عند المسآء الى ما بين النهرين . واناخ الجمال عند بئرٍ وقت

خروج النسآء كالعادة لاستقآء المآء * فصلّى اليعازر الى الربّ
الاه ابرهيم قائلًا : اجعل يا ربّ ان تكون خطّيبة اسحق اوّل
فتاةٍ تتقدّم لتروي عطشي * ولمّا قال هذا . اذا ببكرٍ بديعة
الجمال في الغاية هابطة من دَرَج المعين . وعلى عاتقها جرّةٌ *
فوقع طَرْفها على اليعازر وهو متوجّه نحوها . وقد رأَت عليهِ
من ظاهر حالهِ شدّة التعب * فقالت لهُ : اشرب يا سيّدي .
ثمّ امالت الجرّة الى شفتي الرجل الغريب . وبعد ان شرب
عادت تدلّت المآء وسقت ابلهُ كلّها *

فتحقّق اليعازر انّ الله قد استجاب دُعآءهُ * فتناول
مراود واخرصة واساور من ذهب كانت معهُ . واكرم بها
الجارية وسألها : هل في بيت ابيكِ منزلٌ نحلّ فيهِ . قالت :
انا رفقة ابنة بتوئيل . وابي يفرح بك إِنْ أَتيتهُ ضيفًا . ويقسم
ما عندهُ من المُؤونة بين جمالهِ وجمالك : قالت هذا .
واسرعت الى بيت ابيها . وقصّت على امّها ما جرى * فخرج
لابان اخو رفقة مبادرًا للقآء اليعازر . وطلب اليهِ ان يدخل
فيتناول طعامًا . وساق الابل الى المحلّ المعيّن لها * فقصّ
اليعازر على اهل رفقة سبب مجيئهِ . والتمس منهم ان يبلّغوهُ
منيتهُ * فاجابوا قائلين : لمّا كان الله هو الذي يريد ذلك .

فليكن ما شاء الله. وانت فتاخذ الصبيّة. فتصير عروسة لابن سيّدنا ابرٰهيم * فخرّ العبد الامين عند هذا الكلام ساجدًا لله. ثمّ اخرج خِلَعًا نفيسة واهداها لرفقة ولاهلها *

وفي الغد استاذن اليعازر اهل رفقة في الانصراف. فاستدعوا ابنتهم وسألوها قائلين: هل تريدين الانطلاق معهُ. فقالت رفقة: انّني مستعدّة لعمل ما تريدون منّي * فخلّت رفقة بيت ابيها مصحوبةً بمرضعتها. ودعا لها ابواها بقرّة العين وحُسن الحال. ولم يزَلْ اهلها يدعون لها زمانًا ويتمنّون لها سفرًا سعيدًا *

وعند وصولهم كان اسحٰق في الحقل. واذ رأى الجمال وجّه خطواتِهِ الى نحوهم. فسألت الجارية: مَن هذا. فاعلمها اليعازر انّهُ هو اسحٰق. فغطّت وجهها بقناعها * ثمّ انّ الشيخ قصّ على اسحٰق مآل سفرِهِ * وتزوّج ابن ابرهيم برفقة وقرّت عينهُ. وحصل لهُ من هذا الوصال من الهنا ما فرّج عنهُ الغمّ الذي كان لهُ لسبب وفاة امّهِ *

وعاش ابرٰهيم ايضًا مدّة من السنين بعد عُرس ابنهِ. وتُوفّي وعمرهُ مِائةٌ وخمسٌ وسبعون سنةً بشيخوخةٍ مغبوطة. بعد ان اصبح في هذا العالم ابًا وقدوةً للصدّيقين اجمعين *

الفصل الرابع

يعقوب وعيسو — يعقوب عند لابان — عرس يعقوب — عودته

(سنة ٢١٨٢ للخليقة وسنة ١٨٢١ ق م) — بعد وفاة الأب القدّيس ابرهيم . أجزل الله بركاتهِ على اسحق . واعطاهُ ابنين توأمين . وقد سبق وانبأ امهما بأنّهما سيكونان رأسين لشعبين كبيرين . وانّ الكبير منهما سيكون تحت استيلاءِ الصغير * وكان اسم البكر عيسو . وكان اشقر اللون مُشعرًا . وكان دابهُ الصيد في البراري * والآخر يعقوب . وكان لطيف الخَلق والخُلق هادئًا انيسًا وديعًا * وحدث انّ عيسو رجع يومًا من الايّام من الصيد وهو منهوكٌ من التعب . وقد اجهدهُ جوعٌ شديد . فرأَى اناءً فيهِ عدسٌ قد طبخهُ اخوهُ . فاشتهى ان ياكل منهُ * فلم يَرْضَ يعقوب ان يُطعمهُ من العدس . الاّ بشرط ان يجوز لهُ عن حقّ بكوريتهِ . فقبل عيسو الشرط . ووهب لاخيهِ الحقوق التي كانت يومئذٍ للبكور وذلك باكلة عدس * وكان اسحق يحبّ عيسو اكثر من يعقوب . ولكن رفقة كانت تفضّل يعقوب وترأمهُ وتخصّهُ بحبٍّ شديد . فكانت

تلتمس كلّ فرصةٍ لنفعهِ * ولمّا شاخ اسحق . استدعى ابنهُ البكر . وقال لهُ : خذ قوسك وسهامك . واذهب فأْتني بشيءٍ من صيدك لآكل واباركك قبل موتي * وكانت رفقة تسمع هذه الكلمات . فقالت ليعقوب : التمس لي من القطيع جَدْيَين من اسمن ما فيهِ . وأْتني بهما لاهيّئ لابيك الذّ طعامٍ . فيأكل ويمنحك بركتهُ * ثمّ ألبست يعقوب ثياب اخيهِ . ولفّت يديه وعنقهُ بجلد الجديين لفًّا محكمًا * فتقدّم يعقوب وامتثل بين يدي ابيهِ بورعٍ . وناولهُ الطعام الذي هيّأتهُ رفقة . وكان اسحق قد ضعف بصرهُ حتّى كاد لا يرى شيئًا * فلمّا سمع صوت يعقوب ولمس يديهِ قال : انّ الصوت صوت يعقوب الاّ انّ اليدين يدا عيسو . وسألهُ قائلًا : أأنت عيسو ابني . قال يعقوب : انا هو * فوقع اسحق في حبالة هذا المكر . واعطى بركتهُ لابنهِ الاصغر يعقوب ودعا لهُ قائلًا : لتخضع لك الشعوب . ولتسجد لك القبائل . كن سيّد اخوتك . ومن يلعنك يكن ملعونًا . ومن يباركك فليكن مباركًا * وبينما يعقوب ينصرف . اذا عيسو دخل على ابيهِ حاملًا صيدهُ . فقال لهُ : استيقظ يا أبتِ . وكلْ من صيد ابنك . لكي تباركني * فاندهش اسحق عجبًا وصرخ : فمن اذًا اتاني بالطعام الساعة . وان اعطيت بركتي . أوَ ليس ذلك لابني البكر . فلمّا سمع عيسو

هذه الكلمات . كاد قلبهُ ينفطر حزنًا . وتغرغرت مقلتاهُ بالعَبَرات السخينة . وعجّ في البيت وهو يصيح صياحًا اليمًا ويقول : قد مكر بي يعقوب هذه المرّة الثانية . ونزع عنّي اوّلًا حقّ البكوريّة . والآن اختلس منّي البركة التي كانت واجبةً لي * ثمّ قال لابيهِ : يا ابتاه . الم يبقَ لي عندك بركة . وعلا صوتهُ بالبكآء وازداد نحيبًا * ولكنّ اسحٰق لم يرجع عمّا قال . الّا انّهُ حنَّ قلبهُ على عيسو اذ كان ابنهُ البكر ورآهُ غائصًا في الكآبة والاسف . وقال لهُ : لتكن بركتك يا ابني في خصب الارض وفي ندَى السمآء . تعيش بالسيف وتكون تحت باس اخيك * اعتبر انّ التواريخ المقدّسة تُحكَى فيها الخديعة التي عملها يعقوب لنوال البركة من ابيهِ على سبيل الإخبار فقط لا على سبيل الاستحسان * ثمّ انّ يعقوب بعد هذه اذلّ نفسهُ بين يدي اخيهِ . ويسوغ ان نزعم انّ النوائب التي الّمت بهِ في حياتهِ انّما اصابتهُ بمقام كفّارة عن جرمهِ هذا * وامّا ما كان من امر عيسو فانّهُ من تلك الساعة حفِظ في قلبهِ ضغينة شديدةً الى الغاية على يعقوب وتهدّدهُ بالموت *

(سنة ٢٢٤٥ للعالم وسنة ١٧٥٩ ق م) – وكانت رفقة مجتهدة في حراسة ابنها يعقوب . فاشارت عليهِ ان يرحل ويقصد خالهُ لابان . ويقيم عندهُ حتّى تهمد حرارة غضب اخيهِ . واقنعت

اسحق ايضًا بهذا الراي محتجَّةً بانّ يعقوب لم يكن يستطيع ان يتزوّج في بلد كنعان. لانّ نسآءها وثنيات * فتزوّد يعقوب ثانيةً ببركات والديهِ. وضرب في طريق ارض الجزيرة وهي ما بين النهرين طريدًا فقيرًا *

وبعد غروب الشمس نزل في عزلةٍ. فاسند راسهُ الى صخرةٍ ونام * وبينما هو نائم. رأى رويا ذات رمزٍ واشارات * وذلك انهُّ رأى سلّمًا يبلغ طَرَفها الواحد الى السمآء. وطَرَفها الآخَر مستند على الارض. ورأى ملائكة يصعدون على دَرَجها وينحدرون منها. وسمع الربّ في اعلاها يناجيهِ قائلًا: انّي انا الاه ابرهيم والاه اسحق. لأُعطينّك الارض التي انت راقدٌ عليها. وبمرور الاجيال سيضحي نسلك اكثر عددًا من رمال البحر * ثمّ امرهُ ان يستمرّ في سفرهِ. ووعدهُ بانْ يعتني بهِ ويبارك باسمهِ جميع قبائل الارض * فلمّا استيقظ يعقوب. اخذتهُ رعبةٌ سماويّة حتّى صاح قائلًا: واهًا من هذا المكان. انهُّ لمهولٌ. وانّ هُهنا لَبيت الله وباب السمآء حقًّا * ولمّا تأكّد عندهُ بهذهِ الرويا الرمزيّة انّ الله يقيهِ بنجدتهِ الالهيّة. أَخذ في سفرهِ حتّى انتهى الى ارض الجزيرة. وعند ابواب حرّان دنا من بئرٍ كان فمها مسدودًا بحجر. وكان في حواشيها مواشٍ كثيرة ترعى * فسأل

يعقوب القوم: من ايّ بلد انتم وهل تعرفون الشيخ لابان. قالوا: نحن من مدينة حرّان. ونعرف الرجل الذي تسال عنهُ. وهوذا راحيل ابنتهُ تراها تمشي في راس قطيعهِ * فاقبل يعقوب لوقتهِ نحو البئر. ورفع الحجر من فيها. وعرّف بنت خالهِ بنفسهِ مبشّراً ايّاها بانّهُ ابن رفقة * فبادرت راحيل الى ابيها وبلّغتهُ هذهِ البشارة. فخرج لابان عادياً للقآء ابن اخيهِ * فقصّ عليهِ يعقوب حكاية سفرهِ. اي بغض اخيهِ لهُ وهربهُ هو من سبب ذلك بمشورة والديهِ. والضرورة التي مسّتهُ ليطلب ملجاً اميناً حريزاً. فعرض عليهِ لابان بيتهُ ورجّاهُ ايضاً نكاح راحيل بشرط ان يخدمهُ سبع سنين. فقبل يعقوب الشرط واخذ يخدم خالهُ بنصحٍ * ولمّا انقضت المدّة المحدودة. غدر لابان بيعقوب. ولم يفِ لهُ * وذلك انّهُ كان لهُ بنتٌ اسمها ليّا. فاراد ان يزوّجها قبل اختها راحيل * فاحتال على يعقوب واعطاهُ ايّاها زوجةً بدل اختها راحيل * وكان كلّما شكا يعقوب غدر لابان. يسكّتهُ بوعدهِ ايّاهُ ثانيةً بنكاح ابنتهِ راحيل بشرط ان يخدمهُ من جديد سبع سنوات أُخر * فقبل يعقوب هذا الشرط ايضاً. ولم يبرح يخدمهُ بوفآءٍ كالمرّة الاولى * وعند انقضآء أَجَل السنين. استاذن منهُ بالرحيل الى ابيهِ متعلّلاً بانّ اباهُ

قد شاخ وهرم. وانّهُ لهُ حوائج ومصالح لنفسهِ ينبغي ان يقضيها * وقال لهُ: انّي كابدتُ البرد والحرّ وانا ارعى أغنامك. وتعبتُ نهارًا وليلاً وانا احمي مالك. وقد فرّ النوم هاربًا من جفوني. عدّ غنمك. فانّ ناب الذئب لم تفترس واحدة منهنَّ. فايَّ جزاءٍ جزيتني عن كلّ هذه خدمتي ونصاحتي * فجعل لابان يهدّئهُ ويليّنهُ مجتهدًا. وطلب اليهِ بالحاجة ان يمكث معهُ ايضًا * فقبل ان يمكث عندهُ ستّ سنين أُخر * وكانت جملة السنين التي قضاها يعقوب من عمرهِ في النصب والتعب وفي الخضوع عشرين سنةً. وحينئذٍ امرهُ الله ان يهجر ديار الجزيرة خفيةً ويكرّ الى ارض ميلادهِ *

(سنة ٢٢٦٥ للعالم وسنة ١٧٣٩ ق م) - واذ كان ذات يوم لابان غائبًا. ارتحل يعقوب بصحبة بَعْليهِ ليّا وراحيل واولادهِ * ثمّ انّ حماهُ لمّا استحسّ بهذه الهجرة الفجائيّة. استشاط غضبًا. وقام لحق باثر يعقوب. فادركهُ بعد سبعة ايّام في وادي جبل جلعاد * فتراءى لهُ الربّ في الطريق وخمّد غضبهُ. ونهاهُ عن ان يضرّ يعقوب شيئًا * فاقتصر لابان على ان يلومهُ على رحيلهِ بغتةً وعلى خروج ابنتيهِ من بيتهِ خروجًا يشبه جلاءَ الاسرى. وطلب ان ينظرها ليودّعهما الوداع الاخير * وبعد هذا انصرف

عنهُ وهو يَعِدهُ بِقَسَم بانّهُ لن يبرح خليلاً لهُ ما حَيِيَ * حينئذٍ نظر يعقوب . فاذا عيسو اخوهُ مقبلاً نحوهُ للقائهِ مصحوبًا باربعماية رجل . فرجا انّهُ يهدّئ غضب اخيهِ عيسو كما تصالح مع لابان حميهِ . فدعا الله تعالى . ثمّ بعث الى اخيهِ رسلاً محمّلين هدايا يسبق احدهم صاحبهُ بمسافةٍ معلومة . واراد بذلك افناءَ عداوة عيسو بالتدريج * فاراد عند ذلك الحقّ تعالى ان يُؤكّد ليعقوب انّهُ مزمع ان يستظهر في هذه المعركة . فارسل اليهِ ملاكًا من العلويّين . فتعارك مع يعقوب برهةً من الزمان . فغلبهُ يعقوب . ولاجل غلبتهِ هذه سُمّي باسم اسرائيل الذي تاويلهُ القويّ قدّام الله * وفي غد تلك المعركة الرمزيّة لمح يعقوب اخاهُ من بعيد . فجعل نساءَهُ واولادهُ وراءَ ظهرهِ . وبادر في وجه عيسو وسجد سبع ركعات . فرقّ قلب عيسو لدى كلّ هذا الخضوع . وعانق اخاهُ معانقة الرأفة . وابى ان ياخذ اكثر الهدايا المقدّمة لهُ * وقد رايتَ كيف انّ يعقوب باستعمالهِ الحزْم مقرونًا بالتواضع استطاع ان يسكّن غضب ذاك الذي كان قد حلف على اتلافهِ . فاعتبر *

وحلّ يعقوب عند رجوعهِ من الجزيرة في ساليم في عقار الشخيميّين * فوقعت دينة ابنتهُ في قلب ابن ملك

الشخيميّين . فاختطفها وتزوّج بها * فاغتمّ يعقوب غمًّا شديدًا من هذه الاهانة . ولكنّهُ لبث صامتًا حذران يهيج غضب اولادهِ * ولكنّ شمعون ولاوي اخوَيْ دينة بعد ما اخفيا غضبهما مدّة ايّام قلائل اخذا ثار اختهما . وانتقما انتقامًا فظيعًا * وذلك انّهما من دون علم ابيهما دخلا مدينة شخيم فجأةً . وذبحا مَن فيها من الرجال كافّةً . وساقا جميع النسآءِ والصبيان أسرى * فلمّا بلغ هذا الخبر الفظيع مسامع يعقوب . خاف ان يهيج غيظ القبائل المجاورة . فانتقل الى بيت ايل مع جميع خاصّتهِ * واوقع الله الرعبة على جميع المدن القريبة . بحيث لم يجسر احد ان يتتبّع اثر يعقوب في انصرافهِ * وبعد برهةٍ يسيرة فُجِع يعقوب بوفاة زوجتهِ راحيل وابيهِ اسحٰق * وكان عمر اسحٰق حين تُوفّي مائة وثمانين سنة . ودفنهُ ابناهُ عيسو ويعقوب * وبعد ما دفناهُ انفصلا عن بعضهما بعض على مثال ما صنع ابرٰهيم ولوط . وذلك لانّهُ لم تُمكنهما المساكنة معًا لكثرة ثروتهما * فقطن عيسو في ارض ساعير . واستقرّ يعقوب في كنعان *

الفصل الخامس

في قصّة يوسف

انّ يعقوب وُلد لهُ اثنا عشر ابنًا. وهم المشهورون بآباء الآباء الاثني عشر. لانّهم رؤوس اسباط اسرائيل الاثني عشر * وهذه اسماؤهم: روبين. وشمعون. ولاوي. ودان. ويهوذا. ونفتالي. وجاد. واشير. ويساخر. وزابلون. ويوسف. وبنيامين * وكانت راحيل زوجة يعقوب المحبوبة قد ولدت لهُ الاصغرين منهم وهما يوسف وبنيامين. ومن اجل ذلك كان يعقوب يودّهما ويحبّهما محبّةً شديدةً اكثر من سائر اخوتهما * ورأى يوسف اذ كان صبيًّا حلمين في نومهِ فقصّهما على اخوتهِ. وقال لهم: رايتُنا باجمعنا في وسط حقل نحزم حزمًا. واذا بحزمتي انتصبت قائمةً. فخرّت حزمكم وسجدت لها * ورأيتُ كأنّ الشمس والقمر وأحدَ عشر كوكبًا يسجدنَ لي * فهذه القصّة التي كانت تشير الى المنزلة الجليلة التي فيما بعد ذلك ارتقى اليها يوسف. ابعدت عنهُ قلوب اخوتهِ الذين فضلاً عن ذلك كانوا يحسدونهُ جدًّا من سبب ايثار ابيهم ايّاهُ عليهم * فسخروا بهِ في اول الامر

قائلين : ما مرادك يا جاهل بهذهِ أحلامك . عساك ان تصير علينا ملكًا . ونكون لك عبيدًا * ولم يستقرّ هناك غيظهم * (سنة ٢٢٧٦ للعالم وسنة ١٧٢٨ ق م) — وكان دابهم ان يسوقوا الغنم الى المرعى في سهول شخيم . ويوسف كان مقيمًا عند ابيهِ . ولا ينتاب اليهم الاّ نادرًا ليجسّ احوالهم * فبينما كان ذات يوم ماضيًا الى اخوتهِ وهم في البرّيّة . اذ ابصروهُ من بعيد . فقال بعضهم لبعض : ها رائي الاحلام آتٍ . تعالوا نقتلهُ ونلقيَ جثتهُ في احد الأجباب . ثمّ نقولَ لابينا : انّ سبع سوءٍ افترسهُ * فأقبل روبين وهو بكر ابناء يعقوب وردّهم عن ارتكاب هذا القبيح بقولهِ : انهُ اخونا فلا تلطخوا ايديكم بدمهِ . وحسبكم ان تدلُّوهُ الى جبّ . وقصد روبين بذلك ان يخرجهُ فيما بعد ويردّهُ الى ابيهِ * فاستحسنوا هذا الراي . ورموا يوسف في اسفل جبّ قديم لا ماءَ فيهِ كان في البرّيّة * واتّفق انهُ مرّ بتلك الارض قافلة تجّار اسماعيليّين ومعهم جمالٌ محمَّلة عطورًا سائرين الى مصر . فأطلعَ يوسفَ اخوتهُ من الجبّ وباعوهُ لهؤلاءِ الغرباءِ بمبلغ عشرين قطعة فضّة . فانطلق معهم * وفي اثناءِ ذلك اخذ بنو يعقوب قميص يوسف . وذبحوا جَدْيًا لساعتهم ولطخوا القميص بدمهِ . وبعثوا بهِ الى ابيهم يقولون : انّا

وجدنا هذا القميص. فانظر العلّهُ هو قميص يوسف * فعرفهُ يعقوب وعلم انّهُ قميص ابنهِ يوسف فأَخذتهُ القشعريرة والاسف. ومزّق ثيابهُ باكيًا على ابنهِ ولبس المسح. وأبى ان يعزّيهُ بقيّة اولادهِ وهو يقول: قد مات يوسف. وانا لن ازال باكيًا على الدوام حتّى انحدر الى الهاوية متّصلًا بابني *

امّا التجّار الاسماعيليّون الذين اشتروا يوسف فباعوهُ لفوطيفار الرجل المصريّ الذي كان وزير فرعون ملك مصر * فحظي يوسف في قليل من الزمان عند سيّدهِ هذا. ونال لديهِ منزلة جليلة حتّى اقامهُ قهرمانًا على مالهِ وبيتهِ. فبارك الله في بيت فوطيفار وزاد عليهِ الخيرات * غير انّهُ بعد ايّام تُهم يوسف زورًا وظلمًا لدى مولاهُ بكبيرة. فصدّقها فوطيفار والقى يوسف في السجن * ولكنّ الله لم يخذل عبدهُ الامين. بل وفّق لهُ في مصيبتهِ نفسها سببًا للرفعة والعزّ *

(سنة ٢٢٨٦ للعالم وسنة ١٧١٨ ق م) – وذلك انّهُ كان في ذاك السجن الذي كان فيهِ يوسف اثنان من حَشَم فرعون محبوسَيْن معهُ. احدهما رئيس سقاتهِ. والآخَر رئيس خبّازيهِ * فنظر اليهما يوسف ذات غداةٍ واذا هُما كئيبان. فسألهما عن علّة كآبتهما. فقالا: رأى كلٌّ منّا رؤيا في هذه الليلة. وليس مَنْ

يفسّر لنا. قال: أَوَليس لله تأويل الرؤى. قصّا عليّ ما رأيتما * فقال رئيس السقاة: رأيتُني انظر الى كرمة. وقد اورق فيها في لحظة عين ثلاثة قضبان. واذا بعناقيد وعنب ناضج. فعصرتُ العنب في الكاس. ومزجتُ لفرعون فشرب * وقال رئيس الخبّازين: رأيتُني حاملاً ثلاث سلال فيها دقيق وارغفة. واذا الطيور تحوم حول راسي وتاكل من العجين * فقال يوسف لرئيس السقاة: ابشرنّ. فانّ فرعون بعد ثلاثة ايّام يردّ اليك نعمتهُ والوظيفة التي كنت فيها. فافتكر فيّ ولا تنسني متى ما بلغت ذاك. واذكر انّي مظلوم في هذا المكان * ثمّ التفت الى رئيس الخبّازين وقال لهُ: اعلم انّ السلال الثلاث عبارةٌ عن ثلاثة ايّام بقيت من حياتك. وبعدها يضرب فرعون عنقك ويصلبك على خشبة. فتمزّق الطيور لحمك * وصحّت هاتان النبوّتان تمامًا. الاّ انّ رئيس السقاة نَسِيَ في حالة سعدهِ الوعد الذي وعد بهِ يوسف في ايّام بؤسهِ *

وبعد سنتين رأى فرعون حلمين: رأى في احدهما سبع بقراتٍ سمانٍ صعدْنَ من النيل فارتعين في المرج. واذا باثرهنّ سبعِ بقرات أُخر عجاف مهزولات. فابتلعن الاوليات * وفي الحلْم الآخَر رأى سبع سنبلات خُضْرٍ حِسان. فابتلعتهنّ سبع سنبلات

ضعاف يابسات * فاستدعى فرعون جميع سَحَرة مصر وعرّافيها.
فلم يقدر احد منهم ان يأوّل الحلمين المذكورين * فخطر حينئذٍ
علي بال رئيس السقاة ذكر يوسف. واخبر المَلِك عنهُ. فأمر
بإحضارهِ * فلمّا حضر. قصّ عليهِ الملك أمرهُ. فلمّا استوعب
يوسف الحكاية. قال: ايُّها الملك انّ حلميك كليهما لهما تفسير
واحد. اي هما عبارةٌ عن سبع سني خصب ورخآءٍ يعقبها
سنوات محلٍ وقحطٍ. فينبغي ان تأمر باقامة مخازن فسيحة تُذخَر
فيها فضلة السنين السبع الأُولى. ليكون ذلك موُونة كافية
لسني المجاعة. واختَر قهرمانًا ذا ذكآءٍ وحزمٍ. واوكلهُ وكالةً
مطلقة على جميع اعمالك * فأعجب فرعون هذا الراي. واختار
يوسف وزيرًا لهُ. وقلّدهُ سلطانًا مطلقًا على مصر وقال لهُ: قد
جعلتُ رعيّتي كلّها تحت امرك. وانت تكون الاوّل بعدي في
مُلكي * ثمّ نزع خاتمهُ وجعلهُ في اصبع يوسف. واركبهُ علي عجلتهِ.
وامر مناديًا ينادي: اركعوا على ركبكم قُدّام يوسف. وابدل
ايضًا اسمهُ. واعطاهُ اسمًا تأويلهُ في اللغة المصريّة مخلّص العالم *
فاقبلت سنو الخصب السبع حَسَب نبوّة يوسف * وفي غضون
ذلك امر يوسف. فخُزِنَ في مخازن الملك مقدارٌ عظيم من
الغلّة * ولمّا انقضت تلك السنون. وثب الغلآء والمجاعة فاشتدّ

ذلك على الناس * ولمّا اجهد الجوع . صاروا يطلبون الطعام الى يوسف . وكان يوسف لا يردّ احدًا خائبًا . بل يلطف بهم ويرفق بحالهم ويبيعهم ما يحتاجون اليهِ من الغلّة *

وكأنّ الارض كلّها كانت مضروبة بالمحل . فكان الخلق يقصدون مصر افواجًا افواجًا لشرآء القمح * ومن الجملة ارسل يعقوب لذلك اولادهُ اجمعين الاّ بنيامين الذي كان اصغرهم . وكان يعقوب قد انزلهُ بمنزلة ابنهِ المفقود يوسف في الحبّ والعزّ * فلمّا وفد بنو يعقوب الى مصر . سجدوا بين يدي يوسف ولم يعلموا انّهُ اخوهم * ولكنّهُ هو عرفهم في الحال واظهر لهم الجفآء . وتنكّر لهم قائلاً : من اين انتم . وما علّة قدومكم الى هنا * قالوا : اننا اتينا من بلد كنعان لشرآء القمح . قال : لا . بل انتم لا رَيْبَ جواسيس قد اتيتم لتجسّوا الارض * فشرعوا يقصّون حقيقة امرهم ليبعدوا هذه المظنّة عنهم . وقالوا : انّ نيّاتنا خالصة . ولم نأتِ الاّ لابتياع القمح * وامّا خبرنا فاننا كنّا اثني عشر اخًا . اصغرنا مقيمٌ عند ابينا . واخونا الصغير الآخر فقدناهُ بنكبة أَلَمّتْ بنا * وكان يوسف يظهر انّهُ لا يصدّق كلامهم . فامر ان يُطرَحوا في السجن . وبعد ثلاثة ايّام أمر فأُحضروا بين يديهِ * فقال لهم : انّي اخشى الله وما كنتُ لارتكب الظلم . فان

كنتم قد تقدّمتم الى هنا بضميرٍ سليم. فليمكث احدكم عندي بمقام رهنٍ. ولينصرف البقيّة بالقمح الذي اشتريتم. ثمّ يعودوا اليّ باخيكم الصغير. فيمكنني عند ذلك ان اصدّق كلامكم * فزاد حزن اخوة يوسف عند استماعهم ذلك. وجعلوا يقولون احدهم لصاحبهِ بلسانهم: ياما اعدل العناية الالهيّة. لقد استوجبنا هذه البلايا التي شملتنا. أَوَليست هذه عقوبة الذنب الذي ارتكبنا * وكان يوسف يفهم كلامهم. فتنحّى عنهم ناحيةً وبكى * وعلى هذه الصورة صدق الحلم الذي رآهُ يوسف. اذ ذلّ اخوتهُ وهانوا بين يديهِ * واعلن الله واضحًا انّ البشر لا يقدرون على مقاومة ارادتهِ تعالى. وانّهُ كثيرًا ما يستعمل خبثهم لانجاز مقاصدهِ * وأمر يوسف غلمانهُ ان يملأُوا اوعية اخوتهِ قمحًا. واوصاهم سرًّا ان يضعوا فضّة كلّ واحد منهم في وعائهِ. واعطاهم ايضًا زادًا للطريق. وبقي شمعون عندهُ رهنًا * والبقيّة عند رجوعهم الى ابيهم اخبروهُ بكلّ ما عَرض لهم. فأبى يعقوب ان يسلّمهم بنيامين ليذهبوا بهِ. وقال لهم: انّ يوسف فُقد. وشمعون مقبوضٌ عليهِ. وتريدون ان تنزعوا عنّي بنيامين: لا لعمري لا يذهبنّ ابني الى مصر ابدًا. لانّهُ ان عَرض لهُ آفةٌ كما عرض لاخيهِ. فانّي اموت حزنًا *

وكانت المجاعة تزداد يومًا فيومًا . فاشار يعقوب على بنيهِ ان يرحلوا ثانيةً الى مصر * فالحّوا عليهِ ان يسلّمهم بنيامين . وكانوا يقولون : انّا كلّمنا وزيرَ فرعون عنهُ . والوزير تاقَ الى رؤيتهِ ونهانا عن الرجوع اليهِ خالين منهُ . وقال يهوذا : انّي اكفل حراسة هذا الصبيّ . وعليّ صيانتهُ من كلّ آفةٍ . وان اردّهُ سالمًا غانمًا * فانقاد يعقوب اخيرًا الى توسّلاتهم . واطلقهم * ولمّا وصلوا الى مصر . امر يوسف ان يصنعوا لهم وليمة . فاضطربوا وخافوا ان يُقيم عليهم بيّنة بسرقة الدراهم التي وُجِدَت في غرائرهم . ولكنّ حضور شمعون سكّن روعهم * ثمّ دخل يوسف بنفسهِ في الحجرة التي كان اخوتهُ فيها مجتمعين . وبعد ما تقبّل منهم بلطافةٍ ما اتحفوهُ بهِ من الهدايا سألهم عن حال ابيهم . فقالوا : هو صحيحٌ سالم * فسرَّهُ هذا الخبر . وزادَ سرورهُ حين رأى بنيامين الصغير . حتى رقَّ قلبهُ وتخشّع . فانفرد الى عزلةٍ وبكى على سعةٍ * ثمّ امر ان يُحضَر لهم الطعام * ولمّا دنت ساعة انصرافهم . شاءَ أن يمتحنهم المرّة الاخيرة . فامر ان تُملأَ غرائرهم قمحًا . وان تُوضَع الدراهم في افواهها كما في المرّة الاولى . وان يُخبأ جامهُ في خُرج بنيامين . وكان من فضّة . ففعلوا *

(سنة ٢٢٩٧ للعالم وسنة ١٧٠٦ ق م) — وتوجّه ابناءُ يعقوب

وِجهتهم . وساروا فارحين مسرورين لرجوعهم الى مواطنهم بالنجاح . واذا قهرمان يوسف قبض عليهم عند ابواب المدينة وصرخ قائلاً : يا أيُّها الخائنون . أبهذا تقابلون المعروف . لقد اديتم الشرّ عوض الخير . وواحد منكم قد سرق جام الفضّة لمولاي * فتبرّأ جميعهم من هذه الجريرة . ورضوا طوعًا أَنْ يُوخَذ اسيرًا مَنْ طلع منهم سارقًا * فلما نُفضت الغرائر . وُجد الجام في غِرارة بنيامين * فرجعوا القهقرى الى المدينة . وطرحوا انفسهم عند رجليْ يوسف متخشّعين * ولمّا لم يروا سبيلاً لانكار جرم قد تبيّن واضحًا . سلّموا انفسهم لمرضاة يوسف . وصار يهوذا على الخصوص يبتهل الى يوسف طالبًا أن لا يمسك بنيامين . وقال : انّ الشيخ ابانا يحبّ هذا الصبيّ حبًّا شديدًا . ولا يمكنهُ أَن يفارقهُ . فان رجعنا بدونهِ . مات ابونا لا محالة . فارفق بنا ودَع هذا الصبيّ ينطلق . وانا اكون اسيرًا بدَلهُ * فلم يتمالك يوسف نفسهُ زمانًا الى ان أمر بإِخراج من كان حاضرًا من الناس الغرباءِ * فلمّا اختلى باخوتهِ . صاح قائلاً : انا هو يوسف اخوكم الذي بعتموهُ للتجّار الاسماعيليّين . ولكن لا تخافوا ولا تحزنوا . انَّ يد الله هي التي ساقتني الى مصر لانجّيكم من الجوع * ثُمَّ عانقهم وضمّهم الى صدرهِ . وطلب اليهم ان يذهبوا بهذهِ البشرى

السعيدة الى الشيخ ابيهم يعقوب . فرحلوا * ولمّا وصلوا . قالوا لهُ : انّ ابنك يوسف حيّ بعدُ . وهو مسلّط على مصر كلّها * فلمّا طرق هذا الحديث سَمْعَ يعقوب . افاق كأنّهُ كان في سباتٍ ثقيل . وصاح قائلاً : لم يبقَ لي شيءٌ اتمنّاهُ اذ كان يوسف ابني عائشًا بعدُ * وقام يعقوب وتجهّز وعمل الاهبة للرحيل . ورحل الى مصر * فلمّا بلغ ولمحهُ يوسف . بادر اليهِ واحتضنهُ والدمع ينسجم من عينيهِ . وقال لهُ يعقوب : انّي اموت راضيًا لانّي رايتُ وجهك . ولاخلفنّك من بعدي * ووهب لهُ فرعون ارض جاسان . وكانت هي اخصب ارض في مصر . فاستوطن فيها يعقوب مع آلهِ الذين كانوا وقتئذٍ يبلغون سبعين نسمة . وعاش ثمَّ هنيئًا الى يوم وفاتهِ *

وعندما حضرت الساعة يعقوب . دعا ابنهُ يوسف وطلب اليهِ ان يدفنهُ في قبر آبائهِ * فوعدهُ يوسف بفعل ذلك . وتوسّل اليهِ ان يبارك ابنيهِ منسّى وافرايم وهما اللذان صار كلٌّ منهما رأسًا لسبط مكان يوسف * ثُمَّ جمع يعقوب اولادهُ كلّهم بين يديهِ . فانتعش فيهِ روح النبوّة . وشرع يبشّر كلاًّ منهم بما سيعرض لذرّيتهِ * فقال مخاطبًا يهوذا : يهوذا لك يعترف اخوتك . ويدك على ارقاب اعدائك . يسجد لك بنو

ابيك. شبل الليث يهوذا. الى النهب يا ابني صعدت فربضتَ واتّكأت كمثل الاسد وكمثل شبل الليث. فمن يستطيع ان يقيمهُ. فلا يزول القضيب من يهوذا والمدبّر من بين فخذيهِ حتّى يجيء الذي لهُ الكلّ واياهُ تنتظر الامم * واعلم أنّ هذه الآية الكريمة تشير الى المخلّص الموعود بهِ العالم بعد سقطة الانسان الاوّل * وعمل يوسف بوصيّة ابيهِ الاخيرة بعد ما قُبض. فانهُ طيّب جسدهُ ودفنهُ ببرّ في محلّة كنعان الى جانب ابرهيم واسحق. واعانهُ جميع اخوتهِ وطائفةٌ من المصريّين في تادية هذا الفرض البرّيّ *

وتوفّي يوسف ولهُ من العمر مايه وعشر سنين * وعند ما احتضر. وعظ اخوتهُ. وطلب اليهم ان يستودعوا جسدهُ لدى جسد ابيهِ * وكان قد ضبط عنان مصر مدّة ثمانين سنة بحكمة عجيبة مكرّمًا ومحترمًا عند كلّ احد * انّ يوسف هو في العهد القديم صورة يسوع المسيح الذي بعد ان بِيع مثل يوسف سِيق الى القتل بين اثنين مجرمين. وهو يغفر لاعدائهِ *

الفصل السادس

قصّة ايوب—بنو اسرائيل—حالهم في مصر بعد وفاة يوسف—انقاذ موسى اياهم—ضربات مصر العشر—رحيل بني اسرائيل — عبور البحر الاحمر

في نحو العهد الذي فيهِ مات يوسف اشتهر في بلاد ادوم بين عَبَدَة الاوثان رجلٌ يعبد الاله الحقّ. اسمهُ ايّوب * كان هذا الرجل الفاضل من وُلْد عيسو. وكان غنيًّا جدًّا مقتدرًا مقتنيًا أنعامًا كثيرة. ولهُ عدّة اولاد * وكان في وسط رغدهِ ونعيمهِ ذا قلبٍ سليمٍ ومستقيم. يخشى الربّ. ويتجنّب عن المنكر * وانّ الله الذي يَسَرُّ احيانًا بتنغيص عبيدهِ الامينين لاجل إكمال فضائلهم. ترك للشيطان ان يجرّب ايمان ايّوب وصبرهُ بتجربات شديدة مبتليًا اياهُ ببلايا شتّى * وذلك انّ ايّوب فقد بالمرّة اولادهُ وثروتهُ. وفي كلّ ذلك لم يُسمَع من فمِهِ الّا هذه الكلمات وهي: الله اعطى. والله اخذ. ليكن اسمهُ مباركًا ولتكن مشيئتهُ * فعمد الشيطان ان يمتحن ايّوب الصدّيق بطريقة

اخرى. فضرب جسمهُ كلّهُ ببرَص مذيب. فانطرح ايّوب على مزبلة. وصار يحكّ قروح جسمهِ بقطعة من خزفٍ مسحّق. وتركهُ جميع اقاربهِ. حتّى انّ زوجتهُ بعينها اخذت تعاتبهُ على كثرة تصديقهِ وثقتهِ بالله * فانتهرها الرجل القدّيس قائلاً: ان كنّا قد اقتبلنا الخيرات من يد الربّ. فما بالنا لا نقتبل البليّات ايضاً * وفي أثناء ذلك اتى الى ايّوب بعض اصدقائهِ. وكلّموهُ كلاماً كثيراً ليعزّوهُ. فلم ينجع كلامهم في قلبهِ. لانّهم من الجملة قالوا لهُ: لابدّ من انّك اجرمت واخطأت قدّام الله حتّى انّ يدهُ تعالى ثقلت عليك هكذا * واخذ ايّوب مع كونهِ لم يزل يتواضع قدّام الله. يسهب في الكلام ليبرّئ نفسهُ. وكان من قولهِ انّ البلآء لا يحلّ دائماً براس الانسان من جرّآء الغضب الالهي. وانّهُ من المحتمل انّ الربّ انّما ارسل اليهِ كلّ هذه النكبات لاسباب اخرى * وكان ايّوب يتسلّى من جهةٍ اخرى برجاء الآخرة بقولهِ لاصدقائهِ: انّي عالمٌ انّ فاديّ هو حيّ. وانّهُ في اليوم الاخير ساُحشَر وانهض من التراب واشاهد الالهي بجسمي واتفرّس فيهِ بعينيّ. وهذا الرجآء هو الذي يسلّيني. وانّي حافظهُ ابداً في قلبي * ثمّ انّ الله ترحّم على ايّوب لايمانهِ وتواضعهِ وتجلّدهِ. وردّ لهُ ضعف الغنى الذي كان يقتني قبل بلاياهُ * وبعد

ذلك عاش ايّوب ايضاً مائة وسبعين سنةً متنعّماً بمنن الربّ على الدوام. لانهُ فيهِ كان قد وضع كلّ رجائهِ ❊

(في سنة ٢٤٣٣ للعالم وسنة ١٥٧١ ق م) ❊ ثمّ انّ ذرّيّة يعقوب المعروفة ببني اسرائيل ويقال لها امّة العبرانيّين نَمَتْ سريعاً وكثُرَتْ في مصر حتّى اصبحت شعباً كبيراً ❊ وكان فرعون مالكاً مصر اذ ذاك. وليس هو الذي عرف يوسف ❊ فلمّا رأى تكاثرهم ونموّهم. اخذهُ الحسد لهم وخاف من قوّتهم. فمدّ يدهُ الى اتلافهم بأشنع الطرق واقبحها. فأجهدهم اوّلاً باشغالٍ متعبةٍ شاقّة الى الغاية اي بعمل اللِبْن واحراقهِ ❊ ثمّ جزم على هلاك جميع الاولاد الذكور. فامر جميع القوابل بأن يخنقن كلّ ذكرٍ عبرانيٍّ يُولَد. فأَبَيْنَ كلّهن ان يمتثلن هذا الامر الفظيع. فاحتدّ ملك مصر غيظاً وامر قومهُ بأن يلقوا صغار بني اسرائيل في مياه النيل ❊ وفيما كان هذا الملك الفاجر يحتال على ابادة الشعب الذي في عهد احد الملوك سلفائهِ صار هو سبب النجاة للمملكة كلّها. اذا بامرأةٍ من سبط لاوي ارادت ان تنجّي طفلها من هذا العَطَب العامّ. فاخفتهُ مدّة ثلاثة اشهر عن الساعين على اهلاكهِ ❊ ولمّا رأت اخيراً انّ امرها كاد ينكشف. نسجت قفّة من البرديّ وطلتها من خارج

بزفت. ووضعت فيها طفلها. وسلّمت القفّة لمياه النيل * ثمّ قعدت اخت الطفل على شاطئ النهر تراقب ما يجري من امرهِ * وفي هذه الغضون اقبلت ابنة فرعون الى شاطئ النهر مصحوبة بجواريها. فتطلّعت واذا قفّة البرديّ واقفة قد حجرها القَصَب عن السيران. فأمرت بان ياتوها بها. فلمّا فتحتها. ورأَت طفلاً يبكي. رقّ قلبها لهُ * وكانت اخت الطفل جالسةً على شاطئ النيل. فاغتنمت الفرصة وتقدّمت. وعرضت على ابنة فرعون ان تلتمس لها امرأة تُرضع الطفل. فرضيت ابنة فرعون بذلك * فانطلقت اخت الطفل ورجعت بأُمّهِ. فناولتها ابنةُ فرعون الطفل. وجعلتها مُرضعًا لهُ * فاخذت الطفلَ امّهُ وربّتهُ سنين قليلةً. ثمّ ردّتهُ على ابنة فرعون. فاتّخذتهُ ابنة فرعون ابنًا لنفسها. وسمّتهُ باسم موسى ومعناهُ في المصريّة منشول المياه * اعلم انّ الآباءَ القدّيسين قد لاحظوا انّ موسى واضع الناموس العتيق قد تشبّه بيسوع المسيح مُنشئ الناموس الجديد. فانّهُ منذ ولادتهِ صُوّرت فيهِ رموز الاحوال التي ظهر فيها مخلّص العالم *

ثمّ انّ الصبيّ المنشول من المياه بهذا الوجه العجيب كما مرّ رُبّي في قصر الملك. وهذّب في كلّ حكمة المصريّين. وأُنزِل منزلة ابنِ بنتٍ لذلك الذي قصد ان يُبيد جميع اولاد

بني اسرائيل * ولمّا كَبُرَ. آثر المكابدة مع اخوتهِ على التنعّم مع اعدائهم. فهجر قصر الملك * واتّفق انّهُ اوّل شيءٍ لاقاهُ في هجرتهِ كان امرًا اوجع قلبهُ. لانّهُ اجتاز في مرورهِ على رجل مصريّ يتطاول على اسرائيليّ. فقتلهُ لانّهُ لم يُمكّنهُ ان يكظم حميّتهُ * ثمّ هرب خوفًا من انتقام الملك. فرحل الى بلاد مديان. وهناك لازم خدمة يثرون كاهن البلد * فزوّجهُ يثرون بابنتهِ صافورة. وعاش موسى اربعين سنةً في البرّيّة ملتزمًا رعاية غنم حميهِ *

(سنة ٢٥١٣ للعالم وسنة ١٤٩١ق م) — واذ كان موسى ذات يوم يسوق قطيع الغنم الى اسفل البرّيّة حتّى جبل حوريب، ظهر لهُ الله في وَسَط عُلَّيقة ملتهبة تتّقد من دون احتراق. فاراد موسى الدنوّ منها لينظر هذهِ الآية. واذا بصوتٍ الاهيّ اوقفهُ عن المشي. وسمع هاتفًا يقول: انّ صياح بني اسرائيل وضجيجهم في حال ظلمهم قد طرق مسامعي. فلاعتقنّهم من عبوديّة مصر. واستخدمنّك انت لاجل عمل هذا العتق * فأشكَلَ الامر على موسى وتمنّع. ولكنّهُ في الآخِرِ أذعَنَ لارادة الله لكثرة ما شاهدهُ من الآيات الالهيّة * وذلك انهُ كانت في يدهِ عصًا. فتحوّلت الى ثُعبان. وبعد لحظة رجعت ايضًا

الى حالها الاولى * ثمّ انّ ذراعهُ في لحظة شلّت . فبرئت * فايقن موسى انّ صاحب هذه الآيات هو الله القدير . فأطاع وافترق من يثرون حميهِ *

فانطلق الى مصر وحضر بين يدي الملك . وعرض عليهِ دعوتهُ . وسألهُ ان يطلق شعب اسرائيل * فسخر الملك بكلام موسى . واخذ يعامل بني اسرائيل بقساوة اشدّ من الاولى محتجًّا عليهم بأنّهم ارباب فتنةٍ ونجس . وحكم عليهم ان يبتنوا قبالتهم من اللبن كعادتهم الاولى مع انهُ نقّص عنهم الشعلة اللازمة * فرقّ الله لبني اسرائيل . وارسل ثانيةً موسى الى فرعون * فحضر رسول الربّ مصحوبًا بأخيهِ هرون بين يدي الملك . وانذرهُ بامر الله قائلاً : ألا هذا ما يقول الربّ : اطلق شعبي حتّى يقرّب لي ذبائح في البرّيّة * قال الملك : لستُ اعرف ربّكم . وما كنتُ لاطلق ابدًا شعب اسرائيل * فصنع موسى قدّام فرعون معجزات باهرة برهانًا على صدق دعوتهِ ورسالتهِ . الّا انّ الملك لم يزل راسخًا في عصيانهِ * حينئذٍ ضرب الله مصر بضربات شتّى . منها انّ المياه استحالت الى دم . والحيتان كلّها هلكت . وهذه هي المعروفة بضربة مصر الاولى * ولانّ فرعون ابتُلي بعمى القلب ولبث مُصرًّا غير منتبه على حالهِ . نابت

عليهِ وعلى بلادهِ تسع ضربات اخر من اهوَل ما يتَصوَّر وترادفت الواحدة بعد الاخرى * وذلك انّ مقدارًا جسيماً من الضفادع خرج من المستنقعات وملأَ السهل . فعلا نقيقهُ وضجيجهُ وكدّر رقاد الملك * وبالضربة الثالثة دبّت على مصر هوام دقيقة وقمل . فلم تترك راحةً للناس لا نهارًا ولا ليلاً * وبعد هذهِ اتت الرابعة بذباب عذّب الملك وحاشيتهُ وجميع اهل مصر عذابًا اليمًا مديدًا * ثمَّ وقع الوبأ في البهائم . ومات جميع مواشي المصريّين موتًا ذريعًا . واما دوابّ بني اسرائيل فلم يمُتْ منها واحدة * والضربة السادسة اصابت البشر . فانّ اجسام المصريّين لُبّست بالقروح والبثرات * فاغتنمها موسى فرصةً . فدخل الى الملك وقال لهُ : ائذن لشعب اسرائيل ان يخرجوا فينطلقوا ويقرّبوا ذبائح للربّ * فلم يلتفت فرعون الى قولهِ . فرفع موسى يديهِ نحو السماء . فارعد الرعيد من كلّ جانب . ومع الصواقع انصبّ بَرَدٌ هائل . فضرَبَ ديار مصر باسرها . حتى انهُ لم يذكر انسان قطُّ انهُ اصاب ارض مصر بوارٌ مهلك مثل هذا . فانّ المواشي والنباتات حتى الاشجار جميعًا سحقها البَرَد . ولم ينجُ سوى بقعة جاسان حيث كان بنو اسرائيل حالّين . وهذه كانت الضربة السابعة * واما

الضربة الثامنة فكانت هائلة كالتي قبلها . فانّ ريحًا سمومًا عاصفة خرجت من رمال البرّيّة وشوّطت الهوآء . فامتلأ الجوّ جرادًا احتبكت بهِ السمآء . وانقضَّ على وجه الارض وافنى من الحقول الكلأ والثمر الذي ابقاهُ البَرَدُ سالمًا * والضربة التاسعة كانت ظلمات كثيفة التبست مصر مدّة ثلاثة ايّام. وكانت دامسة الى الغاية بحيث لم يقدر الواحد ان يميّز صاحبهُ القريب منهُ . حتّى لم يجسر احد انِ يتحوّل من مكانهِ * ثمّ انّ الله قبل حلول الضربة العاشرة امر بني اسرائيل ان يضحّي كلُّ بيت منهم خروفًا . وعلّم موسى كيف ياكلونهُ . اي امرهم ان ياكلوهُ وقوفًا علي ارجلهم . وفي يد كلّ منهم عصا كأنَّهم على سفر * وامرهم الله على الخصوص ان يلطخوا أبوابهم بدم الخروف . فينجوا من ضربة الملاك القاتول الذي كان مزمعًا ان يمرّ علي البيوت . ويضرب كلّ بيت لا يرى عليهِ هذه العلامة * فصنع بنو اسرائيل ما أُمروا بهِ . واجتمعوا كلٌّ مع اهل بيتهِ في اليوم الخامس عشر من الشهر ليقضوا هذا العيد الذي يقال لهُ الفَصْح ايْ عبور الربّ * وقد حُفظ ذكر هذا الحادث بتضحية الخروف الفصحيّ كلّ سنة الى الساعة التي فيها المسيح اتمَّ هذا الرمز اذ عيّد عيد الفصح آخِر مرّة وجعل

عوضهُ ذبيحة جسدهِ ودمهِ * ولمّا انقضى عيد الفصح . ضرب الملاك المهلك أبكار المصريّين من ابن الملك حتّى ابن العبد . ولم يعفُ الاّ عن البيوت المبلّة أَبوابها بدم الخروف . فارتفع صوت العويل والنحيب في مصر كلّها . لانّهُ لم يوجد بيتٌ الاّ وضُرب * فاستفاق فرعون في نصف الليل . وشرع يندب كما كان يندب قومهُ * ثمَّ ذلّ وخضع اخيرًا لاوامر الله وانذار موسى . وطلب الى بني اسرائيل متضرّعًا ان ينصرفوا * ولكي يعجّل خروجهم أذن لهم ان ياخذوا معهم نسآءهم واولادهم ومواشيهم *

(سنة ٢٥١٣ للخليقة وهي سنة ١٤٩١ ق م) - فخرج بنو اسرائيل في غداة الفصح . وجملتهم ستّماية الف مقاتل ما عدا الصبيان والشيوخ والنسآء . واصطحبهم كثيرٌ من المصريّين * ولم يوجد عليل بين كلّ هذا القوم * وذكر موسى قبل ان يترك مصر القَسَم الذي بهِ كان الشيخ يوسف قد أَقسم على ابنآء اسرائيل ساعة وفاتهِ قائلاً : اذا اخرجكم الله من هذا البلد . فلا تخلّوا عظامي في الارض الغريبة * فاحتفل موسى بهذه الوصيّة وقام بها . واخذ عظام يوسف الثمينة ونقلها مع بني اسرائيل في الطريق * وكان موسى يهدي الشعب في سيرهم

محفوفاً بالحماية الالهيَّة * وبعث الله الى الاسرائيليّين عموداً من غمام في النهار. وعموداً من نار يسري في الليل ليدلّاهم على الطريق * وعلى هذا المنوال قطعوا البرّيّة. وضربوا خيمهم في محلّ اسمهُ في السِفْر المقدّس ايثام *

وبعد خروج بني اسرائيل بقليل ندم فرعون على اطلاقهِ ايّاهم. ونسي الضربات العجيبة التي كانت قد اصابتهُ. وأصغى لما كان المصريّون يدمدمون بهِ اذ يقولون: من بقي يبني مدائننا. وأنّى نلقى عبيداً آخرين * فقسّى هذا الكلام قلب الملك من جديد. وجزم ان ينتقم من بني اسرائيل. فجهّز عجلاتهِ وعساكرهُ. وهيأ ستّماية عربة تحت ادارة الرؤساء المعدودين. وقطع البرّيّة باستعجال. ووصل سريعاً الى بني اسرائيل وهم مخيّمون على شطّ البحر الاحمر * فلمّا رأى بنو اسرائيل هذا الجحفل العظيم. ارتعبوا وصاروا يدمدمون على موسى قائلين: أَوَ لم يكن خيراً لنا ان نموت في مصر من ان نباد في هذا القفر. ولعنوا الذي برايهِ دلّهم على الخروج. وتأسّفوا على حالتهم الاولى * فهدّأهم موسى وطيّب خواطرهم. ووعدهم بعون الربّ. وفي تلك اللحظة تحوّل عمود السحاب الذي كان يتقدّمهم. وانتصب كسدٍّ بين معسكرهم ومعسكر اعدائهم * وكان هذا العمود مضيئاً من

جانب بني اسرائيل. ومظلمًا من جانب المصريّين * غير انّ فرعون مع هذه الظلمات لم يَزَل يدنو منهم قريبًا. فمدّ موسى عند ذلك يدهُ بامرهِ تعالى على البحر. واذا بريح شديدة محرقة فصلت المياه ونشّفت البحر. فدخل بنو اسرائيل وسط البحر بأرجل ناشفة والمياه قائمة بهيئــة سور يمينًا وشمالاً * فاتّقد المصريّون غضبًا وثارت فيهم رغبة الانتقام. فمشوا بلا خوف على قاع البحر حيث عبر الاسرائيليّون * فمدّ موسى يدهُ ثانيةً. فارتدّت الامواج على بعضها بعض بانزعاج. وابتلعت العَرَبات والجنود وكلّ تبعة فرعون باسرها. ولم يفلت من هذه النكبة احد منهم * وسار بنو اسرائيل في وجهتهم بأمان ناجين من هول ظلّامهم ومبارِكين اسم موسى. فقام موسى يتهنّأُ بهذه الواقعة. وانشد نشيدًا عجيبًا فيهِ من الجملة هذه الكلمات: لنسبّح الربّ فانّهُ بالمجد قد تعظّم. الخيل وفرسانها طرحهم في البحر. قوّتي ومجدي وصار لي خلاصًا. هذا الاهي فامجّدهُ. الاه ابي فأرفعهُ *

الفصل السابع

سير بنو اسرائيل في التيه — المنّ — المآء من الصخرة — اعطآء الشريعة على جبل سيناء — القبّة وتابوت العهد — عقوبة متجاوزي الشريعة

انّ بني اسرآئيل تركوا شاطئ البحر الاحمر وضربوا في البراري وتاهوا فيها زمانًا طويلاً اي مدّة اربعين سنةً * واكثر الله فيهم صنع الآيات والمعجزات. وذلك ليثبّت ايمانهم ويُعِدَّهم لامور كثيرة كان في مشيئتهِ ان يجريها * فلمّا ساروا ثلاثة ايّام وثلاث ليالٍ. وصلوا الى موضع اسمهُ مارّة. فوجدوا المياه مُرّةً. ولكنّ موسى حلّاها بالقائهِ فيها عودًا دلّهُ عليهِ الربّ * ثمّ وصلوا الى برّيّة سين وقد اجهدهم الجوع. فزادوا في التذمّر على موسى واحتسبوهُ علّة بلاياهم وسببها. وكان موسى لا يزال يقابل غيظهم بالاحسان ويعدهم بانّ الله لا يُبطئ ان يرسل لهم طعامًا * وفي تلك العشيّة مرّ بمَحَلّة بني اسرائيل سِرْبٌ كبير من السلوى. واذ كان هذا الطير تعبان تساقط عند اوتاد الخِيَم

وغطّى البقعة * وفي الغد امطر الله نوعًا من الندى الابيض يشبه ذُرى الجليد الذي يبدو على الارض في الشتآء . وسمّي هذا الندى منًّا . ومن يومئذٍ صار المنّ يقع بلا انقطاع في كلّ صباح مدّة اربعين سنةً * وقال موسى : هذا هو الخبز الذي اعطاكموهُ الله . فالقطوا انتم هذا المنّ كلّ يوم قبل شروق الشمس . وكانوا اذا تأخّروا عن الوقت المؤجَّل سُوَيعاتٍ لم يَعُدْ يمكنهم لقط هذا الاكل الثمين . لانّهُ كان يذوب . ولم يكن ايضًا ممكنًا حفظ شيءٍ منهُ للغد * واراد الله بذلك ان يُعلِم شعبهُ انّ كَرَمهُ غير متناهٍ نظير عنايتهِ * وامّا في اليوم السابع من الاسبوع وهو اليوم المعروف بالسبت فلم يكن المنّ يقع . ولكن في ليلة السبت كان ينزل منهُ اكثر من المألوف . ولم يكن يفسد . فكانوا يلقطونهُ ويحفظونهُ ليوم السبت من دون ان يثلموا وصيّة تقديس ذلك اليوم *

وكان ظاهر النتيجة من هذه المعونة العجيبة انّ الناس القليلي الايمان كانوا يلينون قلبًا ويؤدّون شكرًا جزيلًا وحمدًا جميلًا للرشيد الصَمَد الذي كان لا يزال يرفع العوائق المتعرّضة لهم ويسدّ حوائجهم * وكانت شدائدهم تتجدّد مرّة بعد مرّة . فتسوقهم الى التذمّر والتشكّي . وهكذا لمّا اعوزهم المآء في رفيديم .

اغتاظوا جدًّا . وتهدّدوا موسى بالرجم قائلين لهُ : على مَ اخرجتنا من مصر لتُميتنا عطشًا نحن واولادنا * فالتجأ موسى الى الربّ. فقال لهُ : خذ العصا التي كنت قد صنعت بها كرامات باهرة في مصر . وتوجّه نحو صخرة حوريب واضربها * ففعل موسى كما امرهُ الربّ. فانبعت الصخرة ماءً كثيرًا زلالاً. فروي الشعب كلّهُ *

وكان بنو اسرائيل يتعرّض لهم في سِفرهم اعداءٌ اقوياء. ومن جملتهم مَلِك عماليق الذي كان من سلالة عيسو الساكنين في الحجاز تصدّر اوّلاً . ولم يحملهُ على ذلك سوى طمعهِ في ان يستعبد بني اسرائيل اذ علمهم قد اعيوا باتعاب السفر وأُصيبوا بشدّة المصائب. فجهّز مركباتهِ الحربيّة وجمع جنودهُ . وغزا بني اسرائيل راسًا * فاقبل موسى الذي بحزمهِ كان يتروّى في الامور قبل وقوعها . وامر يشوع ان يجمع الرجال الاقوياء للقتال . وتنحّى هو على قمّة جبلٍ ومعهُ هارون وحور . وجعل موسى قوّتهُ واتّكالهُ كلّهُ على الله . وسألهُ ان يمنّ بالنصرة على شعبهِ * وكانت يداهُ مبسوطتين نحو السماء على شكل صليب . فاذا تعبتا . تاخذان في الانخفاض . ففطن حينئذٍ حور وهارون انّ العمالقة كلّما خفض موسى يديهِ . استظهروا على بني اسرائيل *

فاسندا يديهِ بايديهما فبقيتا مرفوعتين . وعند ذلك كرّت الدائرة . واستظهر بنو اسرائيل على العمالقة وهزموهم . ونُصب قائمةٌ لذكر هذه الغَلَبة *

(سنة ٢٥١٣ للخليقة وهي سنة ١٤٧١ ق م) – في اليوم الخمسين من خروج بني اسرائيل من مصر وصلوا الى برّيّة سيناءَ . فارتقى موسى الى الجبل . وأمرهُ الله ان يجمع الشعب عند سفح جبل سيناءَ بعد أن يأهّبهُ بالصوم والصلوة * وفي اليوم الثالث باكرًا ارعدت الرعود ولمعت البروق . وغُشّي الجبل بالغمام . وعلا صوت الله بنطق مسموع من وَسَط الغمام قائلاً : انا هو الربّ الاهك الذي اعتقك من العبوديّة التي كنت مسترقًّا بها . ذليلاً في مصر . ألا لا يكن لك الاه غيري . ولا تصنع لك صورةً منحوتةً لتسجد لها . ولا تعبدها العبادة التي تحقّ لي وحدي * لا تاخذ اسم الربّ الاهك بالباطل * اذكر أن تقدّس يوم الاستراحة اي يوم السبت . لانّ الربّ برأَ في ستّة ايّام السماءَ والارض والبحر وكلّ ما فيها . واستراح في اليوم السابع * اكرم اباك وامّك . لتكون سعيدًا وتعيش زمانًا طويلاً على الارض * لا تقتل * كن طاهرًا عفيفًا * لا تسرق * لا تشهد شهادة زور على قريبك * لا تشتهِ امرأة قريبك * ولا دارهُ . ولا سائر الاشياءَ

التي يملك * هذه هي الوصايا العشر المشهورة. ودُعيت كذلك لعددها. وهي التي اعطاها الله على جبل سيناء وضمّنها ما يجب على الانسان لله وللبشر أمثالهِ * ولمّا فرغ الربّ من كلامهِ. تلامعت البروق من جديد. وعلت اصوات الرعود ايضاً. واخذت الرعدة بني اسرائيل. فقالوا لموسى: كلّمنا انت. ولا يكلّمنا الربّ لئلّا نموت موتاً * وبينما كان الشعب هكذا مرتعباً وواقفاً بعيداً عن الجبل. دنا موسى من المكان الذي فيهِ كان الله يُشعِر الناس بحضورهِ. واخذ الشريعة مجدّدة. ثمّ رجع الى الشعب باقوال الربّ ووصاياهُ. وقرأها عليهم* فاجابوا وقالوا بصوت واحد: انّنا نفعل جميع ما امر بهِ الربّ *

ثمّ دعا الله موسى الى اعلى مكان من الجبل. وامسكهُ هناك اربعين يوماً واربعين ليلةً. وناولهُ لوحين مسطورة فيهما خلاصة جميع الوصايا الآلهيّة * ثمّ اخذ موسى عنهُ تعالى رشاداً في شان طقوس الديانة والذبائح وإقامة أعياد السنة الكبرى * وفي اثناء ذلك لمّا رأى الشعب أنّ موسى اطال الاقامة على الجبل. نسوا سريعاً الوعود التي كانوا قد اقسموا بها على انفسهم منذ قليل. والتأموا حوالَى هُرون وقالوا لهُ: اصنع لنا آلهةً يمشون قدّامنا. لانّنا لاندري ماذا صار من موسى * والحّوا عليهِ.

فغلب هُرون للجاجتهم واجاب الى سؤالهم. وسكب لهم عجلاً من ذهب. وذلك لأنَّ الوثن الذي كان المصريّون يعبدونهُ باسم الاله آفيس كان بشكل العجل * ولمّا تمّ الصنم. سجدوا جميعًا قدّامهُ. ونذروا لهُ نذورًا اثميّة* واذا بموسى نازلاً من الجبل. فسمع ضجيج الشعب وصياحاتهم. ووقع عجل الذهب تحت عينيهِ. فاخذهُ غيظ مقدّس. وارخى عن اللوحين فسقطا وتكسّرا. ثمّ تناول عجل الذهب واحرقهُ وصيّرهُ هباءً. ثمّ لام هارون ووبّخهُ. وقعد على مدخل المعسكر وصرخ: ألا يا من يريدون ان يعبدوا الله. تعالوا اليّ * فدنا جميع رجال سبط لاوي مسلّحين بسيوفهم. فأمرهم موسى ان يعاقبوا العصاة بالموت. فاجابوهُ الى ذلك. وهلك في ذلك اليوم نحو ثلاثةٍ وعشرين الف رجل * اعتبر أنّ عبادة الاوثان كانت عصيانًا على الله. وأنّ ذنبًا مثل هذا لحقيقٌ أن يعاقَب بشدّة * وكان من الواجب ان يُعطَى هذ الشعب الكفور المارد عبرةً جليلة بنقمة عظيمة ليعتبر بها * واعلم أنّ سبط لاوي لثباتهِ صادقًا واميناً مع الله عُيّن منذ حينئذٍ لعبادة الربّ* وفي الغد جمع موسى الاسباط كلّها وعرّفهم ثقل جرمهم. واعلمهم بانّهُ ذاهبٌ ليتذلّل بين يدي الله ويستعطفهُ ليعفو عن نفاقهم * فترحّم الله. وامر موسى ان ينحت لوحين

جديدين من حجر وان يلازم الدعآء والصلوة مستقرًا في جبل سينا * وعند ذلك نزل الربّ في وَسَط سحابة . وسطر على اللوحين الوصايا العشر * ثمّ انحدر موسى من الجبل وتوجّه نحو المحلّة . وكان وجههُ يبرق بنور سماويّ بحيث لم يجسر انسانٌ ان يقاربهُ . وذلك دعاهُ ان يغطّي وجههُ بقناع . وكان يفعل كذلك كلّما اقتضى ان يكلّم الأُمّة * وبعد ذلك باشر موسى القيام بالاوامر التي كان الله قد امرهُ بها ممّا يخصّ بناء القبّة . فجمع الشعب وانهى اليهم ارادة الربّ * فخلعوا جميعًا اثمن ما كان عليهم من الحليّ واعطوهُ ايّاها . واتت النسآء باقرطتهنّ واساورهنّ وقدّمنها اليهِ . واهدى الرجال خواتمهم وامتعتهم الفضيّة . والذين لم يكن لهم خشل ومصاغ . قدّموا الى موسى افخر ما عندهم من الاقمشة *

وكانت القبّة في هيئة خيمة من قماش ثمين مرصّع ومطرّز تطريزًا فاخرًا . وكانت مغطّاة بقماشٍ ثانٍ منسوج من شعر المعزى . وذلك لصيانة الاوّل من تأثير الهوآء * وكان على القبّة حجاب من قماش ثمين محزّم تحزيمًا لطيفًا يقسم القبّة الى قسمين * فالقسم الاوّل . وهو الذي كان يُدخَل فيهِ اوّلًا . دُعي القُدْس او المَقْدس * والثاني وهو الذي كان في اسفل

القبّة دُعي قُدس الاقداس * وعُلّقت بأعمدة الزوايا بين مسافة فمسافة حلقاتٌ عديدة من ذهب . في خلالها دهوق مغشاة بصفائح مذهبّة لحمل القبّة وتحويلها من موضع الى آخر * وكان في قدس الأقداس تابوتٌ طولهُ نحو ثلاث اذرع . وارتفاعهُ ذراع ونصف . وكان مصنوعًا من خشب لا يُنخَر ومغشًّى بذهب خالص داخلاً وخارجًا . وقد بُسط فوقهُ نوع من الغطاء دُعي المستغفَر. لانّهُ من هناك كان يتراءى الله بنوع محسوس وينطق بالأَحكام * وكان على المستغفر صورتا كاروبين يجلّلانهِ بأَجنحتهما كأَنّهما يحجزان عن العزّة الالهيّة * وكان في التابوت حلقاتٌ من ذهب معلّقة كما في القبّة . وكان حملهُ سهلاً وقت كان الشعب يرحل من مكان الى آخر * وضمن هذا التابوت كان لوحان مكتوبان اي لوحا الشريعة المُملاة على موسى في جبل سيناء . ومن هذا القبيل كان يُدعى تابوت الشهادة او تابوت العهد * ووُضع الى جانب لوحَي الشريعة مقدار من المنّ العجيب وعصا هارون التي بدت منها الكرامات الكثيرة * وفي جانب من القبّة يُقال لهُ المقَدْس كان عن ناحيةٍ مائدةٌ مصنوعة من اثمن الخشب ومغشّاةٌ بالذهب الابريز. وعليها كان يوضع صفّان من الارغفة كلّ صفّ اثنا عشر رغيفًا . وكانت تُبدَّل كلّ

اسبوع * ولم يكن ماذونًا لاحد ان ياكل من تلك الارغفة الاّ للكهنة فقط . وكانت تُدعَى خبز التقدمة . وكان الله قد جعل عددها اثني عشر اشارةً الى اسباط اسرائيل الاثني عشر . والى أَنّ كلًّا منهم حقيقٌ ان يصيبهُ حصّةٌ من بركاتهِ * وفي هذه الجهة من القبّة في الناحية الاخرى كانت منارة الذهب . وكان بهذه المنارة سبعة فروع مركوزة كلّها على مِيل واحد . وهو الفرع الاوسط المكمّل السبعة . وجميع اطرافها كانت متْقَنَةً ومنتظمة بصناعة دقيقةٍ . وكان على كلّ فرع منها سراجٌ ذهبيّ بديع الاتقان مملوٌّ من الزيت النظيف . وكان المكلَّف يومًا فيومًا بايقادها الحبر الاعظم بنفسهِ . وتشتعل مدّة الليل في القبّة * وبين خبز التقدمة ومنارة الذهب نُصب مذبح البخور . وسُمّي كذلك من اجل الطيب الذي كان يُوقَد فيهِ على الدوام إجلالاً للربّ * وكان في ظاهرِ القبّة عند المدخل مذبحٌ من نحاس يقال لهُ مذبح المُحرَقات . وكان معيّنًا للضحيّة . وفيهِ تُحرَق لحومها وشحومها * وبين هذا المذبح والقبة كان حوض كبير فيهِ يغتسل الكهنة قبل الاخذ في رسوم خدمتهم * والعرصة التي كانت حول القبّة قيل لها الدار . وكانت محجوزة بحائطٍ من اثواب معلّقة على عُمُد من نحاس * ثمّ انّ موسى نظر في امر

لبس الحبر الاعظم واللاويّين . فرسم ان يلبسوا جميعًا قميصًا من كتّان مغزول بلا طيّات ويتنطّقوا بمنطقة مختلفة الالوان * وكان لرئيس الاحبار جبّة اخرى يلبسها فوق هذا القميص بلون الياقوت او الاسمانجوني مطرّزة بالذهب والجواهر والحجارة الكريمة *

ويوم نُصِبت القبّة باركها موسى . وكان ذلك في السنة الثانية بعد النجاة من مصر . وبارك كذلك المنارة والمائدة والمذبحين وكلّ ما كان مخصوصًا لعبادة الربّ * وعند ذلك غطّت سحابةٌ على القبّة . فامتلأَت القبّة من جلال الربّ بنوع محسوس * وكان اذا غابت السحابة عن القبّة . قام بنو اسرائيل للرحيل . واذا جلّلتها . فهناك وقفوا عن السير . وحلّوا مكانهم *

ورسم الله اعيادًا شتّى . وامر موسى بالتمسّك بها والمحافظة عليها . وذلك لاجل تخليد ذكر الحوادث العظيمة والامور العجيبة التي ابداها سبحانهُ في شان شعبهِ . ولاجل اثباتهم على عبادتهِ بمحاسن الشعائر القدسيّة الجليلة * وكان اجلّ هذه الاعياد واوّلها يوم السبت . وهو اليوم السابع من الاسبوع . ورُسم حفظهُ لذكر خلق العالم * والثاني كان الفصح . ورُسم لذكر خروج بني اسرائيل من مصر والنعمة التي انعم بها الله على

شعبهِ في قتل أبكار المصريّين . اذ عفا عن اطفال اسرائيل * والثالث عيد الخمسين او العنصرة . وفي هذا العيد كان يعيَّد ذكر إنزال الشريعة على موسى في جبل سيناء اليوم الخمسين بعد هجرة مصر . ولذلك كان هذا العيد يقع في اليوم الخمسين بعد عيد الفصح . وكانت تُقرَّب في هذا العيد باكورة الحصاد * والرابع عيد المظالّ . وكان يعيَّد بعد الحصاد . وفيهِ كان بنو اسرائيل يقيمون سبعة ايّام تحت خيام مصنوعة من الورق ذكرًا لاقامة اجدادهم في البرّيّة مدّة اربعين سنة تحت الخيام كالمسافرين * وكلٌّ من هذه الاعياد الثلاثة الكبيرة فُرِضت لهُ رسوم خصوصيّة . وكان بنو اسرائيل مامورين ان يحجّوا الى هيكل الله في هذه الاعياد *

واراد الله ان يوطّد شعبهُ في القيام بفرائضهِ ويطبع في قلوبهم الخشية من عدلهِ ورعاية شريعتهِ . فحدّ على متجاوزي اوامرهِ عقابًا جسيمًا * وفرض من الجملة ان تكون النار محفوظةً على الدوام فوق مذبح المحرقات . ولم يكن مباحًا ان يُوقَد الطيب الاّ بهذه النار المقدَّسة * وحدث انّ ناداب وابيهو ابنَيْ هرون الاكبرين احتقرا هذا الفرض المقدّس وجعلا في مباخرهما نارًا غريبة نجسةً . فقامت عليهما عجاجة ملتهبة

وابتلعتهما * ثمّ نزل بعد هذا القصاص الاوّل قصاص آخَر من لدن عدل الله ليكون عبرةً لِلآتين: وذلك انّ اثنين تخاصما. فاخذت احدهما حدّة الغضب. فجدّف على اسم الله القدّوس. فقُبِض عليهِ ورُفِع الى موسى * فاستعلم موسى الله في ما يجب عملهُ. فانزل الله عليهِ امرًا بان يُساق المجدّف الى خارج المحلّة ويُرجَم هناك * وجرى مثالٌ ثالثٌ من هذا القبيل موسومٌ باشتداد العدل على ناقضي السبت. فانّهُ حدث انّ رجلاً استهان بالشرع فجمع حطبًا في يوم السبت. فنزل امر الله فيهِ ان يُقتَل مرجومًا * ثمّ انّ مريم أُخت موسى سُمِع منها دمدمات على اخيها موسى. فاعتراها من بغتةٍ برَص مذيب وشقّ عليها في الغايةِ. ولسببهِ عُزلت عن الجماعة. ونُفيت عن المحلّة مدّة سبعة ايّام. وفي النهاية برِئَت بدعاء موسى * وكان من جملة اللاويّين داثان وقورح وابيرام: هؤلآء اشتهروا بتذمّرهم وبغيهم على موسى وهُرون. وكانوا يطمعون في ان يرتقوا الى رتبة عظيم الكهنة. وقد تحزّب لهم مايتان وخمسون رجلاً * فقال لهم موسى ان يدنوا بمباخرهم قدّام الربّ ويقرّبوا لهُ البخور. وكان هُرون ان يفعل مثل ذلك * ولكن لمّا عبر هؤلآء الثلاثة الماردون عتبات خيمهم. اذ حلّ بهم الغضب الالهيّ. فخذلهم واخزاهم جزآء

عن خطيّتهم * فانفرد عنهم بنو اسرائيل حتّى لم يبقَ حولهم سوى نسآئهم واولادهم . وفي الحال انشقّت الارض وابتلعت داثان وقورح وابيرام مع خِيَمهم وسائر مقتنياتهم *

الفصل الثامن

ضرب بني اسرائيل في البرّيّة — دمدمات جديدة — حيّة النحاس — اتان بلعام — وفاة موسي — نصب يشوع قاضيًا علي اسرائيل — عبور الاردنّ — خراب اريحا — افتتاح بلاد كنعان — وفاة يشوع

بعد ما قضى بنو اسرائيل نحو سنة في برّيّة سينآء . اخذوا بالمسير . فبلغوا اخيرًا الى حدود ارض كنعان * فأرسل موسى من كلّ سبط رجلًا ليجسّوا البلد . فعادوا بعد اربعين يومًا حاملين عنقودَ عنبٍ وتينًا ورُمّانًا . كلّ ذلك دليلًا على خصب الارض وجودة الفواكه * ولكنّهم عند جلبهم هذه التحف قالوا : انّ البلد سكّانهُ أبطال جبابرة . والمدخل اليهِ ممنوع بمدائن محصّنة بأسوارٍ * فلمّا سمعت جماعة اسرائيل هذه الاخبار .

اخذتهم الرعبة وضجّوا وارتعدوا *

وكان كالب ويشوع من جملة الجواسيس الموكّلين . فحاولا ان يهدّئا القوم ويكفّاهم عن الدمدمة وافرغا جهدهما في أَنْ يقنعاهم بأَنّ آل كنعان يهون على اسرائيل الظفر بهم * ولكنّ القوم كان كلام المرسَلين الآخَرين قد ارعبهم . فلم يزالوا يدمدمون على موسى ويقولون : ليتنا متنا في مصر . وكاد كالب ويشوع يُرجَمان * وعند ذلك قال الله لموسى في شان بني اسرائيل : حتّى مَ هؤلآء القوم يهينونني في الكلام . حتّى مَ لا ينفكّون كافرين بي مع جميع ما صنعتهُ معهم من المعجزات . فلأُعاملنّهم بما يهْوَوْن . ولا يدخلنّ ارض الميعاد احدٌ منهم من الرجال المُحصَين من بني عشرين سنة فصاعدًا الاّ كالب ويشوع . وليموتُنّ جميعًا قاطبةً في القفر . وليتيهنّ اولادهم فيهِ مدّة اربعين سنة * فلمّا بلّغ موسى هذا كلام الله الى الشعب . اخذتهم كآبة عظيمة . الاّ انّهم في الغد بلا رضى موسى توجّهوا نحو ارض كنعان ظانّين انّهم بذلك يصالحون الربّ * فنزل عليهم العمالقة والكنعانيّون من جبالهم . وقاتلوهم واستظهروا عليهم حتّى هزموهم . وقتلوا عدّة منهم كبيرة * فالتزم بنو اسرائيل ان يتيهوا زمانًا طويلاً في براري واسعة مقفرة * وفي الشهر الاوّل من

السنة الاربعين قدموا على بريّة صين واستقرّوا في قادس. وإذا الماء اعوزهم. فتذمّروا على موسى وهرون قائلين: على مَ اتيتما بنا الى هذا الموضع الرديّ الذي لا يُزرَع ولا ينبت كَرْمًا او تينًا او رمّانًا. وفيهِ كلّ شيءٍ معدوم حتّى الماء * فدعا موسى الربّ. فقال لهُ الربّ: خذ عصاك واجمع الشعب. وكلّم الصخرة. فتنبع ماء * فجمع موسى الجماعة. ولكنّهُ لم يكلّم الصخرة. بل ضربها مرّتين كمن يشكّ في كلام الله * فاغتاظ الله من شكّ موسى هذا. وقال لهُ: اعلم انّهُ من سبب ارتيابك في قولي لن تدخل ببني اسرائيل الارض التي وُعدتم بها *

ثمّ بلغ بنو اسرائيل الى حدود بلاد آدوم. فتعرّض لهم ملك الادوميّين. وحجز السبيل عنهم ومنعهم من الدخول في اراضيهِ. وطلع عليهم بجيش كبير. فاضطرّوا ان يكرّوا القهقرى الى طريق البرّيّة * فاخذوا يدمدمون كعادتهم ويقولون: أَنبقى دائمًا في هذه الأَقفار المهلكة. وها نحن بلا خبز. والماء رديٌّ بل قليل لا يكفينا. وقد سئمت نفوسنا منذ زمان طويل هذا الطعام السخيف الذي يقع مع الندى * فلمّا راى الله لُؤمهم وكفرهم وقلّة شكرهم. ارسل عليهم حيّات لسْعُها يحرق كالنار. فقتلت منهم جمًّا غفيرًا * وفي اثناء هذه المقتلة رقّ الله لهم

وأَبطل هذه الضربة . وأَمر موسى بأَنْ يصنع حيةً من نحاس . فصنعها موسى ونصبها . وصار من ينظر اليها من الملسوعين يبرأ * اعلم انّ هذه الحيّة كانت رمزًا عن المسيح الذي من اجلنا اتّخذ شكل الجسد المجرم وشِبهَ الخطيّة لا سمَّها . وارتفع على الصليب وابرأَ الجراح التي ورثها الناس من خطيّة آدم *

ثمَّ انَّ ابناء اسرائيل لم يبرحوا في المسير حتّى ضربوا خيامهم على حدود ارض الموابيّين . فبلغ مسامع ملكهم (وكان اسمهُ بالاق) جميع ما فعل بنو اسرائيل في القبائل المجاورة . فرأَى انّهُ لا يقدر على مقاومتهم * فدعا اليهِ بلعام احد انبيائهِ الكذبة . وامرهُ ان يلعن اسرائيل * فأَبى بلعام . فوعدهُ الملك بشيءٍ كثير من الذهب وبهدايا كريمة . فانخدع بالطمع * وركب هذا النبيّ الكذّاب أَتانًا . واخذ سبيلهُ ليقضي اوامر سيّدهِ . وبينما هو في وسط الطريق . اذا بملاكٍ غير منظورٍ قبض على لجام البهيمة . ولم يكن بلعام يبصرهُ . فجعل يضرب الاتان ويوجعها * فأَطلق الله فم الأَتان وأَذن لها ان تشكو . وفي ذاك الحين بعينهِ فتح الربّ عيني بلعام . فعاين الملَاك واقفًا في السكّة بسيف مسلول * ولمّا كان بالاق قد اراد ان يغتصب بلعام ان يلعن بني اسرائيل . شرع بلعام يتكلّم . فاذا بالربّ هدى لسانهُ . فلم

ينطق الاّ بالبركات * فانهُ قال: كيف العن من لم يلعنهُ الله. مَن ترى يستطيع ان يُحصي كثرة نسل يعقوب النسل الوافر مثل الغبار. ومن يعرف عدد اولاد اسرائيل. انّ هؤلآءِ القوم سينهضون كالأُسود التي لا تستقرّ حتى تبتلع فريستها *

ثمَّ انّ موسى أَحصى عدد الشعب بأَمر الله. فرأى انهُ لم يبقَ رجلٌ واحدٌ من جميع الذين خرجوا من مصر. لانّ الربّ كان قد قضى عليهم ان يموتوا في القفر. حتى انّ هرون نفسهُ كان قد مات منذ اشهر قلائل. وخلفهُ في الرتبة الكهنوتيّة ابنهُ اليعازر * فاستدعى موسى يشوع وقال لهُ: قد فوّضتُ الى عهدتك سياسة بني اسرائيل وأَمْرَ استيلآئهم على ارض الميعاد * وبإِذنهِ تعالى أختار ايضاً موسى اثني عشر الف رجلٍ. وسلّم امارتهم لفنحاس ليذهبوا ويقاتلوا آل مديان. فقاتلوهم واستظهروا عليهم بالتمام. حتّى قتلوا ملوكهم وضربوا الرجال اجمعين بحدّ السيف الى آخرهم. واستاقوا غنيمة عظيمة من النسآء والصبيان والمواشي والاموال * وهذه الغلبة سوّغت لموسى ان يدنو من ارض الميعاد وان يستولي على كلّ الارض الواقعة الى الجهة الشرقيّة من الاردنّ * واعطى موسى بلاد جلعاد لسبطَيْ جاد وروبين واشعبةٍ من سبط منسّى * وبعد

ان وعظ موسى الشعب بحفظ ذكر احسانات الربّ والقيام باوامرهِ بنصحٍ. ارتقى الى ذروة الجبل الذي عليهِ كان لهُ ان يموت. ومن هناك بارك جميع أَسباط اسرائيل * وهناك ايضاً اراهُ الله ارض الميعاد التي لم يكن ليدخلها. وقال لهُ: هذه هي البلاد التي أَقسمتُ ان اهبها لذرّيّة ابرهيم واسحق ويعقوب * وتُوفّي موسى في ذلك الموضع بعينهِ. ولهُ من العمر مِائة وعشرون سنة. ولم يطّلع احد من الناس على حقيقة الموضع الذي دُفن فيهِ موسى * واعلم انّ فضائل موسى ومناقبهُ الجليلة لم يزَل الآبآء الفاضلون يصفونها ويمدحونها باجلّ التقريظ. ونعتوهُ خصوصاً لامانتهِ وحِلمهِ وشجاعتهِ * وقال الكتاب: انّهُ من ثَمَّ لم يقُمْ في اسرائيل نبيٌّ شبيه بموسى ناجاهُ الربّ وجهاً بازآءِ وجه وصنع مثلما صنع هو من الأَعمال الجليلة المدهشة * وناح اسرائيل اجمع على وفاة موسى مدّة ثلاثين يوماً. وبويع بالخلافة يشوع باتّفاق الشعب كلّهم *

(سنة ٢٥٥٣ للخليقة وهي سنة ١٤٥١ ق م) - وفتح يشوع امرهُ بآيتين بديعتين * فانّهُ كان من الضرورة لدخول ارض الميعاد ان يُعبَر الاردنّ الذي كانت مياهُهُ في تلك الشهور واسعة عميقةً. فقال يشوع للشعب: تطهّروا. فانّ الربّ يفعل

غدًا امورًا عجيبة * ولمّا وضع الكهنة الحاملون تابوت العهد ارجلهم في النهر . اذا بالمياه العالية وقفت عن الجريان والنازلة انسابت نحو البحر المائت * فعبر الشعب باسرهِ نهر الاردنّ بارجل ناشفة . كما كان من قبل قد جاز البحر الاحمر * ولمّا خرج التابوت من وَسَط النهر . اذا بالمياه التي كانت قد انتصبت حين عبروا تساقطت بانزعاجٍ . واخذت بالجري كعادة طبعها * ونصب يشوع نصبةً من حجارةٍ لحفظ ذِكر هذه الاعجوبة * واعلم أَنّ عبور الاردنّ قد اعتُبر بمقام صورة المعموذيّة . وذلك أَنّهُ كما انّ عبور الاردنّ فتح لبني اسرائيل ابواب ارض الميعاد . كذلك سرّ العماذ يفتح للمسيحيّين طريقًا جديدًا ويوجّه أَهوآءَ قلوبهم نحو مقصود جليل شريف * ثمّ انّ اوّل مدينة صادفها أَبنآءُ اسرائيل بعقب عبورهم النهر كانت ايريحا . فارسل يشوع اليها جواسيس . فرجع الجواسيس واخبروا عنها أَخبارًا طيّبة * وقالوا انّ المدينة في انخذال . وهي كَمَنْ قد انكسر وغُلب * وذلك انّ رواية الآيات التي صنعها الله في شان بني اسرائيل كانت قد طعنت قلوب اهل ايريحا برعبةٍ لم يكن بدٌّ منها . الّا انّ مدينتهم كانت محوّطة بأَسوارٍ سميكة الى الغاية . وكانوا من جرى ذلك متّكلين على

مناعة حصونهم. فلبثوا ينتظرون العبرانيّين * فقال الله ليشوع: دوروا حول المدينة يا معشر المقاتلين دفعةً في النهار. وافعلوا هكذا ستّة ايّام * وليأخذ الكهنة في اليوم السابع سبعة ابواق الجَلَبة ويسيروا قدّام تابوت العهد. فيدوروا حول المدينة سبع دَفَعات. ويضرب الكهنة بالابواق. وفي الدفعة السابعة يجلّب جميع الشعب جلبة عظيمة. فتتساقط اسوار المدينة * ففعلوا كذلك. فسقطت تلك الحصون والسدود التي كان ظاهرها يُنبئ انّها لا تُفتَح. وانهدمت بصوت البوق لا غير * فدخل بنواسرائيل المدينة ونهبوها. ونهاهم يشوع من قبل الربّ عن ان يسرقوا شيئًا * ثمّ نصبوا الحصار على مدينة غاي. وفي الوقعة الاولى كانت الدائرة على بني اسرائيل * فتصاغر يشوع بين يدي الربّ. وابتهل اليهِ أَن يعلمهُ سبب هذه الكسرة * فجاوبهُ الله قائلاً: انّ اسرائيل قد اخطأوا وتجاوزوا النهي الذي نهيتهم ايّاهُ. ولنوال المدَد من السمآء من جديد. ينبغي ان يُعاقَب المجرم * فجمع يشوع الشعب. وأُلقيت القُرْعة في الأَسباط. فوقعت على سِبط يهوذا. وفيهِ على عشيرة زارح. وفيها على بيت زبدي. وفيهِ على عاخان. وكان ابنَ كرمي بنِ زبدي بن زارح من سِبط يهوذا * فاقرّ بذنبهِ. اي أَنَّهُ كان قد

اختلس خلافًا لامر الربّ في غزوة ايريحا عدّة امتعة ثمينة . فحُكم عليهِ بالرجم * ولمّا قُتل عاخان . هدأ غيظ الله فنصر جيوش اسرائيل. ففتحوا مدينة غاي *

وكانت هذه الغلبة فاتحةً لوقائع عظيمة شديدةٍ . لانّ ملوك بلاد كنعان تحالفوا وتعاهدوا بالمعاضدة والمعاونة لدفع اهوال اسرائيل * واستعمل الجبعونيّون منهم المكر . وذلك انّهم وفدوا الى يشوع وقالوا لهُ : قد اتينا من ارضٍ بعيدةٍ . وقد سمعنا اخبار غلباتكم . فحملنا ذلك على ان نرغب في معاهدتكم . انظروا احذيتنا وثيابنا . فانّ السّفَر قد ابلاها . وامتعتنا قد تسحّقت . وسنموت لامحالة نكدًا ان لم تساعدنا وتحمِنا * فانخدع يشوع بهذه الأقوال . وتغافل عن ان يستعلم الربّ ولم يفطن بالحيلة . فضرب لهم الميثاق ووكّد بالقَسَم انّهُ لن يقاتلهم ابدًا * وبعد ثلاثة ايّام مرّ بنو اسرائيل بارض الجبعونيّين واحسّوا بالخديعة . فاغتاظوا وحنقوا واضمروا الانتقام * فاقبل يشوع وابرَّ قَسَمهُ وعامل الجبعونيّين بالعدل . وذلك انّهُ انعم عليهم بالحيوة . غير انّهُ حكم عليهم بعبوديّة مؤبَّدة . والزمهم ان يقطعوا الحطب ويحملوا الأحمال لبني اسرائيل * ثمَّ انَّ ملوك كنعان وقبائلهم اضطربوا من إقبال بني اسرائيل . فتعاهدوا على ان

يحاربوهم ٭ ولمّا فعلوا ذلك . غلبوا . لانّ الله اوقع الفزع في عساكرهم . وشملتهم البلبلة وولّوا منهزمين . وفي أَثناءَ هزيمتهم امطر الله عليهم بَرَدًا من حجارةٍ . فأَهلك منهم عددًا وافرًا ٭ وخاف يشوع ان ينقضي النهار قبل تمام كسر الاعدآء . فنادى صارخًا قُدَّام اسرائيل وقائلًا : ايَّتها الشمس قفي على جبعون ٭ واذا بالشمس اجابت الى صوت انسانٍ حبيب الى الله . ووقفت في وسَط السمآء الى ان اباد شعب اسرائيل اعدآءَهُ عن آخِرهم ٭ ولم ينفكّ يشوع فائزًا ظافرًا والامم الوثنيّون يولّون هاربين من امامهِ . ولم ينقضِ النهار حتّى تملّك بنو اسرائيل شيئًا فشيئًا على الميراث الذي وعد الله بهِ جدودهم ٭ وقد احصى الكتاب المقدّس واحدًا وثلاثين ملكًا قُتلوا في مدّة ستّ سنين على يد يشوع خليفة موسى ٭ ولمّا قرضوا الاعدآءَ وفرغوا من الحروب . قسم يشوع الارض التي اكتسبوها قسمةً عادلةً بِرِّيّة بين الأَسباط . ولا سيّما الأَسباط التي لم تكن قد اصابت بعدُ شيئًا ٭ امّا سِبط لاوي فلم يكن لهُ حصّة في هذه القسمة . لانّ رجال هذا السبط كانوا مخصَّصين لعبادة الربّ بامتيازٍ عن سواهم . وكان لهم أَن ياخذوا من اسرائيل عشور جميع الحبوب والأَثمار والدوابّ ٭ وجمع يشوع بني اسرائيل كافّةً في شخيم . وجدّد ميثاق

الربّ معهم . وذكّرهم جميع الاحسانات التي نالوها * ثمّ ناشد الشعب وامرهم ان لا يتّخذوا ابدًا الاهًا غير الربّ . وأنْ يلازموا شريعتهُ بنصح وطاعة . ثمّ مات يشوع ولهُ من العمر مائةٌ وعشر سنين . وتأسّف عليهِ كلّ احد * وعلى هذا المنوال كان الفراغ من افتتاح الارض الموعود بها على يد رجل شجاع حازم . وهو الذي الزم بني اسرائيل ان يتمسّكوا بشريعة الله . ونجا بحُسْن سياستهِ من تشكّياتهم * ولكنّ اجلّ ما زان يشوع هو ما يشير اليهِ اسمهُ الذي معناهُ المخلّص . لانّهُ كان رمزًا عن المسيح الذي خلّص جميع الشعوب قاطبةً *

الفصل التاسع

سياسة الشيوخ والقضاة — دبورة — جدعون — يفتاح

(سنة ٢٧١٩ للخليقة وهي سنة ١٢٨٥ ق م) — من بعد وفاة يشوع رجع بنو اسرائيل الى محاربة الكنعانيّين . وعند بازاق

ظفروا بعشرة آلاف رجل مع قائدهم ادونيبازاق ملك ساليم وهي اورشليم * فقبضوا على هذا الملك وقطعوا انامل يديهِ ورجليهِ. فقال: واويلاه. اني عذّبتُ بهذا العذاب سبعين ملكًا. وجعلتهم يأكلون تحت مائدتي من فضلات طعامي. فعاملني الله بمثلما عاملتُ غيري * وبعد هذه الغلبة افتتح بنو اسرائيل عدّة مُدُن معتبرة. من جملتها اورشليم وعسقلان وغزّة * ولكنّهم تحالفوا مع سكّان الارض الأوّلين. فبقوا فيما بينهم. وكان بقاؤهم مهلكة لبني اسرائيل. فانّهم لم يلبثوا ان تركوا الربّ اله آبائهم وعبدوا آلهةً غريبة * فسخط الربّ عليهم عدلًا. واسلمهم في ايدي اعدائهم * ثمّ اشفق اخيرًا عليهم. فأقام لهم قادةً جددًا (وهم الذين سُمّوا القضاة) ليفكّوهم من ايدي ظالميهم * ومن جملة هؤلاء القضاة عَثنائيل واهود وشمجار. وهم اصبحوا الواحد بعد الآخر مخلّصي بني اسرائيل بعد ان امسوا تحت رقّ قبائل مختلفة. وذلك لسبب انهم اغاظوا الربّ *

(سنة ٢٧٣٤ للخليقة وهي سنة ١٢٧٠ ق م) — قامت في بني اسرائيل قاضيةً امرأة اسمها دبورة. واظهرت بثبات سليقتها وبحزمها الثاقب أنّها كانت اهلًا للمنزلة التي نصبتها فيها المشيئة الالهيّة. فلمّا راى يابين ملك كنعان انّ الانتصار على امرأة مقاتلة هو

من اسهل الامور. نادى بالحرب على بني اسرائيل * وكان رئيس جيوشهِ يُدعَى سيسرى. فنهض على اسرائيل. وتبعهُ جيشٌ منيع مع عربات كثيرة * فامتلأَت دبورة من روح الله. وجهّزت عساكر ونظّمت عشرة آلاف رجل. وجعلت قيادتهم في يد باراق. ومشت هي بنفسها بشجاعةٍ تلقآء الكنعانيّين * فلمّا رأَى الكنعانيّون ذلك. اخذتهم الرعبة فجأة. وتفرّقوا ايادي سبَا من كلّ جانب. ولم يبقَ لقائدهم سيسرى رجآء النجاة الّا في الهزيمة * فالتمس ملجاً عند يائيل زوجة حابير. وكان حابير اميرًا قد تعاهد مع يابين الملك * ففتحت يائيل خيمتها واقتبلت سيسرى. وقدّمت لهُ لَبَناً. وعرضت عليهِ ان يستريح ليستردّ قوّتهُ النافدة بالقتال * فاعجب الراي سيسرى. واضطجع على الحضيض وتغطّى بردائهِ. ولم يلبث ان غمّض عينيهِ وغفا * فقامت يائيل واخذت وتدًا من اوتاد الخيمة. وانفذتهُ في دماغ سيسرى. لانّها كانت من حزب بني اسرائيل * فاتى في غضون ذلك باراق. ووجد سيسرى مطروحًا مائتًا * ثمّ انّ دبورة شكرت الربّ على الغلَبة التي بها تظفّرت * وعلى هذا الاسلوب ختمت امرأة ما بدأتهُ أُخرى. وظهر للعالم أنّ الله يختار احيانًا أضعف الناس لكي يخزي اقواهم * غير أنّ الخطايا بعد ان بطلت من

شعب الله مدّة حياة دبورة . رجعت في الظهور عقب موتها وتفاقمت . حتى انّ الله غضب عليهم وخذلهم مدّة سبع سنين . اذ سلّط عليهم المديانيّين فساموهم الخسف *

(في سنة ٢٧٥٩ للخليقة وهي سنة ١٢٤٥ ق م) — وفي الآخر ترحّم الله على بني اسرائيل وقد هدّأت غضبَهُ صلواتهم وابتهالاتهم . فاقام لهم مخلّصًا * وذلك أنّ ملاك الربّ دخل على جدعون وهو رجلٌ من سبط منسّى. وقال لهُ : الربّ معك يا أقوى الخَلق . اذهب بهذه القوّة المتدرّع أنت بها . واعتق اسرائيل من بأس المديانيّين . واضربهم كما يُضرَب الرجلُ الواحد * فبهت جدعون في اوّل الامر . وقال للملاك : انّي عشتُ الى الآن غير مشهور عند الناس. وليس لي ذِكرٌ ولاجاهٌ. فلا طاقة لي أن أقوم بهذه الرسالة الجليلة * فصنع الملاك آيةً . وبها بيّن صحّة كلامهِ . وعند ذلك تسربل جدعون بجرارةٍ قدسيّة . وقرّر في نفسهِ ان يهدم صنم بعل وأن يبتني بردمهِ مذبحًا لله * وأنجز عزمهُ هذا في آناء الليل . وقطع الشجر الذي كان ينمو حول مذبح بعل * ولمّا بلغ القوم في الغد أنّ جدعون هو الذي ارتكب هذا العمل. طلبوا قتلهُ * ولكنّ جدعون نجا برزانة عقل ابيهِ . فهذا اذ رآهم يضجّون ويصرخون صراخًا شنيعًا . أسكتهم

بقولهِ: ان كان بعل الاهاً. فلينتقم بنفسهِ من صاحب هذه الاهانة. ولا يترك للناس ان ياخذوا ثارهُ بدلاً عنهُ * ومنذ حينئذٍ لم يعُد جدعون يهمّهُ سوى امر انقاذ بني اسرائيل من الجَوْر الذي عليهم والتماس السبيل لذلك * وكان بنو اسرائيل قد نغّصت عيشهم ودمّرتهم قبيلتان مقتدرتان وهما مديان وعماليق * فحلّ روح الربّ على جدعون. فأَمر أن يُهتَف بالبوق وان تلتئم الأسباط كلّها * وطلب جدعون الى الله آيتيْن جديدتين تظهران من لدنهِ تعالى لاثبات رسالتهِ * فاستجاب الله لهُ. وذلك انّ جدعون وضع في وسط الحقل جزّة صوف. فابتلّت الجزّة في الليل بالنّدَى. ولم يُصِب العشب الذي حولها من الرطوبة قَطْرة واحدة * وفي الغد حدث عكس ذلك. فانّ الارض كلّها أصبحت مبلولة بالطلّ الاّ جزّة جدعون فانّها بقيت ناشفة * وهاتان الاعجوبتان ايّدتا رسالة جدعون وحماية الله لهُ. واتُّخذتا بمقام فألٍ سعيدٍ على الغلَبات التي اصابها فيما بعد * وهكذا امتلأ بنو اسرائيل ثقةً دينيّةً. وبادروا الى اخذ الاسلحة. وحلّوا قبالة معسكر المديانيّين * الاّ أنّ الله قال لجدعون: انّ الذين معك كثيرون. وما كنتُ لأَدفع مديان في ايدي جيش غفير مثل هذا. لئلاّ يفتخر اسرائيل عليَّ وينسب ظَفَرهُ

الى قوّة نفسهِ. ثمّ أن يُنادَى في المعسكر كلّهِ: انّ الذين هم جبناءَ جزوعوا القلب لهم أن يعودوا الى بيوتهم * فلمّا انتشرت هذه المناداة. ترك العسكر اثنان وعشرون الف اسرآئيليّ. وانصرفوا الى حالهم. ولم يبقَ ضمن الجيش سوى عشرة آلاف مقاتل لا غير * ثمَّ رأى الله انّ هذا العدد لم يزَل كثيرًا. فأمر جدعون ان يصنع نخبةً منهم على حال عبورهم نهر الاردنّ * وذلك انّ كثيرًا من الجنود كانوا قد بركوا على شاطئ النهر عندما شربوا منهُ. ولكنّ ثلاثماية منهم فقط تناولوا وهم في المرور قليلاً من المآء بحفناتهم. وادنوها الى افواههم * ففُضّل هؤلآء على الآخرين. وتقدّم جدعون امامهم قبالة آل مديان * وفي الليل مضى جدعون الى معسكر الاعدآء كما أمرهُ الله. فسمع جنديًّا يقتصّ رويا على أحد رفقائهِ قائلاً: كنتُ قد وضعتُ رغيفًا تحت الرماد وقعدتُ اسهر حتى يُخبَز. واذا الرغيف قد تدحرج بشبه جبل. وانقضَّ بصوت الرعد على خيمتي فطحنها طحنًا * فاجاب صاحبهُ: إنْ هذا الاّ جيش جدعون الذي سيجعل معسكر مديان كالهبآء المنثور * فامتلأ جدعون فرحًا ورجع الى خاصّتهِ. واخذ يحثّهم على الحماسة باقتصاص ما سمع. وأحضرَ ثمّة التجهيز للقتال * وناول كلاًّ من بني اسرائيل سلاحًا غريبًا يتضمّن رمزًا

وسرًّا: وذلك انّهُ اعطى كلّ مقاتل بُوقًا وإناءً من خزف داخلهُ سراجٌ مشعول. وقال لهم: اذا سمعتم هتاف البوق. فصيحوا معي وقولوا: حيٌّ هو الرب. حيٌّ هو الاه جدعون. ثمّ اعملوا كما تروني اعمل * وعند نصف الليل أُعطيت الاشارة المصطلح عليها. فهتف بنو اسرائيل بأبواقهم عند ابواب معسكر المديانيّين. وسحقوا في الحال آنيتهم الخزفيّة. ورفعوا سرجهم المشعولة. وهم يصيحون معًا قائلين: سيف الربّ. سيف جدعون * فاضطرب المديانيّون عندما سمعوا هذا الضجيج مقرونًا بلميع الاضوآء. ودخلت في افواجهم الرعبة. حتّى صاروا يركضون منهزمين بانزعاج ويهلكون بعضهم بعضًا في مُعظَم بلبلتهم *

وبعد هذه الغلبة ساس جدعون جمهور اسرائيل مدّة اربعين سنةً. فمات وخلّف عددًا وافرًا من البنين. ولم يعيشوا عقب ابيهم الاّ قليلًا * وكان احدهم ابن امرأةٍ من شخيم اسمهُ ابيمالك. هذا اثار فِتنًا شديدة وقد اغراهُ الطمع في المُلْك حتّى افضى بهِ الى الهلاك * ففي اوّل الامر اجتذب اليهِ رضى بني شخيم. وذلك بواسطة والدتهِ * وكان يقول لهم انّ اخوتهُ لا يستطيعون ابدًا أن يضبطوا زمام السياسة: ذلك بانّهم متعدّدون. فلا يمكن ان يملك الاتّفاق بينهم مدى الدهر. وأنّ

الراي هو ان يُقام مَلِكٌ واحد * وانَّهُ هو الذي كان حقيقًا أن يدّعي هذه المنزلة ويترجّاها لا غير * فصدّق بنو شخيم كلامهُ. وعرضوا عليهِ التاج * فقبل ابيمالك ذلك منهم • واستعان بكنوزهم. وسطا على اخوتهِ وفاز بهم. فقتلهم باجمعهم الّا اصغرهم وكان اسمهُ يوثام. وهو افلت بسرعة الهرب من البلآء المحتوم عليهِ * ثمّ انّ يوثام تنكّر ودخل محلّة بني شخيم. وعاتبهم على خيانتهم. واراد ان يُطلِعهم على الخطإِ الذي ارتكبوهُ. وضرب لهم مَثَلاً قائلاً: انّ اشجار الغاب ارادت ذات يومٍ أن تختار لها مَلِكًا. فاقبلتْ الى الزيتونة وعرضت عليها المُلْك. ثمّ الى التينة. ثمّ الى الكرمة. فتمنّعت هذه الاشجار الجليلة من تاج المُلْك * فتوجّهت الاشجار حينئذٍ نحو العوسج وقالت لهُ: هَلُمَّ كن ملكًا علينا * فتسلّم العوسج الحكومة لغباوتهِ. ووعد الاشجار بأن يحميهم من كلّ سوءٍ ويسترهم بظلّ جناحهِ * وكان ظاهر الامر انّ بني شخيم لم يفهموا مغزى هذا المثَل. فزاد يوثام قائلاً: سترون عمّا قليل كيف يصحّ كلامي عند ما يصيبكم ما يصيبكم *

وحدث كذلك. فانّ استطالة ابيمالك بالبغي ومظالمهُ نزعت عنهُ سريعًا قلوب تبعتهِ. فاخذوا يتظلّمون ويدمدمون. فغضب ابيمالك عليهم واخرب المدينة عن اساساتها. ثمّ اراد

أن يوسّع سلطانهُ ويتجاوز حدود بلادهِ . فوضع الحصار على مدينة اسمها ثيبس . وكانت محصّنةً بسدود مرتفعة * فدنا ابيمالك من السدود ليرمي فيها النار . وإذا بامرأة طرحت كُسارة حجر رحى من أعلى البرج . وإصابتهُ في دماغهِ وفتّتتهُ * فدعا ابيمالك لساعتهِ صاحب سلاحهِ . وقال : استلّ سيفك واقتلني . لئلاّ يقال انّي مُتُّ على يد امرأة * وعلى هذه الحالة جُوزيَ ابيمالك بقصاص ما أذاق اخوتهُ من العذاب جِورًا *

(سنة ٢٨١٦ للخليقة وهي سنة ١١٨٨ ق م) — وبعد موت ابيمالك الفاجر بايع بنو اسرائيل بالقضاء تولع . ثمّ يائير . وهاذان القاضيان لم يروِ عنهما الكتاب المقدّس سوى الاسم * وتخلّف بعدهما يفتاح . وكان هذا قد اشتهر بالحماسة . وكان اخوتهُ قد طردوهُ من بيت ابيهم لانّهُ كان مولودًا من غير امّهم . فهرب اتّقاءَ غضبهم . ونزل في ارض طوب * وكان في غضون ذلك الزمان ملك عمّون يقاتل بني اسرائيل * فلمّا ضاق ببني اسرائيل الامر . ارسلوا الى يفتاح رسلاً من اواجه الامّة يسالونهُ الإتيان لنجدتهم * فاجاب يفتاح الى سؤالهم . فاقاموهُ رئيسًا على اسرائيل . فزحف على جيش بني عمّون * ولمّا صار قبالة العدوّ . دعا الربّ أن يوتيهُ الغلبة . وأقسم أن

يقرّب لله قربانًا اوّل شيءٍ يخرج من بيتهِ لملتقاهُ . وكان نذرهُ هذا نذر الحماقة * واستجاب الله دعاءَهُ . فآتاهُ غلبةً تامّةً * ولمّا آب الى بيتهِ مظفّرًا . لمح ابنتهُ (وكانت وحيدة) مقبلة في رأس حبائبها . وهي تغنّي وتثني على اسرائيل لفلاحهِ باصوات الدفوف والطبول * فتمزّق قلب يفتاح من الحزن واخبرها بالبلاء المقضيّ عليها . فتحمّلت الفتاة الاسرائيليّة هذا الخبر بشجاعة . وطفقت تغنّي من جديد وتصف الكسرة الحالّة على بني عمّون . ثمّ استأذنت اباها وقضت شهرين على الجبال تبكي هذه المصيبة التي نالتها ومعها رفيقاتها * ولمّا انقضى الأَجل المسمّى . رجعت الى ابيها . فانجز معها النذر الذي كان قد نذرهُ * وجرت من ثَمّ عادةٌ . ولم تزَل من بعدُ محفوظةً : ان تجتمع بنات اسرائيل كافّةً مرّةً في السنة وينُحْنَ على بنت يفتاح مدّة اربعة ايّام *

الفصل العاشر

نعمى وراعوث وبوعز — قصّة شمشون

انّهُ لا يُعرَف الاّ شيءٌ يسير عن خلفاء يفتاح . وفي الكتاب المقدّس تُذكَر اسماؤُهم فقط من دون تفصيل اخبارهم *

ومن اخبارهم انهُ في ايّام عبدون قاضي اسرائيل رَحَل رجلٌ من بيت لحم اسمهُ اليمالك الى بلاد مواب بصحبة زوجتهِ نعمي وابنيها . وذلك من سبب مجاعة كانت اذ ذاك باسرائيل * ومات اليمالك في ارض الغربة . وكان ابناهُ قد تزوّجا بجاريتين من بنات تلك الارض * وانّ نعمي بعد أن ناحت على زوجها بزمن قليل . فقدت ابنيها كليهما . فزاد حزنها واشتدّ . فأَصبحت نعمي محرومة أسباب المعاش وقصدت الرجوع الى بيت لحم . فطلبت الى كنّتيها ان تعتزلا عنها وتصير كلّ منهما الى بيت ابيها * فاجابت زوجة الاكبر الى ذلك . وكان اسمها عرفة . وشقّ عليها فراق بيت احمائها * وامّا الصغرى واسمها راعوث فلم ترضَ ان تترك حماتها . بل قالت لها : انّي لن افارقكِ ابدًا . ولاذهبنّ حيثما ذهبتِ . ويكون قومكِ قومي . والهكِ الهي . ولن يفصلني عنكِ سوى المنيّة فحسبُ * فتعجّبت نعمي من هذا النصح . وأذنت لراعوث ان ترافقها . فرحلت معها الى بيت لحم . وبلغتا في اوان الحصاد * فقالت راعوث لحماتها : ان انتِ اذنتِ لي . خرجتُ الى الحقول ولقطتُ السنابل الساقطة عن الحصّادين حيثما وجدتُ رجلًا من اصحاب الزروع يظهر لي البشاشة . فاجابت نعمي قائلة : اذهبي يا ابنتي * فانطلقت

راعوث. وشرعت تلقط ورآء الحصّادين. فاتّفق انّ الحقل الذي وقعت فيهِ كان لبوعز احد ذوي قرابة اليمالك * وفي ذلك اليوم افتقد بوعز حصّاديهِ وقال لهم: الربّ معكم. فاجابوهُ قائلين: بارك الله عليك * ثمّ التفت بوعز الى الفتى الذي كان واقفًا على الحصّادين وسألهُ: مَن هذه الفتاة التي تلقط. قال: هذه هي الموابيّة التي قَدِمت من بلدها بصحبة نعمي. وقد استاذنتنا بان تتبع الحصّادين وتجمع ما يسقط منهم من لقيط السنبل. وهي في الحقل من الصباح الى هذهِ الساعة ولم تغِب لحظة من الزمان * فقال بوعز لراعوث: اسمعي يا ابنتي. لا تذهبي الى حقل آخر لتلقطي. ولكن ابقي هٰهنا واتّصلي ببناتي. والحقي الحصاد حيثما كان. لانّي أوصيتُ ان لا يتعرّض لك أحد * فترامت راعوث بوجهها على الارض وسجدت للرحمٰن. وقالت لبوعز: أنّى تأتيني هذه النعمة أن اجد رضى في عينيك. وان تخوّلني بفضلك هذا الاحسان انا المرأة الغريبة * قال لها بوعز: قد بلغني جميع ما صنعتِ في شان حماتكِ. جزاكِ الربّ الاه اسرائيل بخير. فاذا قامت ساعة الغدآء. فتعالي هنا وكلي مع حصّادي * ثمّ بعد ان اكلت. نهضت لترجع الى جمع اللقيط. فأوصى بوعز خدمهُ قائلاً: إِن ارادت ان

تحصد الشعير معكم . فلا تمنعوها . بل أَلقُوا تعمُّدًا من سنابل شمالكم . واتركوها لئلاَّ تخجل اذا التقطتها . ولا يكلّمنّها احد ابدًا في ما تجمعهُ * فالتقطت راعوث الى المسآء . ونفضت لقاطها . فوجدت نحو ثلاثة اكيال شعير * ورجعت الى المدينة وأرت ذلك لحماتها . فقالت لها حماتها : اين التقطتِ اليوم . ليكن مباركًا الرجل الذي ظفرتِ منهُ بلطفٍ . فأخبرتها بانّها التقطت في حقل بوعز . فقالت نعمي : باركِ الله فيهِ لانّي اراهُ يحسن الى زوجي وابنيَّ وهم موتى . كما كان يحسن اليهم وهم احيآء * ثمّ قالت : انّ هذا الرجل هو من قرابتنا . فعودي احصدي بين بناتهِ . لئلاّ يعارضك احدٌ بشرّ . انْ انطلقتِ الى حقل آخَر * قالت راعوث : انا فاعلةٌ ما أمرتِ بهِ * ثمّ اتّصلت في الأيّام التالية ببنات بوعز . وصارت تمضي معهنّ الى الحصاد الى أن رُفع الشعير والقمح الى المخازن *

ولمّا تمّ الحصاد . قال بوعز لراعوث : يا ابنتي بارك الربّ فيكِ . انّ جميع سكّان هذه المدينة يعرفون انّكِ امرأة فاضلة . وانا عالمٌ أنّي من قرابتكِ . فان لم أجدْ مَن يمانعني . اتّخذتكِ زوجةً لي باسم الربّ * وحكى بوعز نيّتهُ هذه لشيوخ المدينة وللجماعة كلّها . فصاحوا جميعًا بصوت واحد قائلين :

بارك الربّ في هذه المرأة الداخلة بيتك كما بارك يومًا في راحيل وليّا . ولتكن هذه كمثلهما قدوة لحسن السيرة . وليكن اسمها وجيهًا في بيت لحم *

فتزوّج بوعز براعوث . وبارك الله في هذه الزيجة فرزقهما ابنًا وسمّي عوبيد . وهو الذي صار ابًا ليسّي وجدًّا للمَلِك داود . وحينئذٍ قالت نساء بيت لحم لنعمي : تبارك الرحمٰن الذي لم يدعْ عشيرتكِ بدون خلف . وتفضّل ان يحفظ اسمهُ في اسرائيل . لكي يكون لكِ مَن يسلّيكِ ويعضدكِ في شيخوختكِ * فاخذت نعمي تعتني بتربية الطفل بنفسها متحفّظة عليهِ بجزيل الاهتمام والاحتراس *

(سنة ٢٨٤٨ للخليقة وهي سنة ١١٥٦ ق م) — وفي اثناء ذلك عاد بنو اسرائيل وارتكبوا جرائم جديدة واغاظوا الربّ . حتّى أسلمهم في ايدي الفلسطينيّين . وتركهم تحت عبوديّتهم اربعين سنةً * ثمّ لمّا تصاغروا بين يدي الله . اتاهم مخلّص وهو شمشون الذي اعانتهُ ذراع القدير . فكان اشدّ عدوٍّ لآل فلسطين * كان شمشون بن منوح من سبط دان . وبشّر ابواهُ بولادتهِ على سبيل غير بشريّ : وذلك أنّ ملاك الربّ ظهر لزوجة منوح وقال لها : انّكِ ستلدين ابنًا لن تصعد الموسى ابدًا على راسهِ . لانّهُ يكون نزيرًا اي منذورًا لله منذ ولادتهِ . ولن يشرب خمرًا ولا مسكرًا

قطعًا . فهو الذي ينقذ اسرائيل من يد الفلسطينيّين * واذ بلغ شمشون ثماني عشرة سنة من عمرهِ . كان اقوى الناس كافةً . فهوي ان يتزوّج بامرأة من بلاد الفلسطينيّين . وشبّ من سبب ذلك قتال * فاذ كان سائرًا ذات يوم الى مدينة تمنتة الى بيت ابوَيْ خطيبتهِ . لقي شبل ليث مقبلاً اليهِ يزأر وقد انتصبت ناصيتهُ . وعيناهُ تتقدان غيظًا . فمسكهُ شمشون وفسخهُ كما يُفسَخ الجدي . وقطّعهُ إِربًا اربًا * وبعد ايّام قلائل كان مارًّا بذلك الموضع . واذا بجثّة الشبل الذي قتلهُ وفي حلقومهِ كوارة نحل وشهد عسل * ولمّا كان يوم عرسهِ . عرض على الفتيان المدعوّين الى العرس هذه الاحجية وهي : طلع من فم الأكّال أُكل ومن القويّ حلاوة . وقال لهم : ان انتم فسّرتم هذه الاحجيّة في مدّة الايّام السبعة التي يكون فيها عيد عُرْسي . دفعتُ لكم ثلاثين خلعة . والاّ دفعتم ذلك لي . فرضوا بذلك * ولمّا آن اليوم السابع . لم يقدروا ان ياتوهُ بحلّ المسئلة . فعمدوا الى زوجتهِ وسألوها ذلك . فألحّت على شمشون حتّى كاشفها على مغزاهُ . فاطلعت الفتيان عليهِ * وحينئذٍ وافوهُ وهم يقولون : ايُّ شيءٍ احلى من العسل . وايّ شيءٍ اقوى من الليث * ففطن شمشون وايقن انّ زوجتهُ مكرت بهِ . واخذتهُ الحميّة .

فغزا عسقلان مدينة آل فلسطين الذين كانوا في حرب مع قومهِ . فقتل منهم ثلاثين رجلاً . واخذ ثيابهم . فاعطاها للّذين اتوهُ بجواب احجيّتهِ * ثمّ ارسل زوجتهُ الى بيت اهلها . فظنّت انّهُ طلّقها فنكحت واحدًا من الشباب الذين كانوا قد حضروا عُرسها . فعزم شمشون ان ياخذ ثارهُ . فقبض على ثلاثماية ثعلب . ووصلهنّ بعضًا ببعض من أذنابهنّ . وجعل على كلٍّ منهنّ سراجًا متّقدًا . واطلقهنّ وهنَّ في هذه الحال بين زروع الفلسطينيّين * فاحترقت غلّات السنة واستحالت الى رماد . وعبث الحريق ايضًا بالكرومِ والزيتون وسائر ما كان في الحقول * فعلم الفلسطينيّون من هو صانع هذه النكاية . واذ كانوا لا يستطيعون ان ينتقموا منهُ . احالوا غيظهم على زوجتهِ وحميهِ * ثمّ اجتمع ثلاثة آلاف رجل منهم . واتوا الى اراضي يهوذا وحلّوا فيها . وطلبوا من اهلها ان يدفعوا اليهم شمشون . وصاروا يكثّرون الوعيد والتهديد . فخاف بنو يهوذا وقرّروا ان يبلّغوا الفلسطينيّين سؤالهم * فكبسوا على شمشون وربطوهُ بحبلين غليظين . فقطّع الرُّبُط كما يُقطَّع الخيط الخفيف . وهجم على الفلسطينيّين . وكان سلاحهُ فكّ حمار لَقِيهُ في تلك الساعة . فقتل بهِ ما ينيف على الفِ رجل من

اعدآئهِ* ثمّ اجهدهُ التعب وكاد يموت عطشاً. فدعا الله فاستجاب لهُ. واذا سنٌّ من اسنان فكّ الحمار اضحت معين مآءٍ زلال. فاروى عطشهُ وعادت قوّتهُ* واراد شمشون ان تكون عرصة ذلك القتال ذكرًا مخلّدًا لغلبتهِ وعون الله ونصرهِ لهُ. وذلك من قبيل شكرهِ للاحسان الالهيّ. فسمّى ذلك الموضع باسم غير معهود يدلّ على ذكر الواقعة*

ثمّ انّ شمشون بعد هذه الوقائع الجليلة أُقيم قاضياً على اسرائيل* وفي غضون ذلك التمس الفلسطينيّون الذين كانوا قد ذلّوا من جرى كسراتهم ان يفتكوا بعدوّهم فجأةً. فبلغهم ذات يوم انّ شمشون دخل مدينة غزّة. فالتأموا واشتدّوا في العدو والاسراع حتّى وصلوا في ساعاتٍ قليلة الى أَسوار المدينة وحصّنوها. واغلقوا الابواب باحتراز. واقاموا جنودًا لحراسة الداخلين. وغيرهم لمراقبة الخارجين الى ظاهر مدينة غزّة. واتّخذوا جميع الحِيَل لكي لا يتمكّن عدوّهم من الهرب* غير انّ شمشون خيّب آمالهم. لانّهُ اذ شعر بالخطر الحاصل عليهِ. نهض في نصف الليل واتى الأَبوابَ في وسط الظلمة المدلهمّة. فقلعها مع مصاريعها وأَغلاقها. ووضعها على عاتقيهِ وحملها الى قمّة جبلٍ قريب*

ولكنّ هذا الجبّار الذي صنع كلّ هذه المعجزات غُلب بخديعة امرأة وثنيّة كان قد تزوّج بها واسمها دليلا. وذلك انّ الفسلطينيّين وعدوا دليلا بمبلغ جزيل من المال ان اطّلعت على حقيقة قوّة شمشون الغامضة واطلعتهم عليها * فكانت تلحّ عليهِ في ذلك. فيتخلّص منها باجوبة التعلّل. ومن جملة ذلك قال لها: انّ الحيلة لأكون كسائر الناس هي ان يربطوني بحبال جديدة. أو أن يشدّوا راسي بقاق من الخشب. ولمّا جرّبوا ذلك ولم يحصل المقصود. عرفت دليلا انّهُ خدعها * فجعلت تبكي وتشكو بين يديهِ. ولم تزل بذلك حتّى امالتهُ الى توسّلاتها. فكشف لها اخيرًا الحقيقة وقال لها: اعلمي أنّي نزيرٌ اي منذور للّه منذ ولادتي. فاذا حُلق راسي. غادرتني قوّتي وأصبحتُ ضعيفًا كسائر الخَلْق * فالتقطت دليلا هذهِ الكلمات. ومن ساعتها افادت الفلسطينيّين بها * فلمّا نام شمشون. أُتي بعبدٍ قد ارشوهُ لذلك. فقصّ شعرهُ على عجلٍ. وعند ذلك اقبل بنو فلسطين عليهِ * ولم يكن شمشون يدري بعدُ انّ الربّ قد انصرف عنهُ. فحاول ان يدافع كعادتهِ. فلم يجدهِ ذلك نفعًا. فهمّوا عليهِ وامسكوهُ. وفقأوا عينيهِ. والزموهُ ان يدور بحجر الرحى * فاحتمل شمشون ذلك بانقيادٍ ودعة مترقبًا اوان أخذ الثار. وأخذ شعر

راسهِ ينمو . وحَيلُهُ يتراجع اوّلاً فاوّلاً *

(سنة ٢٨٨٥ للخليقة وهي سنة ١١١٩ ق م) - وكان الفلسطينيّون يجعلون شمشون الماسور عندهم سُخْرَةً لهم فيانسون بذلك . فأتوا بهِ ذات يوم الى هيكل داغون معبودهم ليزيدوا بذلك بهجة العيد الذي كانوا معيّدين * فحضر شمشون ضريرًا ذليلاً . وشرعوا يلاعبونهُ ويؤنسهم . ثمّ طلب الى قائدهِ ان يوقفهُ بين العُمُد التي كان الهيكل كلّهُ مستندًا عليها . فقبض على عمودين منها قبضًا شديدًا . ودعا اسم الربّ مبتهلاً اليهِ ان يمكّنهُ من الانتقام لشعبهِ ولو دعا ذلك الى موتهِ * واذ شعر بانتعاش قوّتهِ الاولى . صار يزيد الزلزال . واذا بالبنيان اهوى برمّتهِ . وانردم بالخراب هو وثلاثة آلاف من الفلسطينيّين *

الفصل الحادي عشر

عالي وسموئيل — القضاة الاخيرون — تملّك شاول اوّلاً في اسرائيل — غلبانهُ — اوائل داود

(سنة ٢٨٤٨ للخليقة وهي سنة ١١٥٦ ق م) - انّهُ يوم بَشَّر

الملاك منوح بولادة شمشون واصطفائهِ . والدتْ امرأة من عَرْض آل اسرآئيل اسمها حنَّة ابنًا . ودعَت اسمهُ سموئيل . وتاويلهُ مطلوب من الله * فهذا الصبيّ الاسرآئيليّ نُذر وخُصَّ للربّ منذ طفوليّتهِ . وسُلّم بيد عاليٍ عظيم الكهنة الذي كان قد خَلَف شمشون في مقام قاضٍ على شعب اسرآئيل * وكان الله قد اثاب امَّهُ لتقواها باسباغ نعمهِ الكريمة عليهِ . حتّى انَّهُ اذ بلغ من العمر اثنتي عشرة سنة . كان يعضد عظيم الكهنة في دقائق مصالح خدمتهِ القدسيّة * وكان يرقد الى جانب قبّة العهد . فخال لهُ ذات ليلة انّهُ يسمع صوت منادٍ ينادِيهِ . فاستيقظ هبوبًا . فسمع من جديد هاتفًا يقول : سموئيل سموئيل . فبادر الى عظيم الكهنة لظنّهِ انّهُ هو الذي ناداهُ . فقال لهُ عالي : ارجع الى موضعك فانّي لم انادِك * ثمّ سمع سموئيل كذلك من ينادي باسمهِ ثلاث مرّات اخرى . وفي المرّة الاخيرة قال لله تعالى كما علّمهُ عالي : تكلّم يا ربّ . فانّ عبدك يسمع * فقال الربّ لسموئيل : قد كاد الحكم المقضيّ يجري على عالي واهلهِ . لانّهُ غضَّ الطَّرْف عمّا ارتكبهُ ابناهُ وهما حَفني وفنحاس من المنكرات والمعاصي . وقد دنا اجلهما . وعمّا قليل تخرج رياسة الكهنوت من بيتهما الى الابد * وبعد قليل صحّت هذه النبوّة . لانّهُ شبّت حرب بين آل اسرآئيل وآل فلسطين .

وصارت الدائرة على آل اسرائيل. فانخذلوا وحملوا تابوت العهد الى المحلّة باحتفال واجلال * وكان حفني وفنحاس ابنا عظيم الكهنة مشيّعين التابوت * فثار القتال. وعند اوّل مصادرة وقع الابنان قتيلين. وسُبي تابوت العهد. وتعطّل ثلاثون الفًا من بني اسرائيل * وكان عالي منتظرًا اخبار القتال وهو قَلِقٌ جازعٌ لا يستقرّ خوفًا على التابوت المقدّس. واذا بأحد المنفلتين بلّغهُ بما جرى على بني اسرائيل. وبموت ابنيهِ. وبأخْذ التابوت * فسقط عظيم الكهنة عند هذا الخبر من كرسيّهِ الى ورائهِ واندقّ رأْسهُ ومات *

أمّا تابوت العهد فاخذهُ الفلسطينيّون ووضعوهُ في هيكل تجاه صنم داغون. وخلطوا عبادة الله مع عبادة الشيطان اجارنا الله من ذلك * فاظهر الله عزّهُ. لانّهُ في الليلة الاولى سقط الصنم النجس منكّسًا مقلوبًا على القاع * وفي الليلة الثانية سقط ايضًا واهوى على الحضيض وتكسّر. ولم يوجد رأسهُ ولا يداهُ * فارتعب الفلسطينيّون وجعلوا يتآمرون في ما ينبغي عملهُ. واذا بجيش هائل من الفار عثا في البلد. وسطا بكلّ مكان من مقفر وعامر. وضرب آل فلسطين بقروح اليمة. فتصاغروا بين يدي الله الغيور الذي شبّهوهُ بصنمهم * ثمّ حوّلوا التابوت الى

مدائن اخرى. فكانت تلك الاهوال والبلايا تلحقهم حيثما نقلوا التابوت * فسُئل حكماءُ البلد والسَّحرة. فاشاروا عليهم ان يردّوا التابوت الى امّة اسرائيل * فصنعوا عربةً لحملهِ. وجرتها بقرتان. وسارتا وحدهما بغير قائد. ولم تستقرّا الاّ في بيت شمس. وهي اوّل مدينة في حدود الاسرائيليّين * فخرج اهل المدينة واستقبلوا الوديعة الثمينة بتهاليل. ولكنَّهم اصبحوا هم بانفسهم مقهورين بالغضب الالهيّ. لأَنّ الفضوليّة حملتهم على التأمُّل في ما كان داخل التابوت وذلك ممّا تنهى عنهُ الشريعة. فضرب الله نفرًا غير يسير من اهل بيت شمس وهم الذين فضوليّتهم الذميمة اسخطت جلالهُ تعالى: هذا نصّ الكتاب المقدّس * وفي الآخِر حُمل التابوت الى ارض قرية يعريم في جبعة. ووُضع في قمّة تلّ في بيت ابيناداب. وبقي هناك ثلاثًا وثلاثين سنة. وكان بيت ابيناداب في مدّة هذا الزمان مُترَعًا ببركات الربّ *

وفي غضون ذلك كان سموئيل ينتشي في ظلّ بيت الربّ ويتقوّى بروح الربّ. وصار يطوف مدن اسرائيل ويقول للناس: اعرفوا خطاياكم وأَبيدوا الاصنام. وكفّوا عن عبادة غير الله. فتجدوا السعادة التي فقدتموها باختياركم وتُعتَقوا من رقّ الفلسطينيّين * فاتّعظ الناس بكلام سموئيل. ونفوا المعبودات

الكاذبة. وصامت الامّة كلّها صوماً عامّاً. وتضرّعت الى الرحمٰن ليتقبّل بلطفهِ ذبيحة الوقود التي قرّب سموئيل كفّارةً عنها * وانتعش في قلوب آل اسرائيل كافّةً هذا الانكسار والخشوع. وجعلوا ينوحون على آثامهم السالفة * وفيما هم بذلك. اذ فاجأهم خبرٌ بقدوم الفلسطينيّين عليهم. فتشجّع سموئيل ولم يضطرب من ذلك بتّةً بل قرّب المحرَقة. فخذل الربّ الفلسطينيّين ورماهم برعدهِ وانزل بهم الرعبة. ففرّوا منهزمين وتفرّقوا ايادي سبا *

(سنة ٢٩٠٩ للخليقة وهي سنة ١٠٩٥ ق م) – وكان سموئيل قد تخلّف بعد عالي في القاضويّة على اسرائيل. وساس القوم بحكمة بليغة * واذ ادركتهُ الشيخوخة. أودع مصالح القضاء لابنيهِ يوال وابيا. وهٰذان لم يتخلّقا اصلاً باخلاق ابيهما الحميدة. بل فسدت قلوبهما بالطمع والبغي. واخذا الرشوات. وحكما الاحكام الظلميّة. ولم يخجلا من ان يتاجرا باعلى المناصب * فاشمأزّ بنو اسرائيل من هذه الخصال الذميمة. وطلبوا ان تُبطَل من عندهم سياسة القضاة وان يُقام لهم ملوك كملوك الطوائف. لانّ قضاتهم كانوا ايضاً خُدّام الدين * فلمّا عرضوا على سموئيل هذا السؤال. شقّ عليهِ ذلك. واستعلم الربّ. فقال لهُ الربّ: انّما هم ايّاي يرفضون

لا اياك. واياي يكرهون أن اكون عليهم ملكًا. ولا غرو انّ هذا دابهم ولم ينفكّوا منهُ منذ يوم اخرجتهم من مصر. فانّهم تركوني ليعبدوا آلهةً غريبةً * ولكن الآن لا باس من الاجابة الى سؤالهم وتبليغهم مرادهم. وقبل ذلك أشرح لهم تفصيلاً انواع الاثقال التي يثقّل بها عليهم الملك الذي سيملك عليهم * فقال سموئيل لبني اسرائيل: اعلموا انّ الملك الذي سيملك عليكم سوف ياخذ بنيكم ليجرّوا عرباتهِ ويحرثوا ضياعهُ ويحصدوا غلّاتهِ. وياخذ العشر من حبوبكم وكرومكم وأنعامكم. وحينئذٍ تطلبون العون من الله عليهِ. فلا يستجيب الربّ لكم لبغيكم * فاجابت الجماعة وقالت: نعم اننّا نبتغي ملكًا يقوم بسياستنا. ويحكم بيننا. ويسير امامنا. ويقاتل عنّا في حروبنا كلّها * فاستعلم سموئيل ايضًا الربّ. فقال لهُ: افعل مايقولون لك. واعطهم ملِكًا يدبّرهم *

واتّفق في اثناء ذلك الزمن أنّ رجلاً من سبط بنيامين اسمهُ قِيس ضلّت حميرهُ. فارسل ابنهُ شاول لينشدها. فرجع خائبًا ولم يجدها. فعمد الى سموئيل واستعلمهُ عن امرها * وكان الربُّ في ليلة ذلك اليوم قد اوحى الى سموئيل بقدوم شاول وقال لهُ: اعلم انّي في الغد سابعث اليك برجلٍ من سبط

بنيامين. فامسحهُ ليكون رئيسًا على شعبي اسرائيل * فقام النبيّ وتلقّى شاول ببشرٍ وتوقير. وبشّرهُ أَنْ قد وُجِدَت حميرابيهِ * وفي الغد اذ كان شاول مستعدًّا للانصراف. اخذهُ سموئيل الى ناحية. وسكب زيتًا على جبهتهِ ومسحهُ ملكًا. وقال: مسحك الربّ بهذه المسحة رئيسًا على ميراثهِ. وانت تفكّ شعبهُ من ايدي أَعدائهم. فارجع الساعة الى ابيكِ. لانّهُ في قلَق من اجلك *

وبعد ايّام قليلة حان الاوان المقدّر لانتخاب شاول. فجمع سموئيل الشعب كلّهُ في مصفاة. وأُلقِيت القُرعة على الاسباط ليُعلَم من ايّ سبط يقوم الملك على اسرائيل * فوقعت القُرعة على سبط بنيامين. وفي هذا السبط وقعت على بيت قِيس. ثمّ على شاول بن قيس. وتأيّد على هذه الصورة انتخاب سموئيل الذي كان قد جرى من قبلُ باسم الربّ * فطُلب شاول. واذا بهِ مستخفيًا في بيتهِ. ولمّا حضر بين ايدي الجماعة كان اطول الرجال من كتفيهِ فصاعدًا. فقال سموئيل للشعب: ها انتم تبصرون الذي اجتباهُ الربّ. وليس من يشبههُ * وعند ذلك صاح جميع الملأ قائلين: عاش الملك. عاش الملك * ثمّ انّ سموئيل تلا قُدَّام الجماعة سُنّة المملكة. وسطرها في كتابٍ

واودع الكتاب في قبّة الربّ *

وبعد ذلك العهد بنحو شهر غزا بنو عمّون مدينة يابيس التي في جلعاد. فاخذت الرجفة اهلها. لانّهم كانوا ضعفآء. وليس لهم طاقة على مصادمة اعدآء اشدّآء كما كان بنو عمّون. فطلبوا هُدنة سبعة ايّام على ان يسلّموا انفسهم عند انقضآئها ان لم ياتِ مَن ينصرهم * وكان شاول راجعًا من العقار بثيرانهِ. واذا بمن يخبرهُ بما جرى من امر يابيس * فتنطّق بروح الربّ وتناول ثورين من بقرهِ. وقطّعهما اجزآء وبعث بها الى جميع اراضي اسرائيل قائلاً: هكذا يُفعَل بثيران جميع الذين لا يتجهّزون للقتال ورآء شاول وصموئيل * فتحرّكت قلوب الشعب كلّهِ بذلك. وامتلأُوا ورعًا وهمّة. وقاموا نحو الغاية المقصودة. وحمل كلٌّ منهم السلاح * وعرض شاول جندهُ عَرْضَ عين. فوجدهُ مشتملاً على ثلاثماية الف وثلاثين الف رجل. فقسّمهم الى ثلاث كتائب * ولمّا لاح الفجر. أغار على العمّونيّين. واشتدّت الواقعة وأَدار بها شاول رحى الموت على بني عمّون. واذاقهم القتل بالسيوف. وهزم بقيّتهم مخذولين * واتى نفرٌ الى شاول وهو في سَوْرة الغَلَبة. وطلبوا اليهِ ان يُميت الذين كانوا قد نازعوهُ السلطنة. فقال: انّي اليوم لا احكم على احد.

لانّ الربّ في هذا اليوم خلّص شعبهُ * ثمّ انّ سموئيل جمع الجماعة في الجلجال فاثبتت الناس بيعة شاول . وقرّبت الضحايا لله * وشبّت حربٌ بين الفلسطينيّين والاسرائيليّين . فجمع شاول جيوشهُ . وكان سموئيل قد اوصى شاول من قِبَل الربّ ان لا يباشر شيئًا في غيابهِ . بل أن ينتظرهُ مدّة سبعة ايّام ليقرّب الذبيحة * وفي خِلال ذلك وقع الرعب في قلوب بني اسرائيل لِما عاينوهُ من كثرة اعدآئهم . فتنحّوا عن حومة القتال * فخاف شاول ان يجفل جيشهُ ويفشل . فقام وذبح الذبائح هو بنفسهِ قبل ان يقدم سموئيل . ولم ينتظرهُ * واذا بسموئيل حَضَر في غضون ذلك . ووقف على ما ارتكبهُ شاول . فونّبهُ على قلّة ايمانهِ . وانذرهُ بانّ الله سينزع من رهطهِ مُلك اسرائيل * ثمَّ سار شاول على الفلسطينيّين . وانتصبت جيوش الاعدآء لساعتهم قبالتهُ * فتقدّم يوناثان بن شاول الملك عازمًا ان يحرق معسكر الاعدآء ويأتي بما لا يُعهَد من البسالة مصحوبًا بحامل سلاحهِ فقط . فاجتاز الروابي الموعرة بالصُخور خفيفًا . وقتل الخُفرآء المتقدّمين . ولم يرَ نفسهُ الّا وهو في وسط فلسطين * فارتعب الأعدآء وخالوا انّهم يشاهدون معسكر اسرائيل بجملتهِ محيطًا بهم . فأَخذوا في الهزيمة وتفرّقوا ايادي سَبا * وبلغ ضجيج هذه الوقعة الى معسكر

اسرائيل. فساق شاول جنودهُ ولحق الاثر. وختم احسن ختامٍ الغلبة التي كان ابنهُ قد بدأها أحسن بداية * ثمّ خاف ان تخمد في قلوب العسكر نار الوَغَى. فامر ان لا يتناول احد طعاماً قبل ان يهجم الليل. ونادى المنادي: الامَن تجاوز هذه الوصيّة. كان محروماً وحُكم عليهِ بالموت * فصار الجند لا يلتفتون الى سلب ولا غنيمة. واجتازوا في غابة كان فيها عسل. ولم يتجرّأوا ان يمسّوهُ * ولم يكن يوناثان بن شاول على خبر من نهي ابيهِ. واذ كان قد بلغ منهُ الجهد واضرّ بهِ الجوع. بلّ طرف عصاهُ بالعسل وادناهُ الى فمهِ * فبلغ شاول انّ ابنهُ كسر وصيّتهُ. فهاج غضباً وجزم ان يقتلهُ لا محالة * ولكنّ الناس لعلمهم بشجاعة هذا الفتى الحسيب منعوا ان يجري عليهِ حكم الموت. وتوقّعوا لهُ بالحيوة *

(سنة ٢٩٣٠ للخليقة وهي سنة ١٠٧٤ ق م) - واعتقب وقيعة الفلسطينيّين هزيمة العمالقة * فانّ الله امر شاول على لسان سموئيل ان يحمل على هذه الامَّة التي كانت قد منعت اسرائيل عن المرور اذ كانوا سائرين الى فتح ارض الميعاد. وان يستاصلها عن آخرها ولا يبقي شيئاً ممّا يختصّ بها * واراد الله بذلك ايضاً ان ينتقم من هذا الجيل الفاسق انتقاماً مهولاً يكون عبرةً. لانّ

الجهل والطغيان كانا قد بلغا بهم مبلغًا شنيعًا حتّى أنّهم كانوا يحرقون اولادهم اجلالاً لصنم كان لهم * الّا انّ شاول لم يعمل بما امرهُ بهِ الله تمامًا. لانّهُ تعالى امرهُ ان يحرم اولئك الاقوام مع كلّ ما يوجد عندهم قاطبةً. فلم يفعل شاول كذلك. بل ابقى اسمن المواشي بحجّة ان يقرّبها لله ضحايا. وانعم بالحيوة على الملك اغاغ * فحضر سموئيل بغتةً بين يدي شاول وسألهُ: ما هذهِ الصياحات التي اسمعها. ومن اين هذا الخوار الذي يطرق اذنيّ * قال: هي الأنعام التي استحييتها من عماليق. وقد فعلتُ ذلك في نيّة ان أُضحّيها * فثارت في النبيّ نخوةٌ قدسيّةٌ. ووبّخ الملك على خيانتهِ التي بها كفر بآلاء الرحمن. وقال لهُ: كيف استطعتَ أن تتهاون بالوصايا الالهيّة. فاعلم أنَّ الله لن يتقبّل ضحاياك. لانّهُ يؤثر الطاعة على الذبائح * ثمّ انذرهُ سموئيل ثانيةً بانّ الله رذلهُ وانّهُ سيصطفي لهُ ملكًا آخر غيرهُ * قال هذا وعطف منقلبًا. فأمسكهُ شاول من ردائهِ. فانشقّ الرداء. فقال النبيّ: شقَّ الله كذلك اليوم مُلْك اسرائيل. وقلعهُ من يديك ودفعهُ لغيرك يكون خيرًا منك * وبينما كان سموئيل في أثناء كلامهِ. ابتعد روح الله من شاول. وصار منذ حينئذٍ مضنًى بروح خبيث *

(سنة ٢٩٣٤ للخليقة وهي سنة ١٠٧٠ ق م) - ثمّ اتى امر الله الى صموئيل بأن ينطلق الى بيت لحم الى رجل يقال لهُ يسّى• فلمّا صار الى هناك. احضر يسّى وسألهُ عن عدد بنيهِ وأسمآئهم. فقال: أنّهم سبعة. واصغرهم غائبٌ يحرس الغنم * ففضّل صموئيل هذا الفتى الراعي الذي كان اسمهُ داود على سائر اخوتهِ. واجتباهُ ليكون خليفة لشاول في المُلْك * واما ما جرى من امر هذا المَلِك الحزين. فانّهُ سقط غريقًا في وجدٍ ووسواس. وكان مرارًا كثيرة يُبتَلَى بصرع شديد ويقع في جنون. وكان استماع آلات الطَّرَب يفرّج عنهُ * فأمر أن يلتمسوا لهُ ضرّاب عودٍ حاذقًا. فذكر داود بن يسّى المذكور. لانّهُ كان مشتهرًا بهذه الصناعة. ولم يدرِ احدٌ أنّ صموئيل كان قد انتخبهُ بامر الربّ. فأُتي بهِ الى شاول ليسكّن قلقهُ * وهناك كانت مبادئ عزّة داود ورفعتهِ * ورجع داود في غضون ذلك الى بيت لحم مسرعًا ليسوق غنم ابيهِ الى المرعى كجاري عادتهِ *

الفصل الثاني عشر

مقاتلة داود لجليات – اضطهاد شاول لداود –
موت شاول

(سنة ٢٩٤٢ للخليقة وهي سنة ١٠٦٢ ق م) – انّ آل فلسطين بعد ان اذلّهم يوناثان الفتى. لم يلبثوا ان انعطفوا للنهوض بكلّ جدٍّ واجتهادٍ ليعالجوا بلاياهم * وكان فيهم رجلٌ ذو قامةٍ جسيمة جبّارٌ من الأَبطال الصناديد اسمهُ جليات. وكان كلّ يوم يسخر ببني اسرائيل وهو يقول باستخفافٍ وهزوءٍ: على مَ ينزل كلّ هذا القوم الى الكفاح. يكفي رجلٌ واحدٌ ليحكم بيننا وبينهم ويقضي لنا اولهم. فعليّ يا بني اسرائيل باشجعكم. فانّي حاضرٌ * وكان بنو اسرائيل يصبرون تجلُّدًا على هذه كلمات السخريّة. على انّ هيئة الجبّار وسلاحهُ كانا يمزّقان اشجع القلوب واجراها من الرعبة * فانطلق داود ذات غداةٍ الى اخوتهِ بطعام وهم في المعسكر. وسمع قول جليات. فجزم على مصارعتهِ * فاحتاط بهِ

الجنود وجعلوا يلومونهُ على تعاظمهِ . ولكنّهُ لم يرجع عن قصدهِ * فأُحضر بين يدي الملك . فلم يستصوب الملك ذلك . وقال لداود : انّك لن تقدر ان تقاوم هذا الفلسطينيّ ولا ان تتعارك معهُ . لانّك قليل الخبرة بعدُ . وهو لم يزل يمارس القتال منذ صباهُ * فقال داود : كنتُ حيناً اسوق غنم ابي فتكافحتُ مع الأُسود والدُّبب . وما اكثر ما نزعتُ الفريسة من بين اسنانهنّ . فالربّ الذي نجّاني من مخاليب الاسود وفم الدبّ سينجّيني من يد هذا الفلسطينيّ * فاقتنع السامعون بهذا الكلام . وأراد شاول أن يعطي داود سِلاحهُ بعينهِ . فجعل على راسهِ بَيضةً من نحاس . والبسهُ دِرعاً وسيفاً * ولكنّ داود لم يستطع المَشْي بهذا السلاح . لانهُ لم يكن متعوّداً عليهِ . فخلعهُ وأَخذ العصا التي كانت دائماً في يدهِ . واقتفى من الوادي خمس حصواتٍ . ووضعها في مخلاتهِ . وحمل على الفلسطينيّ ومقلاعهُ في يدهِ * فصاح جليات وقال : اتحسبني يا هذا كلباً حتّى تلتقيني مسلّحاً بعصاً : تقدم . فانّي جاعلٌ لحمك مأكلاً للطيور والكواسر * فقال داود للفلسطينيّ : انت تطلع عليّ بالرمح والسيف والتُّرْس . وانا آتيك باسم ربّ الجيوش الذي سيدفعك في يدي . فاقتلك واقطع راسك . وسأُلقي اليوم جثث بني فلسطين

لطيور السمآء ولوحوش الارض * وفيما هو يقول ذلك . اخذ حصاةً فرشقها بمقلاعهِ . فأصابت الفلسطينيّ في جبهتهِ . فسقط جليات بوجههِ على الارض . فهجم داود حالًا عليهِ . واذ كان خاليًا من سيف تناول سيف الفلسطينيّ وقطع بهِ راسهُ *

فاهتشّ بنو اسرائيل وامتلأُوا فرحًا وسرورًا بهذه الغلبة * وأُحضر داود بين يدي شاول . وهو حاملٌ راس جليات . لكي يُعطى صِلةً تليق بشجاعتهِ * فقلّدهُ شاول إِمارة فئةٍ من المقاتلين . وحلف لهُ يوناثان بصداقة ابديّة . وخلع سلاحهُ والبسهُ اياهُ * وخرجت نسآء اسرائيل للقآء داود وشرعن يقرّظنهُ على غلبتهِ ومجدهِ وهنّ يغنّين ويضربن بالآلات . وكنّ يكررن في اغانيهنّ : قتل شاول الف فلسطينيّ . وقتل داود عشرة آلاف * فشقّت على شاول هذه المقابلة . واغراهُ حسدهُ بان يلتمس الاسباب لاهلاك داود الذي لغلبتهِ الجليلة أُنزِل منزلة الملوك * وكانت الحرب مشتعلة على الدوام بين اسرائيل وفلسطين . فأرسل شاول داود على الفلسطينيّين . ووعدهُ بابنتهِ البكر ان اظهر البسالة ورجع اليهِ ظافرًا * ففعل داود ذلك . واستنجز الزواج الموعود بهِ . فسخر بهِ شاول وزوّج ابنتهُ من رجل غريب . وذلك لانّهُ كان يلتمس ان يفني داود تحت

سهام الاعداء * فاذ كان داود ذات يوم يضرب بالعود بين يدي شاول كعادتهِ. تناول شاول حربتهُ واراد ان يدقّ صُلب داود * ثمّ وعدهُ دفعةً اخرى بنكاح ميكال وهي ابنتهُ الثانية بشرط ان يبلغ الى قتل مائة فلسطينيّ * فقتل داود مائتين بدل المائة. وتزوّج بابنة الملك * ولكنّ الملك لم يزُل حقدهُ بذلك * فأخذ يوناثان صديق داود يبذل جهدهُ في تحويل قلب الملك ابيهِ الى الرضى. فلم ينجح في ذلك. لانّ شاول بلغت بهِ البغضآء الى انّهُ امر بان يكبس بيت داود ليلاً. فنبّهتهُ زوجتهُ على ذلك. ففرّ هاربًا الى صموئيل النبيّ مستغيثًا بهِ * ولمّا علم داود انّ شاول لا يفتر من عدوانهِ. رأى ان يلتجئ الى اخيملك عظيم الكهنة. فناولهُ اخيملك خبز التقدمة. وقلّدهُ سيف جليات * الّا انّ هذا المعروف صار سبب موت رئيس الكهنة. فانّ دواغ احد اعوان شاول فتك بهِ وقتلهُ لذلك. وقتل معهُ خمسة وثمانين لاويًا. وقُتلوا وهم متوشّحون بشعارهم الكهنوتيّ * فحزن داود حزنًا شديدًا بسبب ذلك. وانصرف الى اخيس الملك. وحصل هناك في خطر الموت غائلةً. فتظاهر بالجنون ليسلم من المكايد التي نصبها لهُ شاول * ثمّ انطلق الى برّيّة زيف مصحوبًا بعدد يسير من أنصارهِ. فالتزموا

كمثالهِ أن يسكنوا الآجام والمغاير ويقاسوا أهوال الجوّ وشراسة الوحوش الضارية * وكان هناك رجلٌ من اهل اليسر والغنى اسمهُ نابال. هذا بغى ذات يوم على داود وطردهُ * فبعث داود وتذلّل بين يديهِ. فاجابهُ نابال بكلام مهين قائلاً: انّ العالم ممتلئٌ من العبيد الخائنين الذين ابقوا من بيوت ساداتهم. وهم يستاهلون ما يصيبهم من المشقّات والاذيّات في هربهم من مكان الى مكان * ولكنّ ابيغال زوجة نابال هوّنت شدّة هذا الجواب. اذ خرجت للقآء داود دون علم بعلها. واعطتهُ متاعًا وهدايا * وبعد عشرة ايّام مات نابال. فخطب داود ابيغال وتزوّجها * وامّا شاول فلم يصفُ بعد قلبهُ على داود. بل لمّا بلغهُ انّ داود في برّيّة عين جدي. اصطحب ثلاثة آلاف رجل منتخبين. وزحف في اثرهِ ليقتلهُ * فاتّفق انّهُ وَلَجَ مغارةً كان فيها داود واصحابهُ. وكانوا مستخفين في اقصاها بحيث لم يشاهدهم شاول * فلمّا رأى داود عدوّهُ تحت مقدرتهِ. تحاشى ان يضرّهُ بشيء. الاّ انّهُ دنا منهُ برفقٍ وقصّ قِطعةً من ردآئهِ الملكيّ * ثمّ خرج من المغارة في اثر شاول. وتصاغر بين يديهِ واراهُ من بعيدٍ قطعة الردآء ليفهّمهُ أنّهُ كان قادرًا على قتلهِ لو شآء * فحنّ قلب شاول لدى هذه الكرامة. وانسجمت

من عينيهِ الدموع وقال لهُ : انّك ابرُّ منّي . لانّك لم تصنع معي سوى الخير . وانا لم اجازِكَ الاّ بالشرّ . وانّي اعلم انّك سوف تستولي يومًا على مملكة اسرائيل . فاحلف لي انك لن تبيد نسلي من بعدي * فحلف لهُ داود هذا القَسَم . فتركهُ شاول من دون ان يضرّهُ بشيءٍ . بيد انّ حقدهُ لم يُطفأ *

وبعد زمان يسير اذ رأى شاول انّ مكايدهُ التي دبّرها على داود قد خابت باجمعها . غضب وجهّز جيشًا وافرًا . وضرب في برّيّة زيف لكي يحصر داود * وكان شاول يبيت الليالي في خيمتهِ . وابنير رئيس حرّاسهِ ينام الى جانبهِ * فتوصّل داود ذات ليلة الى خيمة شاول . فرآهُ هو واعوانهُ والجنود كلّهم اجمعين غائصين في سبات ثقيل * وكان ابيشاي قد تبع داود . فاخذ ابيشاي يغري داود بان ينتهز الفرصة ويغتال شاول فيخلص من عدوانهِ الى الابد . وقال لهُ : ان كنت تستصعب ان تمسّ الذي قد اخذ المسحة المقدّسة . فائذن لي انا ان اتكلّف امر الاخذ بثارك وانالتك الامان والراحة في المستقبل * فلم يعبأ داود بهذه المشورة . وآثر ان تكون حياتهُ لا تزال معروضة للخوف والعطب على ان يفتك بعدوٍّ لا ناصر لهُ . وصاح قائلاً : حاشاي ان أَمدّ يدي على مسيح الرب . الاّ انّهُ اخذ حربة الملك وجامهُ

فقط. وانصرف الى تلّ كان هناك على مسافة يسيرة عن المعسكر. وصاح على ابنير بصوت عالٍ. واراهُ حربة الملك وجامهُ. ونبّهُ على تهاونهِ في حراسة مولاهُ * وفيما هم كذلك. اذ استيقظ شاول وعلم بما جرى. فلان قلبهُ بسبب معاملة داود هذه حتى سمّاهُ ابنهُ. فامتلأ قلب داود تواضعًا. وقال للملك: علي مَ هذا اصرارك في عدواني. هل عاديتك انا ساعة واحدة من حياتي * فان كان الربّ هو الذي يشاء ان تغضب انت عليّ. فالواجب عليَّ ان اخضع لمشيّتهِ. ولكن ان كان البشر هم الذين يهيّجونك للانتقام. فليكونوا ملعونين من الله * فاعترف شاول بظلمهِ وسوء صنيعهِ. وشهد لبراءَة داود * غير انّ مصالحتهُ هذه لم تكن الاّ باللسان. لأنّ قلبهُ لم يبرح تشتعل فيهِ نار الحقد * وكان داود لا يأمن من بأس شاول ابدًا. فالتجأ مرّةً ثانية الى اخيس الملك. فتلقّاهُ باحسن من الاولى. حتّى فوّض اليهِ سياسة مدينة صقلاغ * وبعد ايّام قلائل استدعى اخيس داود كي يخرج معهُ لمقاتلة بني اسرائيل نجدةً لآل فلسطين. لانّهُ كان قد تحالف معهم. فرأى نفسهُ مضطرًا ان يحارب اخوتهُ * غير انّ الفلسطينيّين لم يثقوا بهِ. بل خافوا منهُ خيانة. فأذن لهُ اخيس ان يعود الى صقلاغ. وبذلك تخلّص من تلك الحيرة * وبينما كان غائبًا.

غزا العمالقة صقلاغ وفتحوها. واسلموها للسلب والنهب والدمار التامّ * وهاج الجنود الذين بصحبة داود ضجرًا. واخذوا يتظلّمون اليهِ ويلومونهُ ويعنفونهُ ظلمًا حتّى همّوا ان يرجموهُ * فقوّى داود عزمهم بعد أن ذلّ. وشدّ في أثَر الاعداء. ففاجأهم وهم ملتهون بوليمةٍ فيها كانوا يتنعّمون بغلبتهم مع الغناء والصفاء ويقتسمون الغنائم * فهجم عليهم بجنودهِ بغتةً. فقطّعوهم اربًا. ولم ينجُ منهم سوى اثنين او ثلاثة افلتوا بخفّة جمالهم * وأمّا الغنائم فرُدّت على وجه العدل الى اصحابها الاوّلين *

(سنة ٢٩٤٤ للخليقة وهي سنة ١٠٦٠ ق م) — وبينما كان العمالقة ياخذون جزاء ما اصابهم من الضرر بقيّة حياتهم. كان شاول يسوق جيشهُ في وجه الفلسطينيّين * ولمّا ذُعر ممّا عاين من كثرة الاعداء وهولهم. سأل الربّ ماذا تكون عاقبة القتال. فسدّ الربّ سمعهُ عن طلبتهِ *

فضرب الملك في اليأس. واستعان بقوّة الشياطين. واستشار العرّافين. مع انهُ كان فيما مضى قد سنّ الحدود الشديدة على صنف السحّارين * وذلك انهُ تنكّر وقدم على عرّافة كانت قد بقيت في عيندور. فطلب منها ان تستدعي روح صموئيل النبيّ الذي كان قد تُوُفّي منذ بضع سنوات *

فتراءى سموئيل باذنهِ تعالى بازآء الملك وقد اعترتهُ الرعبة .
وأعلم الساحرة النجسة بحقيقة ما استفهمها شاول في شانهِ .
وانبأ شاول بالغيب وهو يتهدّد قائلاً : لمَ اقلقتني واعدمتني
راحتي . اوَما تدري انّ الربّ قد تركك واجتاز الى خليفتك *
فاعلم انّ البلايا الشديدة ستتراكم على مملكتك وعلى قومك
وآلك * وداود الذي اضطهدتهُ ظلماً سيرتقي الى عرشك مكانك .
لانّهُ قد لاح فيك منذ اليوم ما يدلّ على انّك ستكون غنيمة
لآل فلسطين . وفي الغد انت واولادك معك ستكونون عندي *
قال هذا وغاب طيف النبيّ . فسقط شاول على وجههِ نحو
الارض مغشيًّا عليهِ * ولم تبطئ النبوّة ان تصحّ : وذلك انّ
الفلسطينيّين خرجوا لمحاربة الاسرائيليّين بقرب جلبوع وغلبوهم .
وقُتل يوناثان وابنان آخران من ابنآء شاول واسلحتهم في ايديهم .
وشاول بعينهِ اصابهُ سهمٌ . فتناول سيفهُ وطعن بهِ صدرهُ مخافةَ
أن يقع في ايدي أعدائهِ * فاحتزّ الفلسطينيّون هامتهُ . واخذوها
الى مدنهم يفتخرون بها . ثمّ اودعوها كمثل علَم في هيكل من هياكل
اصنامهم * وامّا جُثّة شاول وجثث اولادهِ فاختلسها اهل يابيس
جلعاد وحملوها الى مدينتهم . وهناك دفنوها بعزّ وكرامة * وكان
واحد من العمالقة قد فرّ من حومة القتال . فأقبل الى داود

في مدينة صقلاغ . واخبرهُ بموت شاول واقتصَّ عليهِ خبر الغلبة تفصيلاً . وقال : كنتُ في اعلى موضعٍ من جلبوع . واذا شاول قد جزم ان يقتل نفسهُ بسيفهِ ليفلت من الفلسطينيين . فاستدناني وقال لي : اجزني . فسقيتهُ كاس الموت كما تمنّى . لانّ العدوّ كان حولهُ من كلّ جانب . وقد ظفرتُ بتاجهِ . وهاكهُ ٭ قال هذا وطرح تاج شاول عند رجلي داود ٭ فغضب داود على ذلك العماقيّ واخذهُ حزنٌ شديد . ولساعتهِ مزّق ثيابهُ . وعزّر ذلك الساعي لجسارتهِ ولئامتهِ حيث وضع يدهُ على مسيح الرب . وأَمر بهِ فقُتل من ساعتهِ ٭

وبكى داود بكآءً شديدًا على شاول مع انّهُ كان عدوّهُ وكان لهُ من موتهِ انقضآءُ ضيقهِ وارتقاؤُهُ الى العرش . والّف مرثيةً شجيّةً رثى بها الملك ويوناثان وابنهما وعدّدهما . ودعى باللعنات على تلال جلبوع التي عليها وقع هؤلآءِ الامرآء قتلى ٭ واصاب اهل جلعاد نصيب من المدح والتقريظ في تلك المرثية بعينها . وذلك لانّهم ادّوا لجثّتي الملك وابنهِ فرض التجهيز والتجنيز . وصاموا ولزموا الحداد عليهما ٭ ولم يبرح داود ابدًا يختصّ شاول المَلِك بأَلقاب الاحترام كلّما ذكر اسمهُ مع ما كان قد اذاقهُ من البلآء ٭ وكان حينئذٍ قد اتى عليهِ الثلاثون

من عمرهِ. فاستعلم الربّ ومضى الى حبرون. وهناك مُسح ملِكًا على سِبط يهوذا وحدهُ *

الفصل الثالث عشر

ملك داود — خطيّة داود وتوبتهُ — عصيان ابيشالوم وهلاكهُ — وفاة داود

(سنة ٢٩٤٩ للخليقة وهي سنة ١٠٥٥ قبل المسيح) — انّ داود بعد ان بايعهُ سبط يهوذا بالمُلْك. جعل سريرهُ في حبرون. وكان مُلكهُ في الأوّل مضطربًا بالحروب الاهليّة * فانّ ابنير الذي كان قائد شاول رأى ان يملّك اسباسوت بن شاول. والجأ الأَسباط العشرة الباقية ان يبايعوهُ مع كونهِ صغيرًا بالمُلْك عليهم * غير انّ اسباسوت فتك بهِ قائدان من قوّادهِ وقتلاهُ. وقدِما بهامتهِ الى داود * فانكر داود هذا الصنيع واستقبحهُ. وحكم على القاتلَيْن بالقصاص * وقد بسط داود في ذلك وفي الخبر الآخَر الذي مرّ ذكرهُ عبرةً جليلةً تفهّمنا انّهُ كان

يرحم اعداءَهُ وينتقم لهم حتّى بعد موتهم * وصار موت اسباسوت عَلَم الطاعة . فانّ الاسباط اقرّوا قاطبةً بسلطنة داود * وافتتح الملك امرهُ بفتوحات ميمونة . فسار الى اورشليم وغزا اليابوسيّين الذين كانوا بعدُ متملّكين على حصون صهيون . وقد جعلوا على اسوارهم عُمْيًا وعُرْجًا ليحرسوها استهزآءً بمن يعارضهم * الاّ انّ داود كسر كبريآءهم بافتتاحه القلعة * فثبّت سرير ملكهِ في اورشليم . وجعل مقرّهُ في قلعة صهيون . فسُمّيت بعد ذلك بمدينة داود * ونصب بقرب قصرهِ خيمةً فاخرةً . وامر بان يُحمَل اليها تابوت العهد المقدّس . فمضى ثلاثون الف رجل من اسرائيل للقآء هذه الوديعة الثمينة التي كانت في بيت ابيناداب . فراق هذا الموكب المقدّس ببهآء الكبكبة الملكيّة . وارعَد الجوّ بأصوات الابواق والدفوف وسائر أصناف آلات الألحان * الاّ انّهُ عرض عارضٌ حينئذٍ وكدّر سرور العامّة . وذلك انّ عوزة بن ابيناداب كان حارسًا للعَجَلة ملازمًا ايّاها في المسير . فاتّفق انّ احد الثيران التي كانت تسحب العجلة انشمص ووقف عن المشي . فمال التابوت الى جانب وكاد يسقط . فبادر عوزة واسندهُ بيدهِ * وكان ذلك جسارةً منهُ . لانّ الشرع كان ينهى العامّة من اللاّويّين عن ان يمسّوا تابوت

الربّ مسًّا. فعاقبهُ الله من ساعتهِ بالموت * فذُعِر الحاضرون واخذتهم الرجفة. وتشهّدوا وشهدوا لقدرة العليّ العظيم. حتّى انّ داود نفسهُ هاب جدًّا من جلالة الربّ القدّوس. ولم يجترئْ على ان يحمل التابوت الى قصرهِ كما كان قد نوي. بل اودعهُ وديعةً في بيت عوبيد ادوم * وبعد ثلاثة اشهر رأى داود انّ التابوت المقدّس لم يزَل وهو في بيت عوبيد ادوم تجري منهُ لأَهل هذا البيت جداول الخَيرات والبركات. فطمع ان يكون لهُ ذلك. ورجع الى نيّتهِ الاولى ان يحوّلهُ الى قصرهِ * فأَعدّ من جديد لهذا العمل كلّ ما يقتضي من العُدّة ويليق من التعظيم لحُرمة هذه الذخيرة المباركة. وحمل اللاّويّون على اكتافهم التابوت. وبين كلّ ستّ خطوات جعل داود يذبح الذبائح للربّ * فانتعش في قلب الملك داود روح التقوى والخشوع الالهيّ. فكان يمشي قدّام التابوت المقدّس وهو لابس وشاح الكتّان المدعوّ أفود. وشرع يرقص على اصوات آلات الطَّرَب مترنّماً بالاناشيد التي كان قد الّفها لتسبيح الرحمٰن وهو يضرب بالعود * ثمّ انّ داود بعد ان تيقّن ثباتهُ على عرش الملك. خطر ببالهِ ان يشيد هيكلاً للربّ * واستشار في ذلك النبيّ ناثان. فاجابهُ الله على لسان هذا

النبيّ وقال: انّك لن تقيم لاجلالي هيكلاً. لانّك رجل غازٍ. ويداك قد سفكتا الدماء في الحروب. الاّ اني ساؤيّد آلك واخلّد نسلك • ومتى انقضت ايّامك ورقدت بجنب آبائك. اجلستُ على سريرك ولدًا يخرج من صُلبك. وهو الذي يشيد هيكلاً لكرامة اسمي. وستدوم سلالتك الى الابد ويخلَّد عرشك * تنبّه ايّها القارئ أنّ الله تعالى بهذه الالفاظ الاخيرة اعطى داود وعدًا جليلاً عظيمًا بصدور مخلّص العالم من ذرّيّتهِ يومًا *

(سنة ٢٩٦٧ للخليقة وهي سنة ١٠٣٧ ق م) — وبعد زمان يسير شبّت الحرب على بني عمّون. والسبب هو انّ ناحاش آخِر ملوكهم مات. وقام في المُلك بعدهُ حَنون ابنهُ * فاحبّ داود ان يكرِم هذا الملك الجديد على جلوسهِ. فانفذ اليهِ وفدًا من رجالهِ يهنّئونهُ عن اسمهِ. ويسألون معاهدتهُ * ولكنّ حنون انصاع لمشورات المتملّقين. فلم يستقبل الوفود الاّ باستخفافٍ واحتقار. وقال لهم: انتم لم تزالوا على الدوام اعداءً لأُمّتي. ولستُ اشكّ في انّكم لم تقدموا الاّ لكي تجسّوا بلادي وتقفوا على ضعفها. ليكون مَلِكُكم من ذلك على اسهل مرامٍ من افتتاحها * ولم يكتفِ حنون بهذه الاهانة. بل أمر فحلقوا نصف لحية كلٍّ من الرسل. ومزّقوا ارديتهم من ورآئها * فلمّا

بلغ داود هذا الخبر. استشاط غضباً شديداً. وشقّت عليهِ هذه الحقارة جدًّا. وأَمر بمناداة الحرب على العمّونيّين* فزحف يواب قائد جيوش داود على هؤلاء الوثنيّين وقد استنجدوا لاغاثتهم قبائل الشام. فكسرهم في هذه الوقعة الأُولى* وفي ثاني سنة اباد داود هذه الأُمّة تماماً. فانّ اربعين الفاً منهم هلكوا في اثناء واقعة واحدة. وغنم منهم داود سبعمائة عَرَبة حربيّة* وهاتان الغلبتان زادتا شوكة بني اسرائيل وقوّتهم*

(سنة ٢٩٧٠ للخليقة وهي سنة ١٠٢٤ قبل المسيح) - بينما كان يواب لاحقاً اثر العمّونيّين وقد تشتّت شملهم. الَمّ بداود خَطْبٌ جسيم. وذلك انهُ تنحّى زائغاً عن الطريقة التي كان قد سلكها الى ذلك اليوم. واضحى أُسوةً غريبةً في الضعف البشريّ* وذلك انهُ كان لاوريّا (وهو من افضل ضبّاط عسكر يواب) زوجةٌ بديعة الجمال اسمها بتشباع. فأَمر الملك يواب بان يعرض اوريّا في القتال ليموت. فيمكنهُ ان يتزوّج بامرأتهِ. ففعل يواب ذلك ومات اوريّا قتيلاً. فأَخذ الملك زوجتهُ* وكأَنّ داود في اوّل الامر لم يفطن لجسامة جرمهِ. فانفذ الله اليهِ النبيّ ناثان لكي يفتح عينيهِ ويحثّهُ على توبةٍ نصوحٍ. فدخل ناثان عليهِ. وذكر لهُ ما مضى من سيرتهِ. اي انتخاب سموئيل لهُ. والغلبة

على جليات. والالوف من الاهوال التي نجا منها. ثمّ ذكر لهُ كثرة الخيانة التي بها قابل جميع هذه النِعَم * وضرب لهُ ناثان مثلًا ليطلعهُ على مراده فقال: رجلٌ غنيٌّ كان لهُ قطيع وافر مشتمل على احسن أَغْنام تلك الارض واسمنها. فخطر لهُ ان يطمع في شاةٍ كانت لرجلٍ فقير لم يكن يملك غيرها وكان يحبّها محبّةً شديدة اكثر من كلّ شيء * فارسل الغنيُ في الحال وسلب من ذلك المسكين شاتهُ هذه التي لم يملك شيئًا سواها * قال الملك: لانصفنّ لهذا المظلوم. ولاقيمنّ الحدّ على الظالم. فقال النبيّ: قد قضيت على نفسك بفمك * واخذ يوبّخ داود توبيخًا شديدًا على الجريمة التي ارتكبها * فاعترف حينئذٍ داود بذنبهِ متأسّفًا نادمًا . وهو يقول: اخطأتُ الى الربّ * وصرف بقيّة حياتهِ من ذلك اليوم فصاعدًا في اقامة التوبة عن خطيّتهِ والاستغفار عنها * ثمّ انذرهُ ناثان ببلايا شتّى الّمت ببيتهِ بعد ذلك العهد *

ثمّ إنّ الحدّ الذي قضى بهِ الربّ لم يتأخّر أن ينزل. لانّ الابن الذي ولدتهُ بتشباع لداود لم يعِش الاّ سبعة ايّام. ولم تُجدهِ نفعًا الادعية التي دعاها داود الى الربّ لوقايتهِ من الموت * الاّ أنّهُ تعالى بعد ذلك حنّ على داود. فرزقهُ غلامًا

آخَر اجابةً الى طلبتهِ . ودُعي اسم المولود سليمان . وكنّاهُ النبيّ ناثان حبيبَ الربّ * ثمّ انّ داود دهمتهُ مصيبةٌ أُخرى . وهي انّ ابنهُ ابيشالوم قتل في وسط وليمةٍ أَمنون احد اخوتهِ . ثمّ فرّ هاربًا اتّقاءَ غضب ابيهِ . وصار يجمع الناس اليهِ . وكان يتلقّى المتظلّمين ويشكو فيهم تغافل الملك عن القيام بما يجب عليهِ . وكان يعدهم بان ينصف لهم بالحقّ اذا صار ملكًا * ثمَّ لمّا اعتدّ نفسهُ مكتفي القوّة . نَشَر رايةَ العصيان ظاهرًا * ولمّا بلغ ذلك داود . لم يأمن على نفسهِ وهو في اورشليم . فهجرها في صحبة قوّادهِ وجملةٍ من الكتائب الامينة . وانصرف الى ناحية البرّيّة . وحينئذٍ شوهد هذا الملك وقد اتت عليهِ الستّون سنةً من العمر بعيدًا عن مقصورتهِ وضاربًا في وادي قدرون . فارتقى الى جبل الزيتون وعيناهُ تهميان العبَرَات * وأَعجِبْ بهِ رمزًا يشير الى ما اصاب بعد ذلك بزمانٍ المسيح ربّنا في ذلك المحلّ بعينهِ * وتجلّد ايضًا داود بصبر جميل على ما فعل شمعي بتطاولهِ . وكان هذا من قرابة شاول . اذ تجرّأ على داود بالسبّ ورمي الحجارة * وهمّ الشُرَط بالقبض على هذا الرجل . الّا انّ داود ردّهم متحمّلًا جميع المذلّات التي احبّ الله ان يسومهُ ايّاها بمنزلة الكفّارة عن ذنوبهِ *

(سنة ٢٩٧١ للخليقة وهي سنة ١٠٢٣ ق م) – وفي ذلك الزمان دخل ابيشالوم اورشليم مصحوبًا بجُلّ اعوانهِ . واستولى على قصر ابيهِ . واخذ ثمَّ يرتكب اشنع المعاصي . وقد اشار عليهِ اخيتوفال الشقيّ احد وزرآئهِ ان يسعى في أثر ابيهِ الشيخ ويقتلهُ * الاّ أنّ الله أبطل هذه المكيدة . وذلك لانّ بقيّة ندماء ابيشالوم الملك الجديد رأوا انهُ اذ لم يكن جلوسهُ وطيدًا . يُضحي إلجاء اعدآئهِ الى اليأس وبالاً عليهِ * فتغلّب هذا الراي . وشقّ ذلك في الغاية علي اخيتوفال المتكبّر حتّى شنق نفسهُ لقنوطهِ *

وفي خلال ذلك انتهز داود الفرصة . وجمع عساكرهُ وجهّزها للقتال . فاقتتل الجيشان . وكانت الكسرة التامّة على العصاة مع كونهم اكثر عددًا . ووقع منهم في حومة القتال عشرون الفًا . وانهزم ابيشالوم يؤوسًا . فساقهُ بغلهُ الى غابٍ كثيف . فمرَّ تحت شجرة بلوط مشتبكة الاغصان . فارتبك شعر رأسهِ فيها . ولبث معلّقًا في الفضآء بين السمآء والارض * وكان داود قبل القتال قد اوصى قوّادهُ ان يحذروا كلّ الحذر من ان يُقتَل ابيشالوم . فاستخفّ يواب بهذه الوصيّة . واذ لم يجد من يتجرّأ على قتل ابن الملك . طعنهُ هو بحربتهِ . وأمر الجيش بالانصراف حتّى يكفّ عن بقيّة المغلوبين *

فبلغ داود في وقتٍ واحدٍ بِشَارة الغلبة وخبر موت ابيشالوم * فنسي لوقتهِ سيرة هذا الابن العاصي وتطمُّعهُ الذميم . والاهانات التي اهانهُ بها . فلبس ثياب الحزن واخذ ينحب بدموع غزيرة على حُسن عاقبة القتال . وهو يصرخ قائلاً : يا ابني ابيشالوم . يا ابيشالوم ابني . ليتني فديتُ نفسك بنفسي * ولم يعجب يوأب ان يرى الملك يولول . وأنكر عليهِ ذلك * ولامهُ ووبّخهُ على ضعفهِ توبيخًا قاسيًا * ثمّ انّ عصبة ابيشالوم تابوا عن معصيتهم . وأَقسَموا لداود أَن يطيعوهُ ما حَيُوا . حتّى انّ شمعي بنفسهِ خرَّ عند قدمي داود مستغفرًا . فعفا عنهُ *

(سنة ٢٩٨١ للخليقة وهي سنة ١٠٢٣ ق م) — هذا ولم تكن نار العصيان قد خمدت . وإذا برجل من الرعاع مشهور بالفتن اسمهُ شَبَع حاول من جديد ان يكدّر راحة الملك . فكان يخطب الناس ويُغريهم باتّباعهِ في العصيان . فكانوا يتقاطرون اليهِ * وكان يواب لا يزال مستعدًا لحمل السلاح واقتحام الاهوال في شان كرامة مولاهُ الملك . فاخذ يتتبّع وراءَ شَبَع وكان هو يفرّ من امامهِ . حتّى تحصّن في أَسوار مدينة إِبله . فحاصر اصحاب يواب هذه المدينة حصارًا شديدًا . وتوعّدوها بحلول مجاعة هائلة . وإذا بامرأة من المدينة تجرّأت وشكت ضَيمها

من شَبَع المستقتل الذي ببغيهِ اوقع في خطر التلف مدينة صحيحة * فسُمعت ظلاماتها . وعند ذلك رُوُيت هامة شَبَع مرشوقةً من أعلى الاسوار الى يواب . وكان ذلك دليلاً على انقضاءِ العصيان * الاّ انّ هذه الحرب الخارجيّة لم تلبث ان خلفها الشغب الداخليّ * وبعد ذلك الحين اقبل ايضاً آل فلسطين لمحاربة اسرائيل . فنهض داود لمدافعتهم مع كبر سنّهِ . وزحف عليهم بجيشهِ وهزمهم * وكاد داود يُقتَل في سعير المعركة . فتقدّم اليهِ أصحابهُ وقالوا لهُ : اننّا لا نرضى ان تاتي الى القتال بصحبتنا خوف ان يُطفأ نور اسرائيل *

وبعد كلّ هذه الفتن والقلاقل والشدائد التي ذاقها داود وقد اتى عليهِ الثماني والستّون سنةً من العمر . لمّا بدأ ان يتنعّم بلذّة السلم . وقع في احبولة هوى نفسهِ واساءَ الى الربّ * وذلك انّهُ انسرّ يوماً بقدرتهِ وتباهى بعزّتهِ . فاراد ان يعرف عدد اهل مملكتهِ . وهذه الرغبة اغاظت الله * ولم يستوفِ داود مُعظَم بني اسرائيل احصاءً الاّ والنبيّ جاد حضر بين يديهِ من عند الله يقول لهُ : تخيّر بين ثلاث . فقد فوّض الله اليك بالنُخبة إمّا أن ينزل القحط على ارضك مدّة سبع سنين . وامّا ان تهرب من وجه اعدائك ثلاثة اشهر . أو أن يحلّ الوبأ ثلاثة

ايّام في مملكتك * فاختار داود الوبأ قائلًا: لأَنْ أقع في يدي الرحمٰن الذي رحمتهُ لاتُحَدّ خيرٌ لي من أن اقع في ايدي الناس * فبعث الربُّ بوباٍ هائل. فاشتدّ ثلاثة ايّام بشدّة لم يُعهَد لها نظير. وفي هذه البرهة القصيرة من الزمان مات سبعون الف نفس * فاعترى داود غمٌّ شديد. وندم وتصاغر بين يدي الربّ معترفًا بانّهُ هو علّة هذه البلايا. وتضرّع الى الرحمان ليكفّ عن خَلْقِهِ ويضرب بدل الامّة واحدًا من اهل بيتهِ * فترحّم الربّ * ثمَّ انّ نجاح مُلْك داود تكدّر بفتنةٍ ثالثةٍ لم تدُمْ طويلًا * وذلك انّ ادونيا بكر اولادهِ بعد موت ابيشالوم لم يصبر ان يموت ابوهُ لعلّهُ يرتقي الى عَرْش المملكة. فجمع وجوه الدولة في وليمة. والتمس منهم ان يبايعوهُ بالمُلك. وقال: انّ تاج المُلك قد امسى ثقيلًا جدًّا على راس والدي الهَرِم * فبلّغ ذلك ناثان النبيّ بتشباع امرأة داود. فكشفت المكيدة للملك. واكّدت لهُ انّ لادونيا حزبًا متحالفًا متعصّبًا لهُ. فبدّد داود مقاصدهم. وامر ان يُمسَح ابنهُ سليمان مَلِكًا. لانّ الله كان قد اجتباهُ من بين سائر اولاد داود ليكون خليفةً لهُ من بعدهِ * فمُسح سليمان بن داود الملك المسحة القدسيّة بيد عظيم الكهنة. وتلقّاهُ الخَلق بأصوات التهاليل ونغمات آلات الطرب * ولمّا

شعر داود انّ أجَلهُ قد حان . دعا ابنهُ سليمان واوصاهُ الوصايا الاخيرة قائلاً لهُ : تسلّح بالحَزْم . وسِرْ سيرة رجلٍ شُجاع . وحافظ على جميع ما أُوصى بهِ الربّ الاهك . واسلك في سُبلهِ . واحفظ رسومهُ واوامرهُ . لكي يكون لك على الدوام مَن يجلس من نسلك على سرير اسرائيل * وبعد قليل من الزمان تُوفّي داود وعمرهُ سبعون سنة . ودُفن في اورشليم * وكانت مدّة ملكهِ اربعين سنةً . مَلَكَ منها سبعاً في حبرون . وثلاثاً وثلاثين في اورشليم * وكان داود قد وسّع مُلْك اسرائيل بالغزوات والفتوحات المعدودة . فصار في ايّامهِ يمتدّ من جبل لبنان الى حدود مصر . ومن البحر الى صحارَى جزيرة العرب * وكان داود دأْبهُ ان يبارك الربّ ويستعين برحمتهِ . وصنّف في هذا الشان تسابيح يقال لها المزامير . وهي التي تتلوها الكنيسة المقدّسة كلّ يوم في صلواتها الفرضيّة . وفيها رموز كثيرة واشارات جليلة بصريح العبارة الى مجيء المسيح وآلامهِ وموتهِ *

الفصل الرابع عشر

مُلك سليمان — حكمتهُ وجلالهُ — بناء الهيكل وتبريكهُ — سقوط سليمان — وفاتهُ

(سنة ٢٩٨٩ للخليقة وهي سنة ١٠١٥ ق م) — لمّا جلس سليمان بعد ابيهِ. لم يكن لهُ من العمر سوى ثماني عشرة سنة * وكان اوّل العهد من حكمهِ مشهورًا بعدالة باترة: وذلك انهُ عاقب بالموت دونيا على ما ارتكبهُ من القبيح في حقّ ابيهِ داود. وقتل ايضًا يواب الذي كان المحرّك الاوّل على التحزّب * ثمّ تعاهد سليمان مع ملك مصر. وتزوّج بابنتهِ. وعكف منذ اوّل ملكهِ على علم السياسة * وتراءى الله لهُ في الحُلم. وخيّرهُ ان يسألهُ ما شاء فيستجيب لهُ. فسأل سليمان الحكمة * فسرَّ الله بهذه الطلبة. وبذل لهُ مع الحكمة اليسار والثروة والجلال. ووعدهُ بانّهُ سيضحي احزم الناس حكمةً. واجلّ جميع الذين سبقوهُ والذين سوف ياتون بعدهُ طُرًّا *

واشتهرت حكمة سليمان العجيبة خاصةً في الارض كلّها بعارض غريب : وذلك انّ امرأتين وافتا اليهِ وسألتاهُ ان يقضي بينهما . وكانت كلتاهما ساكنتين في منزل واحد . ولكلٍّ منهما ولدٌ ترضعهُ * فاصبح احد الولدين ميتًا . فادّعت المرأة التي وجدتهُ في مهدها انهُ ليس ابنها . بل هو ابن الاخرى . وانّ الحيّ هو وَلَدها . وانكرت الاخرى * ولا يخفى ما في دعوى مثل هذه من صعوبة القضاء . اذ هي خالية من البيّنات والشهود وقد جرى ما جرى في خلوة وعزلة عن الناس وفي هجوع الليل * الاّ انّ سليمان فضلاً عن معرفتهِ بتاثيرات النباتات جمعاء . كما يشهد السفر المقدّس . ظهر ايضًا حاذقًا في معرفة ضمائر البشر وقلوبهم ورقّة الحنيّة الوالديّة . فأمر ان يُوتى بسيف . وقضى قائلاً : لمّا كانت كلتا هاتين المرأتين تريد هذا الطفل الواحد . فليُقسَم الى شَطرين . وليكن لكلٍّ منهما شَطْر * فعلى هذا الحكم ظهرت علامات الرضى في الامّ الزور . وامّا الامّ الحقّ فاضطربت احشاؤها . ولم ترضَ ان تشهد ولدها مقطوعًا بالسيف * فترامت عند رجلي الملك . وسألتهُ ان يدفع الولد الى المرأة الاخرى * وكانت هذه الفاظ الطبيعة دليلاً على انّها هي والدتهُ ولو انّ رحمتها لهُ حملتها على التبرّؤ منهُ * فاخذ الحاضرين

الدهشة والعَجَب بهذه الذكاوة الدقيقة التي ابداها سليمان * ولا غرو انّ ايّام هذا الملك كانت حاوية جميع ضروب السَعد والاقبال. وانّ بني اسرائيل (كما قال الكتاب المقدّس) كانوا عائشين بسلام وهدوٍّ تحت ظلّ تينهم وكرومهم. وكان الذهب كثيرًا في جميع الاسباط. والفضّة تعادل الحجارة بكثرتها * وكان تحت سلطان سليمان جميع البلاد التي بين الفرات والبحر الى حدود مصر. وكان الدخل الحاصل من ملكهِ كثيرًا وافرًا جدًّا يمكّنهُ من نشر الأُبَّهة والعَظَمة والجلالة * فكان ينفق كلّ يوم على بيتهِ ثلاثين كيلًا من سميذ الدقيق. وستّين كيلًا من الدقيق المألوف. وثلاثين ثورًا. ومائة شاة ومقدارًا وافرًا من جميع اصناف الصيد * وكان لسليمان اربعون الف رأس خيل في اصطبلاّتهِ لجرّ العَرَبات. واثنا عشر الف فرس للركوب *

(في سنة ٣٠٠٠ للخليقة وهي سنة ١٠٠٤ ق م) — وكان اليهود في ايّام سليمان في حال الصلح والسلام حتّى أنّهم لَقَّبوهُ بالملك السليم * وكان في صدرهِ ان يقضي ما نواهُ ابوهُ داود من بنيان هيكل للربّ. وقد صدّتهُ عن ذلك الفتن والحروب * فاخذ سليمان يهيّئ الاخشاب والحجارة. وجعل على

ذلك نحو مايتيْ الف فاعل . واقام على هؤلآء الفعلة ثلاثة آلاف وثلاثماية رجل من المعلّمين أو الوكلآء المتولّين جميع اصناف العمل * واباح لهُ حيرام ملك صور ان يقطع الارز من جبل لبنان * وكانت سفنهُ تسير في البحر الاحمر وتذهب الى اوفير وترشيش لجلب الذهب والعاج * وبعد ما هيّأ سليمان جميع الموادّ اللاّزمة . بدأ ببنيان الهيكل حتّى اكملهُ * فجآء فريدًا عجيبًا لم يكن لهُ نظير عظمةً وبهآءً * فانّ باطن البناء من الحضيض الى حدّ ارتفاع الحيطان كان مجلّلًا بالواح من الأَرْز. مزيّنة بالزخرفات المتقنة بالصناعة الحاذقة . ومغشّاة بالذهب الابريز * وأبتُدئ بتشييد هذا الهيكل في السنة الرابعة من مُلك سليمان . وهي سنة ثمانين واربعماية بعد هجرة مصر . وسنة خمس والف قبل ميلاد المسيح * فنال سليمان هذا الحظّ العظيم ان يشيّد لله الحقّ هيكلًا أضحى جديرًا أن يُحسَب أجلّ عمل وأفخر بنيان خرج من ايدي البشر * وناهيك انّهُ من جملة المدهشات التي اشتمل عليها هذا الهيكل كان انآءٌ من نحاس ارتفاعهُ خمس اذرع في عَشَرٍ عرضًا . ودائرتهُ ثلاثون . يحوي ثلاثين راوية من المآء . وكان مستندًا على اثني عشر ثورًا من نحاس . مقسّمة بأربعة صفوف متّجهٍ كلٌّ منها الى احدى الجهات الاربع

الاصليّة. وكان اسم هذا الاناء عند العامّة بحر النحاس. وكان فيهِ يغتسل الحبر الاعظم والكهنة اذا دخلوا الهيكل * ثمّ انّ سليمان بعد ما صرف في عمل البناء سبع سنين. أتى على آخرهِ. وفي الختام احتفل تبريك الهيكل بكبكبة غير معهودة. فانّهُ حمل اليهِ التابوت المقدّس من الخيمة التي كان داود قد اودعهُ فيها عاريةً * ونُحِر عند ذلك اثنان وعشرون الف ثور ومائة وعشرون الف شاة. وكان العيد والسرور عامًّا لامّة اسرائيل كافّةً * وكان سليمان يمشي قدّام التابوت. والجوّ يرعد بأصوات الآلات . ونغمات الاغاني القدسيّة * ووُضع التابوت في قدس الاقداس. واذا بسحابة سماويّة انتشرت في نواحي الهيكل * فجثا الملك على ركبتيهِ. ورفع يديهِ الى السماء قائلاً: ألا يا ربّ يا آله اسرائيل. انّهُ ليس الاه غيرك في السماء ولا على الارض. أَفَلعلّك تتنازل الى ان تساكن البشر. أَوَ ليس سعة السموات كلّها لا يمكنها ان تحويك. فيا ما ابعدك من ان يحويك هذا الهيكل الذي ابتنيتهُ انا * ثمّ انّ سليمان تضرّع اليهِ تعالى أن يفيض بركاتهِ على اسرائيل. وان يصْغَى باذن الرضى الى ادعية الذين يدعونهُ في المكان المقدّس * وكانت مدّة هذا العيد خمسة عشر يومًا * وبعد ذلك شاد

سليمان قصوراً فاخرة له ولزوجتهِ الملكة. وكان فيها الذهب والفضّة يتلامعان من كلّ جانب. وتروق الاعمدة المزخرفة والتصاوير والنقوش بصناعة الهندسة الموزونة الظريفة اكثر ما يكون. وجميع هذه الاشياء كانت تبهر العيون والعقول * وهذه الجلالة وهذه الغرائب نشرت على وجه الارض صيت سليمان ملك اسرائيل. فاقبل الاجنبيّون مسرعين بازدحام وهيام ليروا هذا الملك الحكيم القدير * ووفدت من الجملة ملكة سَبَأ من اقصى بلاد العرب. واهدت لسليمان ماية وعشرين قنطاراً او وزنةً من الذهب (١) ومقداراً لا يُحصَى من الجواهر الكريمة والعطور النفيسة. وتعجّبت من رشد سليمان وحذق ذهنهِ واستقامة احكامهِ. وطافت في اروقة قصورهِ ومحاريب الهيكل. حتّى هتفت قائلة بين يديهِ: قد صحّت الآن الاخبار التي بلغتني عنك. وكنت اخالها اموراً مستحيلة غير ممكنة. الاّ انّ ما عاينتهُ يفوق كثيراً على ما سمعتهُ. فطوبى لخدمك المُنعَم عليهم ان يحضروا على الدوام بين يديك ويسمعوا حكمتك * واتحف سليمان ملكة سَبَا بهدايا نفيسة الى الغاية. فعادت الى مملكتها بصحبة حشمها * غير انّهُ لم تثبت هذه حكمة سليمان العجيبة سالمةً في كمال

(١) اعلم انّ زنة القنطار ويقال له الوزنة ايضاً اثنا عشر الف درهم *

السعد المتّصل. فانّ صاحبها توغّل في النعيم واللذّات حتّى اسكرتهُ. وافضى الامر بهِ الى زلّات فظيعة. فانّهُ اتّخذ نسآء وثنيات. وهنّ افسدن قلبهُ ورغّبنهُ في عبادة الاصنام * فنصب في الجبل الذي يجاور اورشليم مذبحًا لملكوم الاه بني عمّون. وقرّب الضحايا لسائر الآلهة الكاذبة التي كانت نسآؤهُ يعبدنها * فابدى الله غيظهُ. وتراءى لسليمان مرّة ثانيةً. ووبّخهُ على انّهُ نبذ ميثاقهُ وصار ينقض في كلّ يوم وصاياهُ. الّا انّهُ سامحهُ من اجل داود وعفا عنهُ * ولكنّهُ لم يَدَع خيانتهُ بدون عقوبة. بل انذرهُ بانقسام مُلكهِ بعد موتهِ وبانّ ابنهُ رحبعام لا يبايعهُ الّا الجانب الصغير من الاسباط وتكون البقيّة تابعة ليوربعام * وكان هذا يوربعام رجل ذا دهآءٍ وحزم. واياهُ كان قد ولّى سليمان مرتبةً شريفة في مملكتهِ * فاقبل عليهِ نبيّ من قبل الربّ. وأنبأهُ بارادتهِ تعالى. ومزّق ملحفتهُ الى اثني عشر جزءًا. وكلّمهُ قائلًا: خذ لنفسك عشرة اجزآء من هذه الملحفة. لانّهُ هاهوذا قول الربّ: انّي لامزّقنّ مُلْك اسرائيل على انّهُ تركني. ولأُعطينك منهُ عشرة اسباط. فان انت اطعتني وصنعت ما هو مستقيم قدّام عينيّ. فانا اكون معك. واثبّت لذرّيّتك مُلْك اسرائيل * وكرّر الله هذه النبوّة على المَلِك بفم ابيّا النبيّ * ومن

تلك الساعة فصاعدًا صار سليمان يلتمس الحيلة ليهلك الشابّ يوربعام * فاذ لم يشاهد يوربعام حولهُ الاّ أقوامًا اعداءً. رحل الى ديار مصر * وتُوفّي سليمان ولهُ من العمر ستّون سنةً بعد ان امسك عنان المُلْك اربعين سنة * ما اعظم الفرق بين سعادة مبادئهِ وشقاوة اواخرهِ * ودُفن في مدينة اورشليم بجنب داود ابيهِ * اعلم انّ دولة هذا المَلِك تحوي فوائد قويمةً وعِبرًا نفيسةً * منها انّ سليمان مع الوقاية الخصوصيّة الباهرة التي اكتنفتهُ في اوّل امرهِ من لدن المولى الكريم نراهُ دنّس شيخوختهُ بافعال العار. فنعتبر من ذلك انّ السعد الحقيقيّ في هذه الدنيا لا يتوقّف على العزّة والثروة. ولولا ذلك لما شاهدنا ابن داود قد سئم الحيوة وشكا مراراتها حال اقبالهِ وعزّهِ * ولسليمان مصنّفاتٌ مُدرجةٌ في الكتاب المقدّس. وهي سفر الامثال وسفر الجامعة ونشيد الانشاد *

الفصل الخامس عشر

انشقاق المملكة — اخبار ملوك يهوذا — رحبعام — وابيام — واسا — وملوك اسرائيل: يوربعام وناداب وبعشا وآلا وزمري وعمري واخاب — قصّة شقاق الاسباط العشرة — المملكة ابزبال — ايلياء النبي وكهنة بعل — كرم نابوت

(سنة ٣٠٢٤ للخليقة وهي سنة ٩٨٠ ق م) — بعد وفاة سليمان استثقل بنو اسرائيل الجبايات المرسومة عليهم. والتمسوا ان تخفَّف وتقلَّل * فوفد باسم الجماعة رُسُل علي رحبعام خليفة سليمان. وكان مقدّم الوفد يوربعام. فشرح لرحبعام مقصود الأُمّة * فطلب رحبعام ثلاثة ايّام مهلة حتّي يعطي الجواب * فاجتمع في مجلسهِ أعيان الدولة من الشيوخ والوزرآء الذين كانوا في عهد سليمان. فاشاروا على رحبعام بالرفق والفطنة. واظهروا لهُ انّ الشعب محقّ في تظلّمهِ. وانّ الرفق بهم من فرائض العدل. وانّهُ ينبغي حُسن الالتفات الى القوم المظلوم ولاسيّما في اوّل امرهِ * فلم يقبل رحبعام هذا الراي. بل استشار ندمآءهُ

الأحداث الذين تربّوا معهُ وكانوا مقرَّبين عندهُ. فكلّموهُ كلامًا لم يفطنوا بوخامة عاقبتهِ. واشاروا عليهِ ان يجاوب الامّة بقولهِ: انّ ابي على زعمكم قد حمّلكم نيرًا ثقيلًا. وانا لا احمّلكم الّا نيرًا اثقل. وابي ادّبكم بالعصيّ. واما انا فلا اعاقبكم الّا بالسياط التي في اطرافها اسنّة من حديد * فانزعج القوم من هذا الجواب. وصحّت عند ذلك نبوّة ابيّا * فاخذ الشعب في اوّل الامر ياتون بالدمدمات والتهدّدات. واشهدوا على انفسهم أنّهم لن يطيعوا ابدًا ملكًا عاتيًا ظالمًا * واذ حاول ادورام احد امرآء الدولة ان يهدّد القلوب. رجمهُ الناس. وأُلجئ رحبعام الى الفرار هربًا * وبايع عشرةٌ من الاسباط يوربعام بالخلافة. ولم يلبث في طاعة ابن سليمان سوى سِبط يهوذا وسِبط بنيامين * ومن هنا ابتدأ في الأَسباط ذلك الشقاق الذي انشأ المملكتين مملكة اسرائيل ومملكة يهوذا. واحدث العداوة بينهما. ثمّ الضعف ثمّ الزوال * امّا ملوك يهوذا فجعلوا سرير مُلكهم في اورشليم. واما يوربعام ملك اسرائيل فاختار مستقرّهُ في مدينة شخيم. ثمّ في ترصة. وهي بقيت قاعدةً لهذه الدولة الى ان عُمّرت السامرة * وكانت دولة يهوذا مع كونها مقتصرةً على سبطين فقط تفوق دولة اسرائيل شوكةً. لانها كانت

منطويةً على احسن الاراضي غنىً واكثرها خلقًا *

---

* في اخبار ملوك يهوذا *

انّ رحبعام فكر في خلال ذلك ان يتجهّز بماية وثمانين مقاتلًا لاستخلاص حقوقهِ . فردّهُ عن ذلك شمعيا النبيّ مذكّرًا لهُ بانّ هذه الامور كانت حادثةً عن مشيّتهِ تعالى . وانّهُ سبحانهُ قصد ان يعاقب سليمان في عقبهِ * وسار رحبعام في مدّة السنين الثلاث الاولى من ولايتهِ على خطوات جَدّهِ داود . الا انّهُ لم يستمرّ امينًا ناصحًا في شريعة الله . بل أَمسى قدوةً لقومهِ في الاثم . وجلبت معاصيهِ النقمة السماويّة على مُلكهِ * فروِي شيشق مَلِك مصر وقد اقبل بجيش عرمرم . ونصب الحصار على اورشليم * وحينئذٍ تذلّل رحبعام بين يدي الله . فترحّم تعالى عليهِ وعلى شعبهِ . واشفق على حياتهم وحياتهِ . الاّ انّهُ دفعهُ يسيرًا من الزمان في يد شيشق * فدخل شيشق اورشليم ظافرًا . وسلب كنوز الهيكل وانصرف * فانقلب رحبعام معاودًا على خطاياهُ الاولى . ومات على فسقهِ . وكانت مدّتهُ سبع عشرة سنة . وخلفهُ في الملك ابنهُ ابيام *

(سنة ٣٠٤١ للخليقة وهي ٩٦٣ ق م) — نال ابيام على يوربعام

ملك اسرائيل غلبة مشهورة. ثمّ تناسى انّ نجاحهُ من لدُن الله فداخل قلبهُ الفساد وعبد الاصنام * وكانت مدّتهُ ثلاث سنين. وخلفهُ ابنهُ آسا البارّ *

(سنة ٣٠٤٤ للخليقة وهي سنة ٩٦٠ ق م) - ونهض آسا لدكّ الاوثان وإزالة عبادتها بعدما كانت جدّتهُ معكا قد أبقتها واكرمتها في ايّام صغره * وحافظ آسا بنصحٍ على سنّة الله. فاثابهُ تعالى على برّهِ * وذلك انّ زارح ملك الحبشة اغار على اليهوديّة في الف الف رجل وثلاثماية عجلة حربيّة. وكان ذلك جيشًا مرعبًا. فلاقاهُ آسا وهو ممتلئٌ ثقةً بهِ تعالى بعد ان ابتهل اليهِ بصلوةٍ خشوعيّة. واذا بالحبشة قد اخذتهم الرجفة بغتةً فتفرّقوا ايادي سبا. وولّوا منهزمين وتركوا للغالبين غنائم جسيمة * وكان من الواجب على ملك يهوذا بعقب هذه النصرة المشهورة من لدن الحماية الالهيّة ان يتوطّن في سريرتهِ الاولى نحوهُ تعالى. الّا انّهُ زلّ زلّة كبيرةً اذ تعاهد مع بنهداد ملك الشام لمدافعة بعشا ملك اسرائيل الذي بغى الاستيلاء على ارضهِ * فبعث الله اليهِ بالنبيّ حناني. فبكّتهُ على انّهُ اختار أنصارًا من بين الوثنيّين * فلم يلتفت آسا الى هذا التوبيخ العادل. بل أمر برسول الربّ فأُلقي في السجن * ومن ساعتئذٍ

فصاعدًا غدا آسا ظالمًا اثيمًا . حتّى اذا هجم عليهِ المرض . لم يستعن بالربّ . بل استمدّ العون من الاطبّاء الغرباء * ومات بعد أن ملك احدى واربعين سنة *

* اخبار ملوك اسرائيل *

كان يوربعام خائنًا مع الاههِ فضلًا عن مَلِكهِ * فانّهُ افتتح امرهُ بالاثم وعبادة الاوثان . وخال لهُ انّ اهون سبيل لتثبيت سلطتهِ هو ان يبعِد قومهُ عن بيت الله . فمنع تبعتهُ عن الذهاب للقربان . واصطنع عجلين من ذهب . وجعل الواحد في بيت ايل والآخر في دان . وقال لبني اسرائيل : اجثوا امام هذه الآلهة . فانّها هي التي نشلتكم من عبوديّة مصر * واقام لهذه الآلهة الكاذبة مذابح فاخرة . وانتخب لها كهنةً من رعاع الشعب لا من ولد لاوي * ولمّا كان يوربعام المنافق واصحابهُ مشغولين باعيادهم . اذا بنبيٍّ من يهوذا بعث بهِ الله . فوقف قبالة مذبح بيت ايل . ونادى منذرًا بانّ جميع الكهنة المقامين لعبادة الوثن سوف ياتي يومٌ فيهِ ينحرون في الهيكل نفسهِ * وصحّت هذه النبوّة في عهد يوشيّا الملك بعد مرور مائتين وخمسين سنةً * فاغتاظ يوربعام من حديث هذا النبيّ .

وأَمر شُرَطهُ ان يقبضوا عليهِ . ومدّ يدهُ عليهِ ومن ساعتهِ شلّت يدهُ . فذلّ الملك اذ اصابتهُ هذه العقوبة فجأةً وابتهل الى النبيّ ليستمدّ لهُ الشفاء . فأُستجيب دعاؤهُ *

وانقضت بقيّة ايّام يوربعام مضطربة بالفتن الداخليّة والحروب الخارجيّة * وتوحّل القوم بعبادة الاوثان اقتداءً بملكهم . ولم يفيقوا من هذه ضلالتهم ابدًا . ولم يزل الكفر مستوليًا على مملكة اسرائيل الى يوم انقراضها التامّ * ومات يوربعام وقد ملك اثنتين وعشرين سنةً . وخلفهُ ناداب ابنهُ *

(سنة ٣٠٤٥ للخليقة وهي سنة ٩٥٩ ق م) - فاخذ ناداب زمام المُلك مكان ابيهِ يوربعام . واقتدى بكُفرهِ . فقام عليهِ بعشا الباغي . وسلب منهُ المُلْك . وقتل جميع آل يوربعام * وانهمك ناداب بعبادة الاوثان مثل أَسلافهِ . وكان اذا وبّخهُ على ذلك ياهو النبيّ . استخفّ بموعظتهِ وأَمر عليهِ بالموت * ومات بعدما ملك اربعًا وعشرين سنة . واستخلف في سرير السلطنة ابنهُ آلا * وهذا لم يستقرّ مالكًا سوى نحو سنتين . لانّ زمري صاحب جيشهِ خرج عليهِ واستولى على قصرهِ بقوّة السيف . ودخل عليهِ وهو في وليمة سمينة . فذبحهُ وآلهُ معهُ حتى لم يستبق احدًا من قرابتهِ وأَصحابهِ *

(سنة ٣٠٧٠ للخليقة وهي سنة ٩٣٤ ق م) - ولم يجْنِ زَمْري الاثمار التي رجاها من جريمتهِ * فانّ عَمْرِي قائد عساكر اسرائيل بايعهُ الجُند بالخلافة. فحمل على تِرْصة وحاصرها وقد تحصّن فيها زَمري * فلمَّا لم يَرَ زمري بُدًّا من الوقوع في يد عدوّهِ. عمد على ما هو معهود اليوسيين. فأَمر بان تُطلَق النار على القصر. واحرق نفسهُ وجميع اهلهِ معهُ. ومات وفي قلبهِ كفر يوربعام بعينهِ. مع انهُ لم يستقرّ في السلطنة المختَلسة الاّ سبعة ايّام فقط. ففقدها وحياتهُ معًا * فأَصبح عَمري ملكًا على اسرائيل. ودامت لهُ في دولة هادئة مدّة اثنتي عشرة سنة * وشاد مدينة السامرة. وهي اضحت كرسيّ مملكة اسرائيل * ثمّ انّ عمري حاد عن الدين القويم كالذين سبقوهُ * وعند موتهِ خَلَفهُ اخاب ابنهُ *

(سنة ٣٠٨١ للخليقة وهي سنة ٩٢٣ ق م) - وفاق اخاب كُفرًا وفِسقًا على جميع اعقاب ملوك اسرائيل. حتى ضمّ اوثانًا على التي كان يوربعام قد نصبها للعبادة * وتزوَّج اخاب بإِيزَبال ابنة ملك الصوريّين. وصار يسحب قومهُ اكثر فاكثر الى الكفر والطغيان * وتفاقمت قبائحهُ حتى جزم الله ان يعاقبهُ بالمحل ثلاث سنين. فاوعز الى ايلياء بان يَقدَم الى اخاب بخبر هذه العقوبة المقتضية * فانقطع المطر من السماء مدّة ثلاث سنين. ووقع بنو

اسرائيل كافةً فريسةً لمجاعة شديدة * وكان ايليّاء النبيّ في اثناء ذلك معتزلاً بنفسهِ بأمرهِ تعالى في البرّيّة على ارياف وادي كيريت. وكانت الغربان مُسخَّرةً له تحمل اليهِ الطعام صباحًا ومساءً * واذ نشَّف المحل مياه ذلك الوادي. ذهب ايلياء الى ارملة في صارفة. كان الله قد اوحى اليها ان تقوم بمعاشهِ. فلمّا قرب من المدينة. اذا بهذه الارملة المسكينة تحتطب حَطَبًا. فقال لها: اسقيني ماءً. وان سَنَحَ لكِ فاطعميني كسرةَ خبزٍ ايضا * قالت: اعلم انّي لم يبقَ لي سوى يسير من الدقيق وقُطَيرات من الزَّيت. وتراني احتطب لاذهب واخبز رغيفًا. فأقتسمهُ بيني وبين ولدي. ثمَّ نموت كلانا جميعًا * فطيَّب ايليّا خاطرها. وحثّها بتحضيض أَنْ تعجن الدقيق المذكور عاجلاً. وقال لها: هذا ما يُنبئُكِ بهِ الربُّ على فيَّ. انَّهُ لن ينقص زادكِ الى ان ينقضي الجَدْب. يومَ يرتضي الرحمٰن ان يُنزِل المطر على وجه الارض * وكان وعد ايليّا صادقًا صحيحًا * وهذه الآية الاولى ردفتها بعد قليلٍ آيةٌ أُخرى: وذلك انّ ابن الارملة دهمتهُ داهية ومات. فحملتهُ امّهُ وقد قضى نحبهُ الى النبيّ. فدعا النبيّ وصلّى الى الله. واذا بالصبيّ رجعت روحهُ اليهِ * فاندهشت الثكلى الحزينة وطار عقلها من الفرح. وهتفت قائلةً: اشهد

انّك رجل الله وانّ كلمتهُ تعالى هي على الحقيقة في فمك *
وفي خلال ذلك كان اخاب وزوجتهُ يعاديان النبيّ ايلياءَ. واذ لم يتمكّنا من التوصّل اليهِ. رشقا سهام عداوتهما بأحبار الله * واذ قارب حدّ المَحَل ان ينقضي. خرج ايلياء من خلوتهِ. وقَدِمَ فجاةً علي الملك وامتثل قبالة عينيهِ * فلمّا ابصرهُ الملك. اخذ يعاتبهُ على انهُ زرع الفتنة والنجس في مملكة اسرائيل. فاجابهُ الرجل الصدّيق وقال: ليس انا. بل انت ايها الملك المنكود الحظّ هو الذي اهاج الشرّ في ملكهِ بمغادرتهِ المولى سبحانهُ واتّخاذهِ وثن بعل * وبعد هذا اجتمع ايلياء برؤساء اسرائيل ووجوههم. وكلّمهم وقال لهم: اتستمرّون انتم أَبَدَ الدهر منقسمين في شان مسئلة هيّنٍ حلُّها * علي انّهُ ان كانت عبادة الله هي الواجبة. فلِمَ لا تنقادون لهُ طائعين * ولكن انْ كان بعل هو اقدر من الله. فداوموا على تقريب الضحايا لهُ * وهذا بعل لهُ فيكم اربعمائة كاهن. فلياتوا ويقرّبوا ذبيحةً لهُ. وانا ايضًا اقرّب لالهي. ويكون الشرط: أَنَّ الالَه الذي يستجيب دعاء صاحبهِ وينزِل على مذبحهِ نارًا من السماء. يكون هو المشهود لهُ انّهُ هو الالَه الحقّ * فصار الاتّفاق على ذلك. وابتدأ بالعمل اوّلاً كهنة بعل. وذلك انهم اتوا بثوار وقطّعوها اربًا اربًا.

وخرّوا سُجَّدًا النهار كلّهُ امام وثنهم يبتهلون . وكان ايلياءُ يقول لهم : صيحوا وزيدوا صياحًا . فلعلَّ بعل اطرش . او لعلّهُ راقدٌ . فيحتاج الى ان يُوقَظ * ولمّا فرغوا . ابتنى ايلياءُ مذبحًا من حجارةٍ . وحوّطهُ بخندق ملآن ماءً . واخذ ثورًا وقطّعهُ اربعة اجزاءٍ . واصعد القربان . ثمَّ صاح : الا يا الاه ابرهيم واسحٰق ويعقوب استجِب لي . لكي يعلم هذا القوم باجمعهِ أنَّك وحدك الآله الذي يهدي القلوب . ولم يفرغ ايليّا من دعائهِ هذا واذا نارٌ انحدرت من السمآء على القربان . فاحرقت الضحيّة مع الحجارة والتراب حتّى المآء الطافح على الخندق ايضًا * فلمّا رأى الحاضرون هذه المعجزة الباهرة . اكبّوا على وجوههم وتشهّدوا : أنْ لا الاه الاّ الله الاه ايليّا * ثمّ امر ايليّا فقتل كُهّان بعل . وسُحق وثنهم * ووعد ايليّا الملك اخاب بانقضاء المحل . ولم يلبث أنْ جاءَ مطرٌ غزير وبلّ الارض في الحال حتّى غمرها * ولكنّ اخاب لم يزَل مُصرًّا على كفرهِ مع ما عاين من آيات النبيّ وصدق نبوّاتهِ * فلمّا بلغ كلّ ما جرى الملكة ايزبال من هدم بعل وهلاك كُهّانهِ . استشاطت غيظًا شديدًا وصاحت قائلةً : لا يمضي يومٌ واحدٌ الاّ ونقمتي تكون قد حلّت بهذا النبيّ * وعلى ذلك انتشرت شُرَطُها في جميع الجهات * فالجأ الحال ايليّا ان ينقطع مرّة

ثانيةً الى الصحراء. وهناك وافاهُ ملاك وشجّعهُ * ثمّ ضرب في البرّية مسير اربعين يومًا حتّى اتى جبل حوريب. فتراءَى الله لهُ وامرهُ ان يذهب الى دمشق. ففعل ايليّا كذلك * وفي حال مسيرهِ تلاقى باليشاع وهو يحرث الارض في خدمهِ. ويسوق الفدّان بنفسهِ. فاوحى الله الى ايليّاء في ان يجلببهُ بجلبابهِ * فلمّا فعل ايليّا ذلك. انتعش في اليشاع روح الربّ حتّى انهُ بعد ان واجه والديهِ آخر مرّة وودّعهما. انقلب الى وليّ الله ايليّاء. وتبعهُ متمسّكًا بهِ ما عاش * امّا اخاب فكان في خلال ذلك منهمكًا باصناف الفسق والفجور. وهو يجور على الناس جورًا فاحشًا. حتّى انّهُ اذ رأى يومًا انّ نابوت (وهو رجل من مدينة يزراعيل) لهُ كَرْمٌ اصابهُ من ميراث جدودهِ ولم يملك غيرهُ. طمع فيهِ واراد ان ياخذهُ منهُ ليوسّع بهِ حدائقهُ المجاورة لهُ. فاشار الى نابوت ان يهبهُ لهُ. فأبى نابوت من ذلك. وكانت الشريعة من قبلهِ. ولمّا لم يتجرّأ الملك في بديهة الامر على استعمال الجبر والغصب. حزن حزنًا شديدًا على خيبوبتهِ هذه * فلمّا احسّت ايزبال على الفور بعلّة كآبتهِ. اخذت تهزأُ بهِ كأنّهُ انسانٌ وسواسيٌّ. ثمّ دعت شاهدَي زور وامرتهما ان يشهدا على نابوت بانّهُ سبَّ مولاهُ الملك. ففعلا كما احبّت.

فقُتل نابوت مرجومًا في ذلك اليوم بعينهِ * فانطلق اخاب لاستملاك الكرم المذكور. فلَقيهُ ايلياءَ النبيّ. وانذرهُ قائلاً: لقد اتّصل بك البغي والتطاول الى انّك قتلت نابوت واخذت ميراثهُ. ألاَ فاعلم انّهُ في هذا الموضع بنفسهِ الذي فيهِ لحَسَت الكلاب دم نابوت. سوف تلحس الكلاب دمك انت ايضاً. وسوف تفترس الكلاب ايزبال في عقار يزراعيل * وكان حلول هذا الوعيد في حرب نشبت بين يهوشافاط ملك يهوذا وبنهداد ملك الشام * وذلك أنّ ميخا النبيّ لمّا استعلمهُ ملك اسرائيل في شان عاقبة هذه الحرب. اعاد عليهِ توعّدات ايلياءَ المار ذكرها. ولسبب ذلك عاقبهُ اخاب بالسجن وتهدّدهُ ان يعرضهُ للقتل عند عودتهِ * ولكنّهُ لم يرجع سالمًا من تلك الغزوة. فانّهُ باد بسهم أُطلق عن غير تعمّد وهو في عَجَلَةٍ منفردة تجرّها الخيل خارجًا عن المعركة * ثمّ حُملت جثّتهُ الى السامرة. وغُسلت عَجَلتهُ ولُحُمُ دوابّها في بركة السامرة. ولحست الكلاب دمهُ وفقًا لنبوّة ايليّا *

الفصل السادس عشر

ملوك يهوذا: يهوشافاط — يهورام — اخزيا * ملوك اسرائيل: اخزيا — يهورام — ياهو — اليشاع النبي — حصار الشاميين للسامرة

* ملوك يهوذا *

(سنة ٣٠٨٥ للخليقة وهي سنة ٩١٩ ق م) — انّ يهوشافاط بن آسا اقتفى آثار سيّدنا داود الملك. وافرغ جهده كلّهُ في نشر الدين والعدل في بلادهِ. وكان في ابادة الاصنام ومحو عبادة آلهة الزور اشجع وامضى من ابيهِ * وكان جملة من الكهنة واللاويين المقلّدين تأويل السنّة القدسيّة يطوفون المملكة. ثمَّ يوقفون المَلِك علي حاصل ما يطّلعون عليهِ في جولتهم * غير انّ يهوشافاط ارتكب زلّتين: إحداها انّهُ زوّج ابنهُ يهورام بعتليّاء ابنة اخاب الفاسق ملك اسرائيل. والاخرى انّهُ تعاهد بعد ذلك مع هذا الملك وغزا معهُ الشاميّين * ثمّ انّهُ استفاق من ورطتهِ هذه. فندم عليها ندامةً من صميم قلبهِ. وتصاغر

بين يدي الله. فحنّ الله عليهِ وغفر لهُ * وبُعَيد ذلك تقدَّم يهوشافاط لمقاتلة بني عمّون. فاستعان باسم الربّ. وسار عليهم في جيشهِ. وفي مقدّمة الجيش جمهورٌ من اللاويّين يسبّحون الله ويكبّرونهُ. فلم يلبث الاعداآء ان عميت بصائرهم وابصارهم. فعطفوا باسلحتهم على انفسهم وقتلوا بعضهم بعضًا * وكان يورام ملك اسرائيل يحارب اذ ذاك بني مواب. فاستنجد ملك يهوذا. فضمّ يهوشافاط عساكرهُ الى عساكر يورام. وضربا جميعًا في بريّة سحيقة * واعوزهم فيها الماآء مدّة سبعة ايّام. وكاد الجند يموتون عطشًا * فطلب يهوشافاط الى اليشاع النبيّ بان يغيث بني اسرائيل وملكهم * فاجاب اليشاع الى سؤال ملك يهوذا. ووعدهُ بانّهُ ينال حاجتهُ. وتنبّأَ ايضًا قائلًا: انّ الدائرة سوف تكون على الموابيّين * وفي غد ذلك اليوم هطلت جداول الماآء الزلال متسلسلة في الحقول. فرَوِيَ منها الناس والمواشي اجمع من جيش اسرائيل. ولكنّ ذلك امسى تهلكةً للموابيّين. لانّهم بينما كانوا يركضون لمقاتلة الملكَين. انخدعوا من بُعد بانعكاس اشعّة الشمس امامهم. فتخيّل لهم انّهم يبصرون امامهم امواج دم تتدفّق. فاستلزموا من ذلك انّ اعداآءهم قد قتل بعضهم بعضًا * غير انّ رجاآءهم خاب. فانّ يهوشافاط ويورام تلقّياهم

بسطوة وباس. وبتعب يسير كسر هذان الملكان العدوّ كسرةً تامةً * وتُوفّي يهوشافاط (وقد ظهر صادقًا للربّ) بعد ان وَلِيَ المُلك خمسًا وعشرين سنةً. وكان من المعدودين في أُولي السمعة والشان من ملوك يهوذا *

(سنة ٣١٠٨ للخليقة وهي سنة ٨٩٦ قبل المسيح) – ورث يهورام بن يهوشافاط عرش ابيهِ بمعزلٍ عن مآثرهِ ومناقبهِ. فانهُ لم يرثها البتّة. وفتح امرهُ بمقتلة اخوتهِ جميعًا. وتبع آراءَ زوجتهِ عثلياءَ ابنة اخاب وايزابل. وأفسدت زوجتهُ قلبهُ. فتفرّغ متولّعًا في جميع منكرات الطغيان والفسق * ولكنّ الله لم يؤخّر زمانًا طويلًا معاقبتهُ * فاوّلًا خرجت عليهِ بلاد ادوم وهي من جملة اعمال دولتهِ. فخسرها أَبد الدهر * ثمّ انّ الفلسطينيّين والعرب اغاروا على اليهوديّة. وولجوا اورشليم وسلبوا صَرْح الملك وأَسَروا اولادهُ باجمعهم الّا اصغرهم. وهو اخزياءُ فانّ الربّ صانهُ حذرًا من انقراض عقب داود الذي كان عتيدًا ان يخرج منهُ المسيح * واصاب يهورام علّةٌ ذريعة. فقضي على الفور وهو لا يشهد يد الله التي انزلت عليهِ العقوبات الشديدة من جرّاءِ آثامهِ الفظيعة * وكانت مدّتهُ سبع سنين *

(سنة ٣١١٤ للخليقة وهي سنة ٨٩٠ ق م) – وتخلّف بعد

يهورام اخزيآء ابنهُ . وكان آخِر اولادهِ كما مرَّ *وصار يقتدي بكُفر ابيهِ * وحملتهُ امّهُ عثلياءُ على ان يتعاهد مع يورام ملك اسرائيل في غزو الشاميّين * فارتبك اخزيآءُ في فواحش آل اخاب الذي هلك تحت طعنات ياهو . كما سيأتي الكلام عن ذلك * ولم تكن مدّتهُ سوى سنة واحدة *

ملوك اسرائيل

(سنة ٣١٠٢ للخليقة وهي سنة ٩٠١ ق م) – وانّ اخاب خَلَفهُ في مُلْك اسرآئيل ابنهُ اخزيا . ولم يملك سوى سنتين فقط * فانّهُ سقط من شبّاك مرتفع . فبعث الى بعلزبوب الاه عقرون . وسألهُ الفتوى في نوال العافية * فخرج ايليّآء النبيّ للقآء رُسُل الملك . وامرهم ان يرجعوا الى عقبهم ويُعلموا سيّدهم انّهُ ما من قوّة بشريّة يمكنها ان تؤخّر اجلَهُ * فلمّا سمع اخزيآء ذلك . انزعج وامتلأَ غيظًا . وبعث بخمسين رجلًا . وامرهم ان يقبضوا على ايلياء ميتًا كان او حيًّا * فسقطوا كلّهم على الفور وقد ضربتهم نارٌ من السماء * فاعاد ايلياء ثانيةً على الملك الانذار والتهدّد كما فعل قبلًا على يد رُسُلهِ * ومات اخزيآء عقب ذلك بمهلةٍ يسيرةٍ *

وفي خلال ذلك كان قد بلغ اليشاع انّ سيّده ايلياء ازمع ان يفارق الارض عمّا قليل. فصار يقفو اثرهُ حيثما توجّه * فلمّا كانا كلاهما ذات غداةٍ سائرين يتفاوضان. اذا بعجلة من نار فصلتهما عن بعضهما بعضاً كما نصّ السفر المقدّس. وصار ايلياء يرتفع الى السماء في وسط عجاجة. لانّ الله استدعاهُ اليهِ * ولبث اليشاع ينظر اليهِ وهو يرتقي حتّى غاب عن منظرهِ * وعند ذلك عمد اليشاع الى الملحفة التي تركها ايلياء حين صعودهِ. وبامرهِ تعالى استقرّت الروح التي كانت قد ملأت ايليّا في تلميذهِ اليشاع مضاعفةً. فاصاب من الله كرامة النبوّة وكرامة المعجزات برهاناً صريحاً على رسالتهِ السماويّة * وافتتح امر كرامتهِ بعبور الاردنّ برجلين ناشفتين. فانّ المياه انفصلت امام ملحفة ايليّا. كما انفصلت يوماً بعصا يشوع * ثمَّ قدِمَ اليشاع الى مدينة ايريحا. فشرع اهلها يشكون اليهِ مرارة المياه ورداءة تربتهم. فاودع النبيّ شيئاً من الملح في الينابيع فزالت عنها المرارة. واصلح ايضاً حال تربتهم وجعلها اريضةً. حتّى اشتهرت منذ ذلك اليوم بخصوبتها ونضارتها * ثمّ خرج اليشاع من ايريحا. وتوجّه نحو مدينة بيت ايل. واذا بزمرة من الصبيان وقد لعبت بهم جهالة الصبوّة. اذ شاهدوا الشيخ المحترم يجوز

طريقهُ برفقٍ. طفقوا يسخرون بهِ ويصيحون عليهِ: يا اصلع يا اصلع. ولكن لم يمضِ زمان حتّى نزل بهم الوبال الذي كانوا يستحقّونهُ. وذلك انّ اليشاع دعا عليهم باسم ربّ العزّة. فطلع دبّتان من غابة هناك. وانتشبتا في وسطهم. وأفترستا منهم اثنين واربعين صبيًّا. لانّهم اهانوا المولى العظيم بما فعلوا بنبيّهِ *

+ (سنة ٣١٠٤ للخليقة وهي سنة ٩٠٠ ق م) – وكان يورام الابن الثاني لآخاب قد تخلّف بعد اخيهِ اخزياءَ في عرش اسرائيل. وزُيّن لهُ ان يقتدي بسيرة ابيهِ المذمومة. وعاش مثلهُ في الكفر والفسق * واتّفق انّ الموابيّين ابوا اداءَ الجزية المألوفة. فانذرهم بالحرب. ولمّا كان عاجزًا عن مدافعتهم. استنجد يهوشافاط الملك. فعاهدهُ يهوشافاط وامدّهُ. فغلب الاعداءَ (كما مرّ الكلام آنفًا) واضطرّهم على طلب المصالحة * +

– وكان اليشاع في غضون ذلك متكلّفًا اعباءَ رسالتهِ وهو يؤيّدها بالآيات * ومن جملة ذلك انّ ارملة مسكينة استعانت بهِ. وشكت اليهِ حالها بانّها لا تملك سوى قليل من الزيت. ولها ابنان تخشى عليهما ان يقبض عليهما الغرماءَ بَدَل دَيْنهم. فاوعز اليها النبيُّ ان تستعير آنية من الجيران وتملأها من هذا الزيت اليسير * فوثقت الارملة الفقيرة بقول

النبيّ • وملأَت كثيرًا من الاوعية من الزيت الباقي عندها. فباعت مقدارًا منهُ ووفت ديونها. واحرزت الباقي لمعاشها ومعاش ولديها * ومن ذلك ايضًا انّ امرأةً غنيّة من مدينة شونم كانت كثيرًا ما تضيف اليشاع وتقريهِ في بيتها. بادرت يومًا اليهِ وترامت عند رجليهِ متضرّعة أن يرحمها وينظر الى ضيمٍ لها * فاقبل اليشاع الى دارها. وجلس ودعا الله بصلوة حارّة حتّى احيا الصبيّ. ودفعهُ الى امهِ * ومن ذلك ايضًا انّهُ ابرأ نعمان الشاميّ من بَرَص عضال * وكان نعمان قائد جيش ملك الشام. وكان لزوجتهِ أَمَةٌ لا تفتأ مِن ذكر معجزات اليشاع النبيّ التي شاهدتها هي بنفسها * فعزم نعمان ان يقصدهُ. واصاب من سيّدهِ الملك كتاب توصية الى يورام * فتخيّل ليورام انّ في ذلك مكيدة. فشقّ ثيابهُ واجاب قائلاً: أَلا أَلعلّي انا الاهٌ حتى استطيع ان أبرئَ المصابين بالبرص * فبلغ اليشاع قدوم نعمان على يورام وكيف تلقّاهُ. فبعث بخادمٍ يقول لهُ: تعال واجهني * ولم يحبّ اليشاع أَن لا يُظهِر نفسهُ. فارسل الى نعمان واشار اليهِ ان يغتسل سبع مرّات في الاردنّ فيبرأ * فظنّ نعمان انَّ النبيّ يسخر بهِ وبعلّتهِ * فجمع حشمهُ واستعدّ للانصراف من البلد. فقالوا لهُ: هب انّ العلاج الذي وصفهُ لك لا

يفيد . ولكنَّهُ هيّن الاستعمال فانت جديرٌ ان تجرّبهُ لعلّهُ يصيب * فعزم نعمان على ذلك . واستنقع في نهر الاردنّ سبع مرّاتٍ . فبرئ * واقبل بساعتهِ الى اليشاع وشكرهُ . واتحفهُ بهدايا فاخرة . فامتنع النبيّ من ان ياخذ شيئًا * غير انَّ غلامًا لهُ اسمهُ جيحزي لم يقتدِ بقناعة اليشاع . بل سأل عارفةً من القائد الشاميّ . ولم يَزَلْ بهِ حتى نال منهُ مبلغًا من الفضّة ليشتري لهُ عقارًا * ولكن لم يلبث ان اصاب جزاءَ طمعهِ الخسيس . وذلك انّ بَرَص نعمان التبسهُ على الفور *

وشبّت حربٌ بين يورام ملك اسرائيل وبنهداد ملك الشام * وهذا لمّا شقّت عليهِ الكسرات المتعدّدة . خال لهُ انّ ذلك عن خيانة من قوّادهِ . ونوى الفتك بهم * ولكنّ احدهم رمى الشبهة على اليشاع . واحال عليهِ غضب الملك بقولهِ : انّ اليشاع لا يزال على الدوام يسير من بلاد الشام الى بلاد اسرائيل يتجسَّس الاخبار * فبعث بنهداد بطائفةٍ من الجند ليحتاطوا بالمدينة التي فيها النبيّ * فضربهم النبيّ بعمى على فجاءَةٍ . ثمّ تقدّمهم وهو يهديهم الطريق . واتى بهم السامرة . وهناك دعا الله فردّ لهم البصر وعوفوا * وعزم يورام على قتل جميع هؤلاءَ الجند . فنهاهُ اليشاع عن ذلك . بل حملهُ ايضًا على ان يُحسِن

معاملتهم . ثمّ اطلقهم الى اصحابهم * وشقّت هذه المذلّة على بنهداد ملك الشام . فجهّز جيشًا عرمرمًا . وحمل على السامرة ونصب عليها الحصار . فأجهد الجوع سكّانها الى الغاية بحيث انّ راس الحمار صار يُباع بثمانين درهمًا * وفي خلال المجاعة والحصار دخلت يومًا على يورام امرأةٌ اسرائيليّة . وجثت عند رجليهِ وسألتهُ الانصاف لها وقالت : انّي قد شارطتُ احدى صاحباتي على ان ناكل كلّ واحدةٍ منّا ولدها بالشركة مع صاحبتها . فدفعتُ انا ولدي واكلناهُ انا وهي معًا . وانت الآن نوبة ابنها . فغدَرت بالشرط واخفتِ ابنها ولم تاتِ بهِ لناكلهُ * فامتلأ الملك رعبةً وباسًا من هذا الخبر الشنيع ومزّق ثيابهُ . ولم يبقِ على جسمهِ سوى مسحٍ خشن يسترهُ * ثمّ خطر ببالهِ انّ اليشاع كان في قدرتهِ ان ينقذ المدينة ولم يفعل . فأمر بهِ ان يُقتَل . ولكنّ روح الله حذّرت النبيّ . فاغلق بابهُ في وجه الذين اتوا عليهِ * وفي الغد ندم الملك والغى امرهُ الفظيع . وابتهل الى اليشاع ان يتدارك حال الاسرائيليّين * فعرض اليشاع نفسهُ على القوم . وخاطبهم خطابًا طيّبًا حتّى جبر بهِ قلوبهم المنكسرة واورثهم شجاعةً . ووعدهم بتاكيد انّهُ في الغد في مثل تلك الساعة تُباع كيلة الدقيق بمثقال وكيلتا

الشعير بمثقال ايضًا * فاجاب احد رؤساء الجيش الحاضرين وقال للنبيّ: هَبْ انّ الله يُنزل هذه الحبوب من السماء إنزالاً. وكيف يمكن ان يصدق وعدك * فقال اليشاع. اعلم انّك ستعاين ذلك لامحالة. الاّ انّك لن تذوق منهُ شيئًا * وحدث نحو مساء ذلك النهار بعينهِ انّ اربعة رجال بُرْص اذ كانوا جالسين عند باب المدينة. طفقوا يقولون بعضهم لبعض: ما بالنا ماكثين هنا نموت جوعًا. تعالوا نعبر الى معسكر الشاميّين لعلّهم يشفقون علينا * فتوصّلوا الى محلّة الاعداء. فلم يجدوا فيها بشرًا. وذلك لانّ الله كان في الليلة البارحة قد ضرب الشاميّين برعب ورعدة حتّى تخيّل لهم انّهم يشهدون جيشًا عرمرمًا لهُ ضجيج عظيم وصياح مُرعب هاجمًا عليهم لنجدة اسرائيل. فهجروا لساعتهم معسكرهم وتركوا جميع ما فيها من الغنائم الثمينة وولّوا منهزمين * فطفق البُرْص الاربعة يسدّون جوعهم اوّلاً. ثمّ انتقوا لهم ما وجدوا من احسن السَّلْب. ودخلوا السامرة. وبلّغوا يورام ما شاهدوا * وكاد الملك لا يصدّقهم. وخشي ان يكون ذلك من كيد بنهداد. فأَمر بعض فرسانهِ ان يجسّوا المكان. فوجدوا الخبر صحيحًا * وكان الشاميّون حين انهزموا في وهلتهم. وتفرّقوا في كلّ ناحية قد

تركوا الجرحى من جيشهم في الطرق . واهملوا اثاثهم وآنية الذهب والفضّة ابتغاء إعجال السَّيْر * وحينئذٍ خرج بنو اسرائيل على محلّة الشاميّين . وسلبوا ونهبوا على سِعتهم * وحدث عند ذلك انّ ما غُنم من هنالك من القمح والشعير أُحرز عندهم وصار يُباع بثمنٍ بخسٍ طبقًا لما سبق من نبوّة اليشاع * واما ذلك القائد الذي لم يؤمن بنبوّة اليشاع . فكان قد امرهُ يورام بان يحرس ابواب المدينة ويلتزم النظام . فلمّا ازدحم الجمهور على الباب واشتدّ زحامهم . اختنق وديس تحت الارجل . وهكذا صحّت نبوّة اليشاع في اوّلها كما في آخرها * ولمّا عاد بنهداد من الغزوة . وقع في مرض عضال . ثمّ خنقهُ حزائيل وملك مكانهُ * وكان يورام في المحاربة مع حزائيل المذكور . ونهض عليهِ مصحوبًا باخزياء ملك يهوذا . وهبطا كلاهما على راموث وحاصراها . وفي المعركة جُرح يورام . فحملوهُ الى يزراعيل وقد سلّم قيادة العسكر الى ياهو احد رؤساء جيشهِ * وكانت العناية الالهيّة العادلة قد اعدّت هذا ياهو لتجري نقماتها على يدهِ وتستعملهُ لقضاء الأحكام التي قُرّرت من قديم الزمان على بيت آخاب * وفي تلك الأثناء قام احد تلاميذ اليشاع . ومسح ياهو ملكًا على اسرائيل . فسار الى يزراعيل حيث كان يورام

ضجيعًا عليلاً. وعمد الى حيلة اتى فيها بالدهآء. وتوصّل بها الى إخراج يورام من البلد. حتّى اذا استقرّ خارج الاسوار عديم الحماية. وثب عليهِ برشق السهام. وقتلهُ في عقار نابوت ذلك المسكين بعينهِ. وجعل جُثّتهُ فريسةً للكلاب * ثمّ انّ ياهو امر ايضًا بقتل اخزياءَ ملك يهوذا. الاّ انّ جثّتهُ حُمِلت الى اورشليم ودُفنت *

فاخذت الحيرة ايزبال عند ذلك. فرأت ان تعتصم بالمكر * فتكحّلت بالاثمد. وتزيّنت بانفس ما عندها من الحُلِيّ. وجلست في كُوّة من كُوَى قصرها طَمَعًا في ان يقع نظر ياهو عليها * ولكنّ ياهو اذ مرّ بها لم يحفل بتّةً بحسنها وزينتها. بل أَمر عليها فرموها الى الحضيض. وداستها الدوابّ بارجلها. وحين التمسوا جثّتها ليدفنوها. لم يلقوا منها سوى الجمجمة والأَطراف. لانّ الكلاب كانت قد افترست بدنها كما كان ايلياءُ الصدّيق قد تنبّأَ * وهٰذان المقتلان اعتقبتْهما مقتلة اولاد اخاب الاثنين والسبعين اذ قتلهم أَعيان السامرة حَسَبَ مَسَرّة ياهو الملك *

الفصل السابع عشر

ملوك يهوذا: عثليا . يوآش . امصياء . عوزيا . يوثام . احاز — ملوك اسرائيل: ياهو . يواحاز . يهواش . يوربعام الثاني . زكرياء . شلّوم . مناحيم . فقحيا . فقح . هوشع — نبوّة يونان النبيّ — نبوّة اشعياء — افتتاح السامرة على يد شلمانا سر — انقراض دولة اسرائيل

* ملوك يهوذا *

(سنة ٣١١٥ للخليقة وهي سنة ٨٨٩ ق م) — انهُ كما مرّ الكلام كان هلاك اخزياء ملك يهوذا مقتولاً يوم قُتل يورام ملك اسرائيل * وخلّف اخزياء عقبًا كثير الذكورة . الاّ انّ عثلياء جدّتهم سعت في قتلهم . فقُتلوا باجمعهم الاّ واحداً افلت من يد القاتلين * وانّما كان طمع عثلياء بارتكابها هذا الامر الشنيع ان تضبط زمام الملك وترتقي الى العَرْش الملَكيّ * وكان الناجي من القتل يوآش بن اخزياء . وانّما نجا بتدبير يهوشبع زوجة يوياداع الحبر الاعظم . وهي ضمّتهُ اليها واخذت تربيه

خُفيةً في ظلّ الهيكل المقدّس تحت عناية الحبر بعلها. وهو دربّهُ في خشية الربّ وأحسن تأديبهُ * وملكت عثلياء وحدها مدّةَ ستّ سنين. وملكت معها عبادة الاوثان * وشيّدت هيكلًا لبعل معبود الشاميّين. وسلبت من هيكل الله افخر زيناتهِ واثاثهِ. وزيّنت بها هيكل بعل المذكور * وحدث في السنة السابعة من مُلكها أنّ الله ملأ الحبر يوياداع حميّةً وشجاعة. فنهض ليستردّ حقوق ميراث داود وسلطنتهِ الى يواش وارثهِ. وحضّ رؤساء اللاويّين على الاقتداء بهِ واتّباعهِ * وفي يومٍ سمّاهُ وعيّنهُ اجتمع في الهيكل اللاويّون اجمعون. فوزّع عليهم الاسلحة * ثمّ دعا يواش اليهِ. وجعل التاج على راسهِ. وبايعهُ بالخلافة الملكيّة على بني يهوذا وهم يسبّحون الله ويرنّون باصوات الفرح والابتهاج * وفي خلال ذلك لم يكن من عثلياء الاّ أنْ ركضت ودخلت الهيكل. واذ شاهدت الملك جالسًا على العرش مكتنفًا بشُرَطٍ مسلّحين. صاحت: يا للخيانة. يا للخيانة * فاوعز يوياداع ان يقبضوا عليها. فاخرجوها من الهيكل واذاقوها كاس الموت الذعاق. فحملت قصاص جرائمها وجُوزيت بما جنت * وعمد القوم الى مذابح بعل. فسحقوا تماثيلهُ. وقتلوا ماثان زعيم كهّانهِ *

(سنة ٣١٢١ للخليقة وهي سنة ٨٨٣ قبل المسيح) - ارتقى يواش على سرير مملكة يهوذا وقد اتى عليهِ من العمر سبع سنواتٍ فقط. ولم يزل دهرًا طويلاً محافظًا على فرائض التقوى التي كان يوياداع قد لقنهُ اياها. وكانت صداقتهُ مع الحبر الاعظم غايتها في جميع الاحوال مجد الله تعالى * واصلح يواش ما كانت عثلياء قد احدثتهُ من البلبلة والخراب من تعريتها بيت الله وتزويق بيت بعل ومن تبذيرها واسرافها في التصرّف بخزائن الدولة. فأمر بجمع الصدقات والزكوات الوافرة من العامّة * ولم يلبث أن تراجَع هيكل الله الى حالتهِ الاولى. حتّى صار يحاكي الجلالة التي كان عليها في عهد سليمان * الاّ انّ يوياداع رئيس الأَحبار لم ينَل الحظّ المشتهى. لانّهُ لم يعاين هذه الاصلاحات عند ختامها * وتُوفّي يوياداع ولهُ من العمر مائة وثلاثون سنةً. ورثاهُ الملك بانكسار وتحسّر كما يرثي الابن اباهُ. ودُفن الى جنب ملوك يهوذا وقد شُيّعت جنازتهُ بكبكبة ملكيّة *

ومن بعد وفاة يوياداع حدث تغيير عظيم وانقلاب جسيم في أَخلاق يواش وسيرتهِ. حتّى انهُّ بان جليًّا أَنّ تصرّفات الملوك وسيرتهم كثيرًا ما تحاكي أخلاق ندمائهم وجلسائهم. فانهُّ بدلاً عن مشورات يوياداع الحبر التي كانت تدلّهُ على الرشاد

وتنهج لهُ التدابير السديدة. اكتنفتهُ الندماء اللئام بتمليقاتهم. فاستبدلت عبادة الله سبحانهُ بضلالة الاوثان. وافضى الكُفر بيواش الى انهُ خذلهُ الله مع قومهِ وأنزل بهم وبهِ أهوال نقمتهِ السماويّة *

وكان زكرياء بن يوياداع قد خلَف اباهُ في الخدمة القدسيّة. ولمّا لم يَسَعهُ احتمال جرائم الملك وفسقهُ وكفرهُ. اخذتهُ حميّةٌ مقدّسةٌ فبكّت يواش على تجاوزهِ وخيانتهِ مع الله. الاّ انّ هذه شجاعتهُ ساقتهُ الى البوار. لانّ يواش انصاع الى وسوسات بعض الخبثاء الخائنين. فتناسى ايادي يوياداع واحساناتهِ وقضى بالموت على زكرياء ابنهِ. فرُجم في دار الهيكل بعينهِ. وهكذا امسى زكرياء كضحيّة وفديةٍ لشهامتهِ على الحقّ * واذ كان يجود بنفسهِ قال: لينظر الربُّ في ما اكابدهُ ولينصف لي. فاستُجيب دعاؤهُ وانقلبت احوال يواش منذ ذلك اليوم. فقضى بقيّة حياتهِ في بوس وشقاء كما كانت مبادئ ايّامهِ موسومة باليمن والسعد * وذلك انّ الشاميّين فتكوا باليهود غير مرّةٍ. ومدينة اورشليم فُتحت وأُسلمت للغارة والنهب. ويوآش جُرح في احدى الوقائع. ولم يَنَلْ ان يموت من جرحهِ. بل عجّلت اجلَهُ خاصّتهُ اللائذة بهِ وهو في سريرهِ. حتى انكروا عليهِ ايضًا الكرامات

المألوفة في دفنة الملوك وتجهيزهم *

(سنة ٣١٥٩ للخليقة وهي سنة ٨٤٥ ق م) — كان خليفة يوآش في مملكة يهوذا امصياء ابنهُ . وهو افتتح ملكهُ باعمال العدل والبرّ * الاّ انّهُ اذ اصاب غَلَبةً مشهورةً على الادوميّين . لم يذكر أنّ نجاحهُ كان من العون السماويّ . وافضت بهِ الكبرياء الى الكفر والطغيان * وكان من سوءِ تدبيرهِ أنّهُ أنذر بالحرب يواش ملك اسرائيل . فكسرهُ يواش وسحبهُ مصفّدًا بالحديد وراءهُ اذ دخل اورشليم سالبًا ناهبًا * ثمّ انّ امصياء ختم مدّتهُ باتعس حالةٍ . لانّهُ هلك قتيل قومهِ بعد ان نبذوا طاعتهُ *

وفي عهد هذا الملك انزل الله امرهُ على النبيّ يونان بأن يسير الى نينوى المدينة العظيمة الجاهليّة المتوغّلة في كبائر الطغيان ليدعوها الى التوبة . فذُعر يونان من صعوبة هذه الرسالة . ولم يمتثل ارادة الربّ . بل توجّه الى يافا وركب سفينةً قاصدًا ترشيش . الاّ انّ السفينة اذ كانت في وسط البحر العجّاج . ثار عليها ريحٌ عاصفٌ شديدة حتّى صارت الامواج المتلاطمة تتوعّد ان تبتلع بين لحظة واخرى ركّابها اجمعين * حينئذٍ اعترف يونان بانّهُ هو وحدهُ كان سبب ذاك الهول . واشار ان يُطرَح في البحر . ففعل الملاّحون ذلك . فسكنت

العاصف في الحال * وفي أثناءَ ذلك قدّر الله حوتًا عظيمًا. فابتلع يونان وامسكهُ في بطنهِ ثلاثة ايام وثلاث ليالٍ. وعند تمامها لفظهُ على الشاطئ صحيحًا سالمًا * فلما تخلّص النبيّ من الموت هكذا تخلّصًا عجيبًا. ذلّ وطاع لاوامر القهّار الحكيم. واخذ طريقهُ الى نينوى حتّى وصلها ودخلها. فطاف جميع محلّات تلك العاصمة الوسيعة وهو ينادي بصوتٍ عالٍ قائلًا: الآ من الآن الى اربعين يومًا تخرب نينوى * فلمّا سمع هذا الصوت النبويّ الملك وجميع الساكنين. اضطربوا وذكروا مآثمهم واقلعوا عنها. واخذوا يقضون توبةً نصوحًا. حتّى رقّ الله لمذلّتهم وتقبّل توبتهم وصفح لهم * كان النبيّ يونان من جملة الرموز العجيبة عن المسيح الذي باختيارهِ سلّم نفسهُ الى الموت من اجل خلاص البشر. وبعدما مكث في القبر ثلاثة ايام خرج منهُ عزيزًا مجيدًا. واوصى رسلهُ أن ينطلقوا الى جميع القبائل وينادوا بالحقّ ويدعوا الناس الى التوبة *

(سنة ٣١٩٨ للخليقة وهي سنة ٨٠٦ قبل المسيح) - بعد امصياءَ حكم في مملكة يهوذا عوزيا ابنهُ. وهو ابدى في اوّل امرهِ تديّنًا شديدًا * وكان من دابهِ استفتاءَ الانبياءَ ومشاورتهم لكي يطابق سيرتهُ في كلّ شيءٍ مع مشيّتهِ تعالى. وكان السعد

والاقبال يرافقانهِ اينما توجّه بسلاحهِ وجيشهِ ما دام ممتثلاً نصائح الانبياء * وزحف بجيوشهِ على العمّونيّين والفلسطينيّين والعرب وكسرهم جميعًا * وحينئذٍ زال الخراب عن اورشليم. وتلألأ هيكل سليمان برونقهِ الاوّل * غير انَّ السَّعد افضى الى عثرةٍ ووبالٍ على ذلك الملك المغرور. فانَّ الزهو ساقهُ الى الكفر. فتغافل عن فرائض السنّة الالهيّة حتّى تجاسر ودخل قدس الاقداس وقرّب بنفسهِ اللبان على مذبح البخور. ولم يصدّهُ عن تلك الجسارة تعرُّض عازرياء الحبر الاعظم لهُ * وكان ذلك منهيًّا عنهُ صريحًا في الشريعة الغرّاء. لانّهُ كان من خواصّ الكهنة * ولكن لمّا رفع عوزيّا المجمرة. اذا بضربةٍ هائلةٍ أتتهُ. واعترى جسمهُ كلّهُ برص اكّال. فارتاع الملك عند ذلك وامتلأَ خزيًا. ولم يلبث أن هجر الناس وترك مساكنتهم وحبس نفسهُ في قصرٍ بعيد عن المعمور. وبقي ابرص الى نهاية عمرهِ * وخَلع التاج والبسهُ لابنهِ يوثام وليّ عهدهِ *

(سنة ٣٢٥٠ للخليقة وسنة ٧٥٤ ق م) – وكانت مدّة يوثام ستّ عشرة سنة * وكانت الامّة تودُّ لو طال عهد هذا الملك الصدّيق. اذ كانت محتاجةً الى سائس مثلهِ اصبحت سيرتهُ يُضرَب بها المثل في جميع الخلال الحميدة والمكارم المجيدة * اعلم

انّهُ في زهاء ذلك العصر بدأ ظهور تلك السلسلة النبويّة الطويلة التي اشتهر فيها رجالٌ مُلهَمون بروح الله . وكانوا يُرسَلون بالتتابع للنبوّة والوعظ . والفترة النبويّة دامت نحو مايتي سنة * وكان جُلّ نبوّاتهم التبشير بمجيء المسيح المخلّص . وسقوط اليهود يوماً في الذلّ والانخذال . وبهاء البيعة المنتصرة . وكلّ ذلك في الوقت المقدّر في الزمان الآتي بعدهم . ومن جملتهم اشتهر اشعياء في عهد الملوك عوزيا ويوثام واحاز وحزقياء . وتنبأَ بعباراتٍ صريحةٍ واضحة عن ولادة السيّد المسيح وآلامهِ وموتهِ * وكان من معاصري اشعياء بتفاوتٍ طفيف ثلاثة انبياء آخرون . وهم هوشع وعاموس ويوآل الذين كانت تبشيراتهم الموحى بها ونبوّاتهم شبيهةً بنبوّات أشعياء المارّ ذكرهُ *

(سنة ٣١١٥ للخليقة وهي سنة ٨٨٩ ق م) — قد ذكرنا آنفاً انّ ياهو استولى على عرش اسرائيل بقتل سلالة اخاب باجمعها. فهذا خطر لهُ ان يعمل عملاً نوى ان يمحو بهِ جرائمهُ الفظيعة. ورغبةً في ذلك تظاهرهُ بحميّة مشهورة لعبادة الله . فجمع كهنة بعل كلّهم. كأنّهُ يريد ان يقضي معهم عيداً عظيماً لكرامة معبوداتهم . وهناك قتلهم عن آخرهم * ثمّ خرّب هيكلهم. واحرق صنمهم

بالنار. الاّ انهُ ابقى عجول الذهب سالمةً * ومات بعد ما ملك ثماني وعشرين سنةً. وقد غلبهُ غير مرّةٍ حزائيل ملك الشام. وخلّف تاجهُ لابنهِ يواحاز * وهذا اقتدى بكفر سلفائهِ. حتّى انّ الله عاقبهُ واسلمهُ في ايدي الشاميّين حيث شنّوا الغارة وجلبوا البوار في ديارهِ * ومات ومدّتهُ سبع عشرة سنة *

(سنة ٣١٤٦ للخليقة وهي سنة ٨٤٨ ق م) - قام ابنهُ يواش في دولة اسرآئيل بجلالة وبهآء مدّة ستّ عشرة سنة. وخلّصها من جور ملوك الشام * وفي ابتدآء ملكهِ تُوُفّي اليشاع النبيّ الصدّيق. وعادهُ عند وفاتهِ الملك يواش. فبشّرهُ اليشاع بانهُ سوف يفوز بغلبات كثيرة على الشاميّين * ولم يبطِئ هذا النبأ ان يصحّ. لانّ يواش حقيقةً استظهر ثلاث دفعات على الشاميّين. واستردّ منهم البلاد التي كانوا قد اغتنموها في ايّام سلفائهِ. وكسر ايضًا امصيآء ملك يهوذا واسرهُ كما مرّ الكلام في ترجمة هذا الملك *

(وفي سنة ٣١٧٣ للخليقة وهي سنة ٨٢١ ق م) - جلس يوربعام الثاني مكان ابيهِ يواش على سرير اسرائيل. واغار على ملوك الشام. وفتح كثيرًا من بلادهم * واستولى على الديار الممتدّة من حماة الى بُحيرة لوط. ولكنّ فسقهُ شوّه وجه حماستهِ *

واشتهر في عهدهِ من الانبياءِ هوشع وعاموس وعوبديا الذين انذروا دولة اسرائيل بنكبات هائلةٍ عتيدة ان تلمّ بها * وملك بعدهُ زكرياءُ ابنهُ. وهو ورث من ابيهِ الميلان الى عبادة الاوثان فقط ولا شيءَ من تلك الشجاعة الجليلة * ولم تطُل مدّتهُ اكثر من من ستّة اشهر. فانّهُ قتلهُ شلّوم احد رعيّتهِ وجلس مكانهُ * وكان زكرياءُ بن يربعام آخِر ولدٍ من سلالة ياهو * امّا شلّوم فقبل انقضاءِ الشهر فَقَدَ السلطنة والحيوة جميعًا. اذ قتلهُ مناحيم واستولى على العرش مكانهُ. لانّهُ لمّا راى نفسهُ مضطرًّا على مقاتلة رعيّتهِ الخارجة عليهِ زمانًا طويلاً. اشترى لهُ حليفًا يعضدهُ. وهو فول ملك الاثوريّين * ثمّ جلس بعدهُ فقحياءُ ابنهُ. وهو تشبّه بابيهِ في عبادة الاصنام * ولمّا انقضت سنتان من ملكهِ. قتلهُ فقح قائد جيوشهِ. وجلس مكانهُ على عرش اسرائيل *

(سنة ٣٢٢٥ للخليقة وسنة ٧٢٩ ق م) – وكان يوثام ملك يهوذا قد استخلف مكانهُ احاز ابنهُ. فهذا فضلاً عن انهُ لم يقتدِ ببرّ والدهِ. انهمك بجميع شناعات الوثنيّة وتمرّغ بها * ومثالهُ سحب قومهُ ايضًا الى ارتكاب الآثام. فانتقم الغضب السماويّ من ذلك سريعًا. اذ سقط احاز تارةً في يدي راصين ملك الشام. وتارةً تحت سطوة فقح ملك اسرائيل * وكان الله قد

اتّخذ فقحا هذا بمقام الآلة والسوط للانتقام من احاز الكافر. حتى اتّصل فقح ان يبيد في يوم واحد ماية الف وعشرين الف نفس من يهوذا. واحال البلد باجمعهِ الى نار ودم * ثمّ انقلب الى السامرة ومعهُ من الاسرى مأيتا الف نفس * ثمّ تعطّف الرحمان على بلايا يهوذا ورقّ لهم. فبعث عوديد النبيّ لانذارهم. فلمّا مثل بين يدي فقح الملك. عاتبهُ ونبّهُ على انّهُ اساء المعاملة ببني يهوذا لمّا انتصر عليهم. وذكّرهُ أنّ الاسرائيليّين قاطبةً ليسوا الّا اخوة ينظر اليهم العليّ بعين الرحمة جميعًا سوآءٌ في مملكة السامرة او في مملكة يهوذا * فاتّعظ فقح واطاع. واطلق الماسورين كلّهم وارسلهم الى اورشليم * وامّا احاز فبعد كسرتهِ ايضًا لم يذلّ. بل استمرّ في سلوكهِ المذموم بالفسق والكفر * من ذلك انّهُ أغلق الهيكل المقدّس. واضطهد اللاويّين ورئيس الاحبار. ونصب التماثيل في كلّ موضع وفي جميع شوارع اورشليم. والتمس معاهدة الاثوريّين. وامسى سببًا لخراب دولة اسرائيل وانقراضها ومحوها. لانّهُ في زمانهِ زحف تغلث فلناسر ملك اثور على مملكة اسرائيل. وانذر فقح ملكها بالحرب محتجًّا بانّهُ يريد بذلك ان ياخذ ثار حليفهِ احاز * ومات احاز وقد اتى عليهِ اربعون سنةً من عمرهِ مشهودًا لهُ بانّهُ اكفر وافسق

ملك قام في دولة يهوذا *
(سنة ٣٢٧٧ للخليقة وسنة ٧٢٧ ق م) - فَقَدَ فَقَح الباغي جانبًا من بلادهِ في حرب شبّت بينهُ وبين ملك اثور * ثمّ نزل عن سرير مُلك اسرائيل كمثلما كان قد ارتقاهُ اذ تحالفوا عليهِ وسلبوا منهُ التاج والحيوة جميعًا * وبويع بالملك بعدهُ في السامرة هوشع * وكان هذا زعيم الثائرين المتحالفين على فقح * فهذا خوفًا من سطوة الاثوريّين ابتغى معاهدة المصريّين * لانّهُ بعد تغلثفلناسر ملك نينوى اغار على تلك البلاد شلمناسر ابنهُ. فحبس هوشع الملك في باطن اسوار مدينة السامرة. وحاصرها مدّة ثلاث سنين. ثمّ افتتحها وساق وراءهُ أَبناءَ اسرائيل وجلاهم عن اوطانهم. فانبثّوا في ديار مادي واثور وتبوّأُوها. ولم يعودوا عقبهم ابد الدهر * وتمّ عند هذه غزوة شلمناسر انقراض دولة اسرائيل ونهاية ايّامها * وكانت دولة اسرائيل قد دامت مايتين وخمسين سنة وذلك منذ انعزال الأَسباط العشرة واستقلالهم في عهد رحبعام الى هذه سنة ٣٢٧٧ للخليقة وهي سنة ٧٢٧ قبل المسيح *

الفصل الثامن عشر

سيرة طوبيّا

انَّ الاسرائيليّين الذين أجلاهم شلماناسر الى نينوى حين انقراض دولة اسرائيل كان في جملتهم طوبيّا الذي جاءَت في الكتاب المقدّس قصّتهُ اللطيفة بالتفصيل * كان طوبيّا ابوهُ رجلًا اسرآئيليًّا من سبط نفتالى . وكان قد سار منذ صباهُ سيرة صالحةً مرضيّةً لله * ولمّا كان سائر بني قومهِ قد انهمكوا بالسجود لعجول الذهب التي نصبها يوربعام في اسرائيل وتولّع العامّة في هذه الضلالة . لم يكن طوبيّا يفعل فعلهم . بل كان يقصد اورشليم ويسجد لله الاه آبائهِ . ويقرّب لهُ في هيكلهِ المقدّس باكورات غلّاتهِ كلّها وعشورها * ورُزق طوبيّا ابنًا فسمّاهُ طوبيث او طوبيّا الصغير . وربّاهُ في البرّ وخوف الله * ولمّا أَجلى شلماناسر بني اسرائيل الى بلاد اثور . وُجد طوبيّا فيهم مع اهلهِ وابنهِ الصغير . ففوّض امرهُ الى الله مولاهُ *

وقد طالما شاهد اخوتهُ في الجلآء ياكلون اللحوم التي تحرّمها الشريعة الموسويّة . الاّ انّهُ لم يستهوِهِ الشيطان الى ان يفعل فعلهم . بل لبث في الورع بريئًا من كلّ جريرةٍ وتجاوز * فاحبهُ ملك الاثوريّين لفضائلهِ هذه . حتّى انّهُ اصبح فائزًا بشيءٍ كثير من الحرّيّة والاعتبار . وصار لا يستعملها الاّ في ما يفرّج بهِ عن شدائد اخوتهِ الماسورين * واتّفق انّهُ اذ كان ذات يومٍ في راجيس احدى مُدن مادي . اقرض جابيل الاسرائيليّ من سبطهِ نحو عشرة آلاف درهم . كان قد اصابها من سيّدهِ الملك الكريم . واخذ في ذلك صكًّا من جابيل * وفي خلا ذلك مات شلمانا سر الملك . واستولى مكانهُ سنحاريب . وطفق يعامل الاسرائيليّين بما يفوق الوصف من الجور والظلم * وكان طوبيّا دأبهُ ان يعود كلّ يومٍ اخوتهُ المضنوكين ويطيّب قلوبهم . ويُطعم من كان منهم جائعًا ويكسو من كان عريانًا . وكان يعرض نفسهُ للموت من اجلهم : وذلك انّهُ كان يدفن الاسرائيليّين الذين يُتوفَّون في تلك الارض الغريبة . ويكرمهم بالتجهيز والتجنيز مع انّ شريعة تلك المملكة كانت قد نهت عن ذلك نهيًا قويًّا * فاذ بلغ ذلك سنحاريب الملك . استشاط غضبًا . وشرط صلةً مسمّاةً لمن يأتيهِ بهامة طوبيّا الصدّيق . ووضع يدهُ على امواله

كلّها * ولمّا كان لطوبيّا اصدقآء كثيرون. بلغوهُ ذلك. فاستخفى ومكث في الخلوة الى ان مات ذلك الملك الاثوريّ اذ نهض عليهِ بنوهُ بعد اضطهادهِ لطوبيّا بستّة اسابيع وقتلوهُ * فنال طوبيّا الحرّيّة. وانتهزها فرصةً وجعل يصنع المعروف الى بني جنسهِ على سابق عادتهِ * فلمّا كان طوبيّا يومًا من ايّام العيد جالسًا على المائدة. بلغهُ انّهُ قد قُتل رجل اسرائيليّ. وتُرِكت جثّتهُ طريحًا في الشارع * فنهض طوبيّا لساعتهِ. وذهب وحمل الجثّة. واتي بيتهُ واودعها فيهِ. حتّى اذا جنّ الليل. ذهب بها ودفنها تحت ستر الظُّلمة * الاّ انّ اصدقآءهُ لم يتمالكوا أن لاموهُ على فعلهِ هذا الكريميّ الدينيّ. وجعلوا يقولون لهُ: انّك بالكدّ تخلّصت من خطر الموت. والآن ترمي بنفسك ايضًا في اعظم التهالك والاهوال * الاّ انّ طوبيّا لم يُصغِ الى اقوالهم. واستمرّ يؤدّي هذه خدمة البرّ لكلّ المتوفّين من قومهِ *

فلمّا كان ذات غداةٍ قد أجهدهُ التعب في اعمال الرحمة المألوفة. اخذهُ النعاس فانضجع تحت حائطٍ. واذا بزرق خُفّاش قُذِف وهو حارٌّ على عينيهِ من عشّهِ. فأورثهُ العمى من ساعتهِ * فتحمّل طوبيّا هذه البليّــة السودآء بصبرٍ جميل. ولم تحدّثهُ نفسهُ قطُّ أن يتذمّر على الله بسبب ذلك.

بل كان يحمدهُ ويسبّحهُ تعالى يومهُ اجمع ابدًا على الدوام * وطالما عيّرهُ اقرباؤهُ ومعارفهُ بقولهم: اين هو الآن رجاؤُك الذي كان يحملك ان تعطي الزكوة وتدفن الاموات. فيجيبهم قائلاً: لا تحدّثوا بمثل هذا كلام السفاهة. لاننا نحن ابناءَ القدّيسين. وليست آمالنا مقصورةً على ما في هذه الدنيا. بل نتوقّع الحيوة الآخِرة التي سوف يُثيب بها الرحمن الذين لا يخلفون ابدًا في الامانة التي وعدوهُ بها * وكانت حنّة زوجتهُ في خلال ذلك تنطلق كلّ يومٍ وتصنع اقمشةً وتاتي بما كانت تكتسبهُ من تعب يديها المعيشة * فاتّفق ذات يومٍ انها فضلاً عن اجرة شغلها المألوفة اصابت جديًا. فجاءَت بهِ الى البيت * فاذ سمع طوبيّا صوت رغاءَ الجدي. قال لزوجتهِ: احذري من ان يكون هذا الجدي مسروقًا. فانهُ لا يُباح لنا ان ناكل ما ليس هو لنا. ولا ان نمسّهُ مسًّا * حينئذٍ اخذت زوجتهُ تعيّرهُ بانّهُ فقد امواله كلّها في صدقات باردة لا نفع فيها * وكان طوبيّا يحتمل ذلك بالصبر الجميل * وكان في كلّ ذلك ثابتًا لا يتزعزع في ايمانهِ. الاّ انهُ صار يدعو ويتضرّع الى الله ان ينشلهُ من هذه الحيوة ويخلّصهُ من بلاياهُ ان سُرّت بذلك مشيئتهُ الالهيّة * واذ خُيّل لهُ انّ الله عتيد ان يستجيب قريبًا طلبتهُ بلا ريب.

دعا ابنهُ واوصاهُ الوصايا الجليلة قائلاً لهُ : متى اخذ الله روحي. فادفن جُثتي يا ابني • واكرم امّك في جميع ايّام حياتك • اعمل الصدقات من مالك . وكل خبزك مع الفقرآء والجياع . اكسُ بثيابك العراة . فانّك على هذا النمط تخزن لنفسك كنزًا عظيمًا واجرًا جسيمًا ليوم الضيقة • لا تدَعْ الكِبْر ابدًا يتسلّط على افكارك او اقوالك . لانّهُ من الكبريآء ابتدأت الشرور كلّها ✻ احذر من ان تصنع ابدًا لغيرك ما لا تريد انت ان يصنعهُ غيرك بك • واستشِر في كلّ عارض يلمّ بك برجلٍ عاقل رشيد • احمد الله في كلّ وقت وحال . وسلهُ ان يهديك في جميع اعمالك ✻ ثمَّ قال طوبيّا لابنهِ : اعلم انّي قد اقرضتُ يومًا جابيل نحو عشرة آلاف درهم . فالتمس لك رفيقًا يهديك . واذهب بصحبتهِ الى مدينة راجيس حيث يسكن هذا الاسرائيليّ . فيؤدّي لك المبلغ المذكور . وتردّ انت عليهِ صكّهُ ✻ فخرج طوبيّا الصغير . واذا بفتىً ذي طلعة رائعة وسَحَنة بهيّة وضيء البشرة مشمّر الثوب . وعلى حقويهِ منطقة كأنّهُ على سفر . وكان هذا ملكًا متلبّسًا بشكل انسان قد انفذهُ الله ليصحب طوبيّا الصغير ✻ فلمّا ابصرهُ طوبيّا . وكان متحيّرًا لا يعرف في وجه مَن يتوجّه . سألهُ ان يعرّفهُ بنفسهِ وهل هو خبيرٌ بالطريق الذي يؤدّي الى بلاد

مادي * فاجابهُ الرسول السماويّ وقال : انّي انا من ابناء اسرائيل. ولي خُبرة بأَرض مادي . وقد مكثتُ زمانًا عند جابيل القاطن اليوم في مدينة راجيس * فانسرَّ طوبيّا الفتى سرورًا عظيمًا . وبادر الى ابيهِ بهذه البشارة . فأمرهُ ابوهُ ان يدخل اليهِ الغريب * ولمّا دخل . هشَّ لهُ وبشّ . ووعدهُ بان يكافئهُ على تعبهِ * فقال لهُ الملَاك : انّي ذاهب بابنك . وسوف ارجع بهِ اليك سالمًا صحيحًا * ثمّ اعدّوا الاهبة المقتضية للسفر . فودّع الفتى طوبيا والديهِ . ورَحَل في وجههِ بصحبة الملاك . ولحق في اثرهما كلب البيت ايضًا * وفي اليوم الاوّل بعدما قطعا مسافةً طويلة . بلغا شاطئ دجلة . فاحبَّ طوبيا ان يغسل قدَمَيهِ في النهر . واذا بحوت هائل وثب عليهِ كأنّهُ يريد ان يبتلعهُ . فارتعب طوبيا وصرخ باعلى صوتهِ * فقال لهُ الملاك : أَلَا لا تخَف . بل اقبض على الحوت من جناحيهِ واسحبهُ على الرمل * ففعل طوبيا كما قال لهُ . ولم يكن من الحوت الاّ انّهُ فطَّس عند رجليهِ بعدما خبط برهةً * فقال ايضًا الملَاك : شُقَّهُ . واستخرج فؤادهُ ومرارتهُ وكبدهُ واحرزها عندك . فانّها ادويةٌ نافعةٌ * ثمَّ شويا جانبًا من لحمهِ واكلا . وحملا الباقي مملَّحًا ليكون زادًا للطريق *

ثمَّ انهما اذ اقتربا من اقبطانة عاصمة مادي . قال طوبيا الدليلهِ : اين تحبّ ان ننزل * قال الملاك : انّ في البلدة رجلاً اسمهُ رعوإيل وهو من قرابتك . فشاننا ان نضيفهُ . فانّهُ سيكرمنا . ولهُ ابنةٌ وحيدةٌ اسمها سارة . يقع لك ان تتزوّج بها . فاخطبها منهُ فانّهُ سيعطيكها * قال طوبيا : كيف ذاك . وقد بلغني انّ سبعةً من البعول صاروا لها وماتوا باجمعهم * قال الملاك : لا تُذعَر من شيء . بل صلِّ لله . واتّكل عليهِ سبحانهُ . فتصيب الخير * ثمَّ قدِما على رعوايل . فتلقّاهما وبشّ لهما واكرم مثواهما وهو يحسبهما ضيفين غريبين * ومن بعد برهةٍ انتبه انّ احد ضيفيهِ هو ابن طوبيّا . فصار يذرف العبرات من شدّة الفرح . وأَمر ان يُحضَر الطعام . فقال لهُ طوبيّا : لا آكل شيئاً حتّى انال حاجتي وهي ان تعطيني سارة ابنتك زوجةً * فاستحوذ الغمّ والحزن على قلب رعوايل واشتدّ لخوفهِ ان يصيب طوبيا ما اصاب مَنْ سبقهُ عند زواج ابنتهِ * ولكنّ الملاك ازال خوفهُ بقولهِ : انّ الله سبحانهُ قد هيّأَ هذه الفتاة لطوبيّا * فاطمأنّ رعوايل بهذا الكلام وارتضى . واخذ يد ابنتهِ اليُمنى وجعلها في يد طوبيّا قائلاً : خار لكما الاه ابراهيم واسحٰق ويعقوب ويسّر لكما . واسعد هذا الوصال ببركاتهِ السماويّة * ثمّ

انّ رعوايل صنع مادبة فاخرة. ودعا اليها اصدقاءَهُ وجيرانهُ *

وحينئذٍ قال طوبيا لدليلهِ: انّي ان وهبتُ لك نفسي بمنزلة العبد المملوك. فلا أوفي حقّ الوفاء بالاحسان الذي صنعتهُ معي * ولي ايضًا حاجة اخرى عندك اسألك ايّاها: انت تدري انّ ابي يحصي ايّام سفرتي هذه. ولا يخفاك كم الحّ عليّ رعوايل لأُقيم ههنا ايّامًا. ولا استطيع ان اخالفهُ. فارغب اليك ان تصير انت بنفسك الى جابيل وتقبض منهُ الدراهم التي لنا في ذمّتهِ * فاجاب الملاك الى سؤال طوبيا. وسار الى راجيس واستوفى من جابيل الدَّين. ورجع بجابيل ايضًا ليحضر عرس طوبيّا *

ولمّا دخل طوبيّا الشابّ على سارة. قال لها: قومي نُصلِّ ونتضرّع الى الله الليلة وغدًا وبعد غدٍ. ثمّ ناتي الى شأننا. لاننّا نحن ابناء القدّيسين. ولا يليق بنا ان تكون زيجتنا كمثل زيجة الشعوب الذين لا يعرفون الله * وفعلا كذلك وصلّيا الليالي الثلاث مبتهلين الى الرحمن ان يسترهما ببركاتهِ ويحفظهما من الآفات * وبعد انقضاء العرس السعيد ودّع طوبيّا حماهُ وانقلب الى محلّهِ واهلهِ. وقد اتحفهُ حموهُ بنصف امواله كلّها. فتوجّه في طريق بيت ابيهِ. والملاك لا يزال

مرافقهُ *

وفي غضون ذلك كان ابوَا طوبيّا قد امسيَا كئيبين مبتئسين لما شملهما من الغمّ بإبطآء ولدهما عليهما * ولاسيَّما امهُ. فكانت تأبى الاّ امتناعًا من كلّ تعزية. وهي تصيح والعبرات تنسكب من عينيها منسجمة وتقول: يا ابني يا ابني لمَ بعثنا بك الى ارضٍ بعيدةٍ مثل هذه • وانت مسند شيخوختنا وطيب حياتنا ونور اعيننا ورجاء عقبنا * وكانت كلَّ يوم تخرج من بيتها. وتتفقّد الطرق كلّها التي يمكن ان يكون مرور ابنها فيها لعلّها تلمحهُ مقبلاً من بُعدٍ * فلمّا كانت ذات غداةٍ واقفة على نجوةٍ تستشرف على الطرق من جميع الجهات. اذا بابنها مقبلاً. فأسرعت لساعتها الى بعلها وبشّرتهُ قائلةً: بشراك. قد قَدِم ابنك * وفي أثناء ذلك كان الملاك يوصي طوبيا قائلاً: في اوّل دخولك البيت اسجد لله واشكرهُ تعالى على آلائهِ. ثمَّ اقبل الى والدك وضع على عينيهِ من تلك مرارة الحوت التي حملت معك • ومن ساعتهِ يستردّ النظر. ويعظم سرورهُ عند رؤيتهِ ايّاك * حينئذٍ عدا قدّامهما الكلب الذي رافقهما في مدّة السفر. وكأنّي بهِ يحمل بشارة القدوم مبديًا البهجة بهزّ ذَنَبهِ وبتلطّفاتهِ * فانتفض الشيخ طوبيا من ساعتهِ ولو ضريرًا.

واودع يدهُ غلاماً ليقودهُ. وصار يجري لملاقاة ولدهِ. فعانقهُ وهو يبكي من الفرح * وفعلت كذلك امّهُ * وبعد هذا شكروا الوهّاب الكريم وجلسوا. فتناول طوبيا الفتى من مرارة السمكة وطلى بها عيني والدهِ. ولم يمضِ نحو نصف ساعة الاّ ونثر من عينيهِ قشرة رقيقة تُشبه قشرة البيض. ومن ساعتهِ انفتحت عيناهُ وصار يبصر * فاكثروا الشكر لله باجمعهم على هذه النعمة. ثمّ خطر لهم امر مكافأة الهادي الكريم الذي صنع الى طوبيا الصغير كلّ تلك الصنائع السنيّة. فاستشار طوبيّا اباهُ. وقسم كلّ الامتعة التي اتى بها الى سهمين. وعرض على الملاك ان ياخذ السهم الواحد طالبًا اليهِ ان يمنّ عليهم بقبول ذلك. وكان لا يحسبهُ الاّ انسانًا * فقال لهم الملاك: باركوا الاه السماء الذي صنع معكم رحمةً جليلة * فانّك يا طوبيّا لمّا كنت تتضرّع بالدموع وتدفن الموتى. كنتُ انا اقرّب صلواتك الى عرش القدّوس. وهو الذي ارسلني لاهدي ابنك في سفرهِ وأُوتيك الشفاء. واعلموا أنّي انا الملاك رافائيل احد الملائكة السبعة الواقفين على الدوام بازآء العرش * فلمّا سمعوا هذا الحديث. ارتاعوا وارتعبوا ووقعوا جاثين عند رجليهِ * فشجّعهم الملاك وقال: لا تخافوا. وليكن السلام معكم. والآن فانّهُ ينبغي لي

ان ارجع الى الذي ارسلني . قال هذا وتوارى من بغتةٍ عن اعينهم * فلبثوا ووجوههم مكبوبة على الارض مدّة ثلاث ساعات وهم يسبّحون الله . ثمَّ نهضوا وشرعوا يتحدّثون بجميع هذه الاعاجيب المدهشة * واذ ذاك انشد الشيخ طوبيّا نشيد الشكر وقال :

يا ربّ انت عظيمٌ في الأزل . وملكك ممتدٌّ في جميع الاجيال * اشكروا الربّ يا ابناء اسرائيل . واحمدوهُ تجاه جميع الامم . لانهُ لم يشتتكم بين الاقوام الذين لم يعرفوهُ الاّ لكي تعلموهم أنْ لا الاه الاّ الله القدير الصَمَد . هو الذي ابتلانا بالعقاب لكي يشرق عدلهُ . ولسوف يعتقنا لكي تتمجد رحمتهُ * فيا اورشليم واهًا عليكِ يا مدينة الله العظيم . ولكنّكِ سوف تلمعين بنور ساطعٍ . وسوف يسجدُ فيكِ جميع شعوب الارض طُرًّا ويدعون فيكِ باسم المولى الجليل * انتبه انّ هذه الكلمات الاخيرة اراد بها طوبيّا نبوّة على الغرائب والمعجزات التي اجراها الله في اورشليم الجديدة اي بيعتهِ الجامعة عند مجيء المسيح *

وثَبَتَ طوبيّا الشيخ البارّ امينًا مع الربّ الى نهاية ايّامهِ . حتّى انهُ بعد ما تمتّع برؤية بني حفدائهِ . تُوفّي ولهُ من العمر مائة وسنتان . وقد اصبح في العالم قدوة المناقب والفضائل كافّة * واوصى طوبيا ابنهُ ان لا يستقرّ في نينوى . لانّ هذه

المدينة كانت عتيدة ان تخرب عمّا قليل * ثمّ انّ طوبيت بعد وفاة امّهِ رحل في آلهِ اجمعين ونزل بهم عند رعوايل . وعاش في خشية الربّ الى سنة تسع وتسعين من عمرهِ * وكانت سلالتهُ على هذا المنوال لا تنفكّ سالكةً في سبل الصلاح بامانةٍ ونصحٍ ووفآء . بحيث انّهم فازوا بالرضوان والبركات من لدن الله والناس *

الفصل التاسع عشر

آخر ملوك يهوذا : حزقيا — منَسَّى — عمون — يوشيّا — يواحاز — يواقيم — يوخنيا — صدقيا — يهوديث واليفانا — نبوّات ارميا — افتتاح بختنصّر لاورشليم — خراب الهيكل واورشليم — جلآء اليهود الى بابل — انقراض دولة اليهود

(سنة ٣٢٨٠ للخليقة وهي سنة ٧٢٤ قبل المسيح) — فيما كان أَسباط بني اسرائيل العشرة قد جلاهم شلمانآسر الى بلاد الفرات . اصبح أبنآء دولة يهوذا ناسين بلاياهم الاولى مستظلّين

في سَعْد ابن آحاز الكافر. وهو حزقياء التقيّ الرشيد الحكيم الذي على شهادة الكتاب المقدّس لبث ابدًا امينًا ناصحًا مع الله وشريعتهِ. ولم يقُم نظير لهُ في ذلك * وفي ايّام هذا المَلِك وقع انقراض دولة اسرائيل كما سبق الشرح * وكان اشعياء النبيّ الذي اشتهر في ذلك العصر عضيدًا لحزقياء. وكان يسعفهُ بمشوراتهِ في جميع الخطوب * ففُتحت ابواب الهيكل التي كان احاز قد اغلقها * ودُعي اللاويّون وفُوِّض اليهم تطهير قدس الاقداس وترتيب جميع أُهبة الضحايا التي يلزم تقريبها للربّ * ثمّ انّ حزقياء بعد ما قضى هذا الفرض الاوّل. نظر في تسوية مصالح الخلق وراحتهم * وقبل كلّ شيء طَرَد الفلسطينيّين واخرجهم من البلاد التي كانوا قد استولوها في عهد الملوك الخائنين مع الربّ. وردّ الى اليهوديّة جميع ما كانت قد فقدتهُ ظلمًا في عهد سالفيهِ * وكان شلماناسر ملك الاثوريّين حين استملك السامرة قد ضرب الجزية على ملوك يهوذا * فاراد حزقياء ان يتخلّص من هذا الثقل وهذا العار. فامتنع من اداء الجزية المرسومة. وبلغ منهُ الاتّكال على النصر السماويّ انهُ نهض لمحاربة ملك الاثوريّين حتّى كسرهُ. فمات وهو في حسرة من اخذ ثارهِ من مملكة اليهود المارِدة عليهِ * واتّفق في اثناء

ذلك ان حزقيا الملك مرض مرضاً عضالاً . فقدم عليهِ اشعياءَ النبيّ واعلمهُ بانّ اجلَهُ قد قرب . فاستحوذ عليهِ حزنٌ شديدٌ اذ رأى انّهُ يموت بلا عقب من ذرّيّتهِ يخلفهُ في المملكة. فتذلّل الى الله بصلوة حارّة حتى استحقّ ان يستجيب لهُ ✻ فرجع اشعياءَ باذنهِ تعالى الى حزقياءَ وبشّرهُ بانّهُ سيبرأ بعد ايّام قلائل . وانّهُ يزاد الى عمرهِ خمس عشرة سنة ✻ وبيانًا لصحّة هذا الكلام ارجع اشعياءَ الظلّ الى الوراءَ عشر درجات في الساعة الشمسيّة التي كانت قد صُنعت لاحاز ✻ وشُفي حزقياءَ بعد ثلاثة ايّام . وسار الى الهيكل وادّى الشكر للربّ وحمدهُ ✻ وعاش حزقياءَ الخمس عشرة سنةً التي وُعد بها ✻ ولم يزل متمسّكًا بارشادات اشعياءَ النبيّ . وهو الذي بشّرهُ بهزيمة سنحاريب ملك اثور ✻ وفي ذلك العصر تقريبًا وَفَدَ الى حزقياءَ سفراءَ ملك اثور واتحفوهُ بالهدايا . ولكنّهُ غرّهُ الزهو فنشر بين ايديهم امواله الجزيلة كلّها وكنوز خزائنهِ النفيسة متباهيًا بها ✻ فدخل عليهِ اشعياءَ وانذرهُ قائلاً : اعلم انْ هؤلاءَ الغرباءَ الذين هشّيت لهم وتلقّيتهم بغاية السرور سوف يستولون يومًا بقوّة السيف على هذه الخزائن التي بها افتخرت . وسيسحبون وراءَهم بنيك كالعبيد ✻ الاّ انّ الله سبحانهُ لم يُنزِل غضبهُ على حزقياءَ

ما دام حيًّا اشفاقًا عليهِ وعلى قومهِ. لانّهم تواضعوا وذلّوا جميعًا بين يدي عزّتهِ الالهيّة * وكان سنحاريب خليفة شلماناسر قد غزا اليهوديّة بجيش جرّار. وبعث بسفيرٍ من عندهِ الى حزقياءَ يطالبهُ بالجزية ويتوعّدهُ ويستهزئ بهِ لطمانينة اليهود. لانّهم توكّلوا على الاههم واستعانوا بهِ على اعظم ملوك الارض شوكةً وباسًا * فاجاب حزقيا على هذه التجاديف بالحِلم والصبر. ومزّق ثيابهُ اشارةً الى الحزن. ولبس المِسْح واستفتى النبيّ اشعياءَ * فلمّا رأى اشعياءُ انّ الملك قد ضاق صدرهُ. شجّعهُ قائلاً: لا ترهبنّ سنحاريب بتّةً. فانّ الله سيسخر بكثرة فرسانهِ ومركباتهِ. وهذا الجيش العرمرم سوف يكرُّ القهقرى ازعج ممّا كان عند قدومهِ * وفي تلك الليلة بعينها التي اعقبت تلك النبوّة نزل ملاكٌ من عند ربّ الجنود. وخرق معسكر سنحاريب واهلك منهُ مائة الفٍ وخمسةً وثمانين الف جنديّ * وعند بلوغ سنحاريب خبرُ هذه المقتلة. فرّ من ساعتهِ. حتّى اذا توصّل الى نينوى. استخفى في باطن اسوارها * ولكنّهُ لم يفلت من يد الملاك المهلك الّا ليموت ميتةً اشنع. وذلك انّ بنيهِ اغتالوهُ وهو ساجدٌ في هيكل معبودهِ الطاغوت وسقوهُ سمّ الموت الذعاق *

(سنة ٣٣٠٥ للخليقة وهي سنة ٦٩٩ ق م) — جلس منسّى

بن حزقيا ولم يكن قد اتى عليهِ من العمر سوى اثنتي عشرة سنة . وابدى من الكُفر والفِسق والجور ما لم يتّصل اليهِ الملوك سلفاؤهُ * فانهُ من الجملة ردّ انصاب الطواغيت والرجاسات . حتى تجرّأ أن ينصب صنماً في هيكل الربّ بعينهِ * وبأمر هذا الطاغية قُتل اشعياء النبيّ وعمرهُ ما ينيف على مائة سنة * وبالغ في مقتلة عبيد الله حتى طمت اورشليم بدمائهم . الّا انّهُ لم تبطئ النقمة ان تنزل عليهِ من السماء . فانّهُ بعد قليل اقبل قوّاد اسرحدّون ملك اثور على بلاد اليهوديّة وافتتحوها . وقبضوا على منسّى وساقوهُ الى بابل . ثمّ صفّدوهُ بالحديد . واودعوهُ في السجن * فاعتبر منسّى بما اصابهُ وارعوى حقّ الرعوى . واقشعرّ عند تاملّهِ ما مضى من حياتهِ وتأسّف . وابتهل الى الرحمان ابتهال الانكسار والتذلّل مستمطرًا من غزير رحمتهِ غيث العفو والغفران على جرائرهِ الكثيرة الثقيلة * فحنّ تعالى عليهِ وتقبّل توبتهُ النصوح . وردّ عليهِ المُلْك * فعاد منسّى الى اورشليم . وبذل جهدهُ بقيّة عمرهِ في اصلاح ما كان قد افسدهُ مبتدئًا من هدم مذابح الاوثان وتماثيلها * وفي نحو ذلك الزمان قام في دولة اثور ملك جديد يدعى في الكتاب المقدّس نبوخذنصّر او بختنصّر * فهذا خطر له ان يخضع

تحت ولايتهِ المسكونة باسرها * فسرّح عساكرهُ الى اليهوديّة. فشنّوا عليها الغارة وجلبوا فيها الدمار. الاّ انّ فتوحات هذا وفتوحات قائد جيوشهِ اليفانا اوقفتها من بغتةٍ يد امرأة خاملة* وكان ذلك انّ اليفانا القائد الاثوريّ اذ تاه وتكبّر من بأس سيّدهِ. جعل يُنْزِل البوار على البلدان حيثما توجّه. وقد غطّى وجه الارض بجنودهِ الغفيرة. وادار رحي الحمام والهول في مَرّهِ على الديار بأجمعها * فصارت اهالي المدن والأَمصار تبعث اليهِ من جميع الجهات سفرآء بهدايا ليسلموا من الموت * وما رُؤيَ بين القبائل الكثيرة مَن يستعين بالله الحقّ سوى امّة اليهود وحدهم. فكان بنو اسرائيل يتضرّعون في هيكل الله ويجثون قدّام المذابح المنصوبة لعزّتهِ * فتعجّب اليفانا من عمل الاسرائيليّين. وطفق يسأل: مَن عسى أن يكون هذا الشعب الذي بلغت بهِ الجسارة الى ان يمكث آمنًا لا يهمّهُ الاستعداد للمدافعة عن نفسهِ. وقد اصطفّت امامهُ جيوش اثور القويّة* وكان هناك احيور قائد العمونيّين وهو كان ذِمّيًّا لبختنصّر الملك. فاجاب احيور وقال لاليفانا: اعلم يا سيّدي انّ هؤلآء القوم هم اليهود الذين من عادتهم ان لا يغلبهم احد ما داموا صادقين مع الاههم. فان ثبتوا على هذه سيرتهم. فباطلًا تقوم

عليهم. لأَنَّ جيوشك يفنيها الالهٓ العزيز بنفخة واحدة * فلم يتمالك اليفانا غيظهُ. وقال لاحيور: لقد انزلت نفسك منزلة النبيّ وتنبّأت بانّ الاه اسرائيل سيحمي عنّا امّتهُ. فانت تُساق من الساعة الى وسط هذه الامّة لكي يصيبك بعد غلبتي ايّاهم ما يصيب المغلوبين. وحينئذٍ تعلم انت أنَّ نَبُوكَدْنصّر هو ربّ المسكونة ولا الاه الاّ هو * ولمّا قال هذا. هجم جنود اليفانا على احيور. وذهبوا بهِ الى قرب مدينة بيت فالو. وربطوهُ في شجرة هناك. ثمّ عطفوا على مولاهم * ورأى اهل المدينة ما جرى لاحيور. فوافوا اليهِ وحلّوهُ. فحكاهم ما قالهُ اليفانا *

ولكنّ سكّان بيت فالو اشتدّت حيرتهم اذ رأوا اليفانا يقود مائة الف وعشرين الف رجل واثنين وعشرين الف فارسٍ احاطوا بالبلد باسرهِ. وخرّبوا القنا الذي لم يكن لهم سواهُ يجري بهِ اليهم الماء * فاجهدهم العطش الى الغاية حتّى كادوا يسلّمون. واذا بامرأةٍ ظهرت ومعها اشارات الجبر للقلوب المنكسرة * وكانت هذه ارملة اسمها يهوديث. وكانت قد اعتزلت في بيتها سنين كثيرة ملازمة الصوم والعيشة القشفيّة. وقد اضمرت في قلبها خَطْبًا عظيمًا * فدعت الكهنة اليها. واطلعتهم على شيءٍ ممّا في قلبها. وكشفت لهم ايضًا انّها

تريد ان تخرج من البلد ساعةً من الزمان . وحثّتهم ان يدعوا لها ما دامت غائبة ريثما تعود اليهم * ثمّ عمدت الى افخر زينتها وانفس حُليها . فتزيّنت وتبرّجت . فغدت اصبح ممّا كانت عليهِ خَلقًا من براعة الحُسْن والجمال * وبهذه الحال صارت الى معسكر الاثوريّين . والتمست ان تكلّم زعيمهم اليفانا . فلمّا مثلت بين يديهِ . كان البائن من ظاهر كلامها معهُ انها قد هجرت قومها لعلمها بانّهم ليس لهم طاقة على مقاومة الاثوريّين وردّهم وانّ الله لسخطهِ عليهم من سبب خطاياهم سوف يسلّمهم في ايدي هؤلاءِ الأَبطال مخذولين * ففُتن اليفانا بحديثها ودُهش بمنظرها وجمالها . وأَمر بان تُعامَل بما امكن من الاكرام والاعزاز . ولساعتهِ دعاها الى مأدبةٍ فاخرةٍ هيّأَها لها * فاذعنت يهوديث كرامةً لرغبتهِ . وبيّنت لهُ انّها لا يحلّ لها ان تذوق من اطعمتهِ لكونها ممنوعة بالشريعة . واستاذنتهُ بان لاتتناول الاّ الطعام الذي تهيّئهُ لها جاريتها * وانهمك اليفانا باللهو والطرب وتناول من الشراب زيادةً . وما كان منهُ الاّ انّهُ وقع في سبات نومٍ ثقيل مستغرقًا في الخمار * ولمّا انصرف اعيان مجلسهِ كلٌّ الى محلّه . تطلّعت يهوديث فاذا هي واليفانا وحدهما . فاستعانت بالصمَد القريب . وعمدت الى سيف اليفانا . واحتزّت بهِ هامتهِ *

وحمّلت جاريتها هذا السَّلَب المضرّج بالدم . وخرجت المرأتان واجتازتا بين الجيش الاثوريّ آمنتين سالمتين . وبعد ساعة يسيرة صارتا الى ظاهر مدينة بيت فالو * ففُتحت لهما الابواب على ضوء المصابيح . وانتشرت البهجة في اهل المدينة . ولم يتأخّروا ان يشكروا الله بالقرابين والتسابيح على نصرهِ ايّاهم ايّ نصر * واما ما كان من امر احيور العمّونيّ فانّهُ ترامى عند قدمي يهوديث وقد آمن بالله الواحد القهّار معبودها . وطلب ان يصير يهوديًّا . فأَحصوهُ بين المؤمنين * وفي غد ذلك اليوم حمل اهل بيت فالو على الاعدآء . ولمّا احسّ اولئك بهلاك زعيمهم . وقع الرعب في قلوبهم . واجفلوا هاربين مبدّدين من كلّ ناحية . وقد غادروا غنائم وافرةً * ووفد الى بيت فالو الياقيم رئيس الكهنة ووجوه اورشليم وهنّأُوا يهوديث * واما هي فبعد أَنْ وقفت لله أسلاب اليفانا قربانًا . انقلبت الى خلوتها ولزمتها . فكانت لا تظهر في الملأ الاّ متى دعتها الى ذلك فريضة الاعياد الدينيّة والعبادة *

(سنة ٣٣٦١ للخليقة وهي سنة ٦٤٣ ق م) — تُوُفّي منسّى ومدّتهُ خمسٌ وخمسون سنةً . وخَلَفَهُ ابنهُ آمون . وهو لم يقفُ منهُ سوى المعاصي فقط . وقتلهُ حشمهُ في السنة الثانية من

جلوسهِ *

(سنة ٣٣٦٢ للخليقة وهي سنة ٦٤٢ ق م) - لمّا قُتل آمون. كان لابنهِ يوشيّا ثمان سنين. فرُبّي في خشية الله. واقتفى أَثر جدّهِ حزقيا * ومن أَعمالهِ التقويّة انّهُ دكّ صنم بعل ومذابح سائر الاوثان. وأَحرق عظام انبيائها الكَذَبة * وعلى هذا المنوال صحّت في يوشيّا النبوّة التي أُنزلت على يوربعام قبل ثلاثماية وخمسين سنة * وبعد ان الغى يوشيّا عبادة الاوثان ولم يبقِ منها اثرًا. شرع في رمّ الهيكل. وردّ لعبادة العليّ طهارتها المسنونة شرعًا * ولم يقتصر هذا الملك الماجد على هذه الاصلاحات فقط. بل ساقتهُ الغيرة الدينيّة والبرّ. فطاف مملكة اسرائيل القديمة كلّها ومُعظم مدائن افرايم وشمعون ونفتالي. وفي مرورهِ اباد الاصنام وهياكل الرجاسات كافّةً حيثما وجدها * ثمّ انّهُ جمع الامّة في اورشليم. وقرأ في حضورهم التوراة. وامر ان يُعيِّد عيد الفصح بأُبّهة غير مألوفة * وحينئذٍ جدّدت الامّة كلّها العهد مع الله. واقاموا ثابتين امينين على مواعيدهم ما عاش يوشيّا * وتوُفّي يوشيّا وقد ملك احدى وثلاثين سنة. قُتل في كفاحٍ جرى لهُ مع نخاءَ مَلِك مصر. لانّهُ كان قد نازعتهُ نفسهُ تورّطًا ان يتصدّى لهذا المَلِك حين مرّ على بلادهِ سائرًا

الى ديار الاثوريّين لمحاربتهم * وفي عهد يوشيَّا انزل الله الوحي على قلوب عدّة من الانبياء . من جملتهم ارمياء البار الذي اشتهر كثيرًا وتنبأ على جلاء بابل ومجيء المسيح المخلّص واهتداء الامم الجاهليّة . وعلى النكبات التي المّت باورشليم في قرب ذلك الزمان *

(٣٣٩٤ للخليقة وهي سنة ٦١٠ ق م) – وجلس مكان يوشيَّا يواحاز اصغر بنيهِ وبايعتهُ الناس بالخلافة . ولم يلبث كثيرًا ان خلعهُ ملك مصر وسباهُ . وانعم بتاج مملكة يهوذا على يوياقيم الابن الثاني ليوشيَّا *

(سنة ٣٣٩٦ للخليقة وهي سنة ٦٠٨ ق م) – واقام يوياقيم على عرش اورشليم اثنتي عشرة سنةً . وهو لا يزال تائهًا بالاثم وعصيان الانبياء الذين كانوا ينبّهونهُ ويحذّرونهُ سوءَ العاقبة * واقتفى الشعب آثارهُ . وانهمكوا مثلهُ في اشنع قبائح الجاهليّة وعبادة الاوثان * وناهيك أنَّ الظلم والسرقة والقتل والحنث وسائر الكبائر أمست يومئذٍ في يهوذا عامّةً للصغير والكبير * ولمّا مضى على يوياقيم اربع سنين اخرى . قدم على اورشليم بختنصّر الثاني ملك اثور ابن نبولاسار وافتتحها . وكان قد استولى على بلاد اسيا كلّها . فصفّد يوياقيم بالسلاسل والأغلال .

ونوى ان يسبيهُ الى بابل * ولكنهُ من ثمَّ أطلقهُ وردَّ عليهِ تاجهُ بشرط ان يبقى خاضعاً يؤدّي لهُ الجزية * واقتصر بختنصّر على سلب جانب من اواني الهيكل القدسيّة. وجلا عدّة امرآء حسيبين من السلالة الملكيّة لكي يربيهم في صرحهِ وحاشيتهِ. وكان من جملتهم دانيال وحانيا وعازريا وميشائيل * واعلم انهُ منذ تلك الواقعة ابتدأت سنو الجلآء السبعون التي كان قد سبق وتنبَّأ عليها ارمياء النبيّ المنشد المراثي * الاّ انّ يوياقيم لم يفتأ متمادياً في اسخاط الربّ بالفِسْق والآثام. وعزم ان يتملّص من رقّ الملك البابليّ فخلع طاعتهُ * وكان ذلك وبالاً عليهِ كبيراً. لانّهُ افضى بهِ ثمَّ بقومهِ الى التلف التامّ والبوار العامّ. كما سترى عمّا قليل * وذلك أنّ بختنصّر سرّح عليهِ قوّادهِ وجيوشهُ. فشنّوا الغارة في ارض يهوذا قاطبةً وقتلوا كثيرين * وهلك يوياقيم ايضاً. وبقيت جثّتهُ غير مدفونة *

(سنة ٣٤٠٥ للخليقة وهي سنة ٥٩٩ ق م) - وجلس على العرش مكانهُ يوخنيا ابنهُ. الاّ انّ الاثوريّين بعد زمان قليل نصبوا الحصار على اورشليم * فانّ بختنصّر بنفسهِ قدم على بلاد اليهوديّة وسار بجيشهِ. وافتتح امّ المدن ثانيةً. وسلب كنوز الهيكل. وجميع الآنية القدسيّة التي كان سليمان قد وقفها في

بيت الربّ وآنيةَ القصور ونفائسها . وجلا الى بابل يوخنيا وامّهُ وزوجتهُ وجُلّ اعيان مملكتهِ *

(سنة ٣٤٠٦ للخليقة وهي سنة ٥٩٨ ق م) - وولّى بختنصّر على مملكة يهوذا صدقياءَ عمَّ يوخنيا * فلمّا اتى على صدقيا تسع سنين وهو على ذلك . اعتدّ نفسهُ على ثباتٍ ومكانةٍ. فعهد الى السّلاح وخرج على ملك آثور ناصرهِ الرهيب . وقد أغراهُ بذلك ما كان يرجوهُ من المَدَد من الملوك المجاورين الذين تعاهد معهم * وكلّ ذلك كان خلافاً لرأي ارمياءَ النبيّ السديد وتحذيراتهِ الرشديّة . التي استخفّ بها صدقياءَ * ولكنّهُ لمّا كان عاجزاً عن الوقوف في مقابلة جيوش بختنصّر . بقي محبوساً بالحصار داخل اسوار اورشليم . وكان الجند قد بالغوا في التضييق عليها . حتّى وقع سكّانها في مجاعة عظيمة فاصبحوا واهين لا يطيقون حمل اسلحتهم * فاوعز بختنصّر الى جنودهِ بالهجم . وفي ساعتهِ تطايرت الآلات الحربيّة وصدمت الاسوار . فبدت ثلمةٌ وسيعة . فانقضَّ منها الجيش بزعجةٍ على اورشليم * واخذ صدقياءَ في الهزيمة . فلحقوا بأثرهِ . وادركوهُ عند اريحا . واذاقهُ عدوّهُ أمرّ النكال والهوان . فانّهُ فقأ عينيهِ بعد ان ذَبَحَ ولديهِ في حضورهِ * ووقعت المدينة في ايدي الجنود . فنقضوا الهيكل

ونجّسوهُ. وهدموا الدُّور والاسوار. وضربوا السكّان بحدّ السيف. وسلبوا ما بقي من الامتعة. وقضى الغازي بالجلاء والرقّ على الأُمّة بأسرها * وفي ذلك كلّهِ صحّت نبوّة ارمياء وما انذر بهِ صريحًا في مراثيهِ الشهيرة * فانّ اليهود باجمعهم سُبوا الى بابل. ولم يُستبقَ منهم سوى جماعة يسيرة من الصعاليك تُرِكوا في البلد ليحرثوا الاراضي ويفلحوا الكروم * وعلى هذا الوجه حدث انقراض دولة يهوذا في سنة ٣٤١٧ للخليقة. وهي سنة ٥٨٧ قبل المسيح. بعد ان دامت ثلاثماية واثنتين وتسعين سنةً. اي منذ خلافة رحبعام *

الفصل العشرون

جلاء اليهود الى بابل — نبوّة حزقيال — برآءة سوسنّة — طرح الفتية العبرانيّين في الاتون — احلام بختنصّر — صنم بعل — طرح دانيّال في جبّ الاسود — وليمة بلطشاصر والكلمات المخطوطة على الحائط وافتتاح بابل — احتقار دانيال — نهي ملك الماديّين وطرحهُ دفعةً ثانيةً في جبّ الاسود — نبوّة دانيّال

انّهُ بافتتاح اورشليم ابتدأ ذلك الجلاء الشديد الذي

ثقُلَ على اليهود مدّة سبعين سنةً كما قد تنبأَ الانبياءُ سلفًا . ولاسيَّما ارمياءُ الذي طالما ذكر هذا الرقّ قبل حدوثهِ وناشد اليهود على ان يتجلّدوا صبرًا متى سيقوا الى بابل . وان يحترزوا من عوائد الاثوريين * فهذا النبيّ الصدّيق ظفر بنعمة كريمة لدى بختنصّر . وإقام مستمرًّا في اليهوديّة . وكان دأبهُ ان يعزّي بقيّة البائسين الذين هناك * ومن الانبياءِ حزقيال الذي كان من السلالة الكهنوتيّة . وجُلِي الى بابل بصحبة يوياقيم الملك . وذكر في نبوّاتهِ ما ذكرهُ ارمياءُ من النوائب والمساوئ . ولاسيَّما خراب اورشليم والهيكل وسبي الامّة . وبعد ان وقعت هذه الامور . شرع حزقيال يتنبأُ ويحثُّ اليهود على التوبة ويرجّيهم نجاةً وفيّة دائمة تحصل بقدوم المسيح المخلّص . فضلاً عن العتق القريب من قيد العبوديّة والجلاءِ *

(سنة ٣٤١٦ للخليقة وهي سنة ٥٨٧ ق م) – إِنَّ بختنصّر في انقلابهِ الى بابل اصدر امرًا بان يُنتَخَب من بين اقارب الملك صدقيّاءَ والخاصّة من اليهود ذوي النسب والحَسَب عددٌ مقدَّر من الفتيان . وان يربَّوا ويهذَّبوا في صرحهِ بما امكن من الاعتناءِ . وذلك لكي يكونوا جديرين ان يخدموا بين يدي الملك . وهم يتعلّمون هناك لغة الكلدانيين ويتمهّرون

في جميع الفنون والعلوم الشائعة يومئذٍ * وكان في جملة هؤلآء الفتيان اربعةٌ راقوا على الخصوص. وهم دانيال وحاننيا وعازريا وميشائيل الذين كانوا يتّقون الله ويقومون قيامًا وافيًا بشريعتهِ ولو كانوا عائشين في وسط الجاهلية * فعظّم الله مكافأتهم على برّهم. واسدى اليهم افضالهُ ونعمهُ * وخُصّ دانيال بكرامة الوحي وتعبير الأَحلام. فأبدى برهانًا صريحًا على عجيب الحكمة التي أُوتيها مع كونهِ شابًّا * وذلك أنَّ فتاةً يهوديّةً بديعة الجمال اسمها سوسنّة كان ابواها قد ربّياها في شريعة الله. وكانت سائرة سيرة فاضلة مشهودًا لها في الملأ. فاتّهمها شيخان عاهران بجرم كبير. واحضراها في محفل الجماعة لينُظر في دعواهما عليها للقضآء. وشهدا بذلك زورًا. فحُكم عليها بالموت * فحزن اقربآء سوسنّة ومعارفها حزنًا شديدًا. وحينئذٍ ما كان من سوسنّة الّا انّها فوّضت امرها الى الله الصَّمد القهّار * واقسمت باسمهِ القدّوس معترفة انّها تموت قتيلةً مظلومة بتهمة كاذبة. وانّها بريئة من الذنب الذي رُميت بهِ * واذ هي في غضون ذلك وقد ساقوها الى موضع القتل لتُرجَم. اذا بالفتى دانيال شقّ بين الجماعة المزدحمة وصاح قائلاً. انا بريٌّ من دم هذه المرأة * فتغيّرت قلوب الحاضرين من بغتةٍ بهذا الكلام القويّ.

وحكموا في استئناف الدعوى والنظر فيها من جديد * فأخذ دانيال يسأل الشاهدَيْن كُلًّا على حدتهِ . فوجد اختلافًا ومناقضةً بينهما في الشهادة . فظهر عند ذلك كذبهما بشهادة افواههما . وحكموا عليهما بانّهما شاهدا زور . وجازوهما ذلك الجزآء بعينهِ الذي كانا قد جزما ان ينزلاهُ بسوسنّة الزكيّة المظلومة *

وكان في السنة التي أُعقبت غزوة اورشليم انَّ ملك بابل نصب تمثالًا من ذهبٍ ارتفاعهُ ستّون ذراعًا . وأمر رعيّتهُ قاطبةً ان يسجدوا لهُ * وكان دانيال اذ ذاك غائبًا عن بابل . وأمّا رفقاؤُهُ الفتية الثلاثة فامتنعوا من امتثال الامر * وكان ما ارتقوا اليهِ عن قربٍ من المنزلة والشرف قد اثار عليهم عدوان الحاسدين . فاغتنم هؤُلآء الفرصة وسعوا على الفتيان بجريرة الكُفر . فأُلقوا في اتونٍ من نار * واذا بملاك الربّ ترآءى من بغتةٍ الى جانبهم وهو يدافع عن شدّة النار . فصارت النار تاكل من قيودهم من غير ان تمسّ ثيابهم . وكان الملأُ يشاهدهم في وسط اللهيب يسبّحون الله ويشكرونهُ * فدُهش الملك من هذه المجزات . ولم يكن لهُ الآن يعترف بأَن ثَمّ اصبع الله القدير . فامر بإِخراج اولئك الفتيان الاسرائيليّين من الاتون .

واعطى منشورًا سلطانيًا يامر فيهِ قومهُ بالسجود لله الذي حوّل النار الى ندى ونسيم *

وبعد هنيهةٍ رأى بختنصّر حلمًا عجيبًا . واخذ تاويلهُ وهو نائم . ولكنّهُ عند ما افاق نسي الحلم * فأحضر المجوس او علماءَ الكلدانيّين . وامرهم ان يجدوا الرويا التي رآها ونسيها . فانكروا جميعًا ذلك واقرّوا قائلين : ان لم تقُل لنا ما كان حلمك . فليس لنا سبيل الى تعبيرهِ * فغضب بختنصّر وأمر بقتلهم * وكان دانيال من جملة العلماءَ الذين صدر الأَمر السلطانيّ بإِبادتهم * فأقبل الى رئيس حَرَسة المَلك . وطلب اليهِ ان يُؤَخّر إِجراءَ الامر الى الغد . وطوى الليل بالصلوة والدعاءَ والقنوت مع رفقائهِ الفتية طالبًا وحيًا من لدنهِ تعالى ينزل عليهِ لينقذ بتاويل الحلم الجمّ الغفير الذي تهدّدهُ الملك بالموت * فاستجاب الله دعاءَهُ * ولمّا اصبح . مثل بين يدي بختنصّر وقال لهُ : أمولاي . لمّا كنت قلِقَ الفكر في مَن عساهُ ان يستولي على العالم من بعدك . رايت واذا تمثالٌ جسيمٌ هامتهُ من ذهب . وكتفاهُ وذراعاهُ من فضّة . وبطنهُ وفخذاهُ من نحاس . وساقاهُ بعضها من حديد وبعضها من طين . واذا بحجرٍ انقلع من نفسهِ من الجبل . فسحق التمثال وصيّرهُ هباءً منثورًا . ثمَّ

سفتهُ الريح * واما الحجر فاستحال الى جبل عظيم غطّى وجه الارض كلّها * هذا هو حلمك ايها الملك . وهذا هو تعبيرهُ : انت سلطانٌ مقتدرٌ . والاه السمآء قد اولاك الباس والدولة والجلالة . وهذه هي هامة تمثال الذهب * وسوف يقوم بعدك سلطنة اصغر من سلطنتك . وهي المرموز عنها بالفضّة . ثمّ سلطنةٌ ثالثة . وهي المرموز عنها بالنحاس . وسوف تستولي على الارض كلّها * والسلطنة الرابعة سوف تظهر كالحديد . فتسحق وتطحن كلّ شيء كمثلما الحديد يدقّ كلّ الاشيآء ويقوى على كلّ الاشيآء * ولكن كما انّك رايت رجلَيْ التمثال بعضهما من طين وبعضها من حديد . كذلك هذه السلطنة من من حيث انّ بعضها قويّ وبعضها ضعيف سوف تُفضي الى الانقسام والفنآء * وكما انّ الحجر المنفصل من نفسهِ من الجبل سحق الطين والحديد والنحاس والفضّة والذهب جميعاً . كذلك الاه السمآء سوف يُقيم سلطنةً لن تنقرض ابد الدهور . ودولةً لا تنتقل الى غيرها . بل تهدم جميع هذه السلطنات . وهي لا تبرح ثابتةً لا تتزعزع * فلمّا قال دانيال هذا . ارتاع بختنصّر واخذتهُ الرعدة فصرخ قائلاً : انّ الآله الذي انت تعبدهُ يا دانيال هو بالحقيقة الاه الآلهة وربّ الملوك * ثمّ انّهُ اكثر

على دانيال الكرامات والعطايا . والتفت ايضًا بعين الرضاء الى اصحاب دانيال الثلاثة حاننيا وعازريا وميشائيل *

اعلم انّ الدُّول الاربع التي ذكرها دانيال في هذه نبوّتهِ الشهيرة هي كما اجمع المفسّرون كافّةً دولة اثور. ثمّ دولة الفرس. ثمّ دولة الاسكندر العظيم . ثمّ دولة روميّة اي دولة الروم * واما الدولة المرموز اليها بالحجر المنقلع عن الجبل الذي غطّى الارض فهي دولة يسوع المسيح وبيعتهِ التي بقآؤُها مخلَّد ولا تنقرض ابدًا *

وبعد زمان طويل رأى بختنصّر حُلمًا آخَر الجأهُ الى دانيال النبيّ * وذلك انّهُ رأى شجرة يبلغ رأسهـــا السمآء . وأغصانها تغطّي المسكونة كلّها . وجِذعها وثمرها لهما نضارة رائقة . والطيور تغرّد على افنانها وقد ابتنت اعشاشها في خلال اوراقها . ووحوش البرّيّة تستريح في ظلّها * اجاب دانيال مفسّرًا وقال : انّ هذه الشجرة الجسيمة ايّها الملك هي صورتك انت . لانّ عظمتك قد ارتفعت الى السمآء . وشوكتك امتدّت على وجه الارض باسرها * ثمّ قال الملك : وسمعتُ صوتًا يقول : اقطعوا ودكّوا هذه الشجرة . واستبقوا منها الجِذر فقط . ولتُبَلّ بندَى الليل البارد . ولتُطعَم مع البهائِم مدّة سبع سنين * قال

دانيال: انّ هذا الصوت أيها الملك كان بهِ القضآء عليك. فانّك سوف تُنفَى من بين الناس سبع سنين. وتلازم الغابات المحتبكة. وتكون في العزلة والتقمّم شبيهًا بالبهائم الى ان ترعوي وتعترف انّ الله هو ربّ جميع الممالك. وأنّهُ يُوتي المُلك من يشآء وينزعهُ ممّن يشآء *

اعلم انّ هذه النبوّة صحّت بالتطبيق: فانّهُ لمّا كان بختنصّر ذات غداةٍ يعجب متباهيًا بمحاسن بابل البديعة. لم يشعر الاّ ويد القهّار ضربتهُ فجأةً. وفُصِل من الفة البشر. ومكث سبع سنين متشبّهًا بالوحوش ومختلطًا معها * وبعدما هدأ سخط الله تعالى بهذه التوبة الشديدة. رُدّ عقلهُ اليهِ. فاستولى على عرشهِ. ومات وقد طالت مدّتهُ ثلاثًا واربعين سنةً *

(سنة ٢٤٤٢ للخليقة وهي سنة ٥٦٢ ق م) – بعد بختنصّر جلس ابنهُ أَوِيلَمَرُودَخ. وهو ردّ الحرّيّة ليوخنيا ملك يهوذا. واطلقهُ بعدما كان بختنصّر قد عزلهُ منذ زمان عهيد قبل ان يملك صدقيآء. وكان ابوهُ يوياقيم قد هلك وهو يقاتل الاثوريّين * ولم يكتفِ اويلمرودخ بانّهُ اطلق سبيل يوخنيا. بل زاد على ذلك انّهُ اجزل عليهِ الهدايا واقامهُ قهرمانًا على بيتهِ *

وحدث في عهد هذا الملك انّ دانيال دكّ اعظم صنم للبابليّين . وهو صنم بعل * وكان يُوتَى لهذا الصنم كلّ يوم اثنا عشر كيلاً دقيقًا واربعون خروفًا وستّ جرار خمرًا . وكانوا في كلّ غداةٍ يرون هذه الماكولات كلّها مفقودة لا اثر لها * وكان السَدَنة يوهّمون الناس بانّ معبودهم بعل هو الذي ياكلها * فنوى دانيال ان يكشف خديعة السَدَنة . فأُتي على امرهِ برمادٍ وذُرَّ بغير علمهم على بلاط الهيكل ثمّ أُغلقت الابواب . وخُتمت بختم الملك * ومن الغد في اوّل الفجر اتى دانيال الهيكل مصحوبًا بالملك * واذ فُتحت الابواب . اراهُ دانيال آثار أَقدام بشرٍ لها علامات ظاهرة على البلاط * فأَمر الملك . وصار التفتيش . فوُجد للسَدَنة منفذٌ خفيّ كانوا يَلِجون منهُ في الهيكل ليلاً . ويحملون جميع ما يكون قد وُضع هناك قدّام بعل * فغضب الملك غضبًا شديدًا عند ذلك . وأَمر باولئك السَّدَنة فقُبض عليهم . وقُتلوا عن آخِرهم . ودفع الصنم لدانيال . فأَخذهُ وسحقهُ . وهدم هيكلهُ ايضًا * الاّ انّ البابليّين بلغ منهم الغيظ غايتهُ اذ فقدوا هكذا صنمهم الخاصّ . فدخلوا على الملك وتهدّدوهُ حتّى انّهُ خشي هَوْلهم . فأسلم اليهم دانيال * فألقوهُ في هوتةٍ عميقة . في اسفلها سبعة اسود كانت

قد تُركت هناك ستّة ايّام بلا طعام لكي تبتلعهُ في لحظة * ولكنّ الله كان قريبــاً لنصر عبدهِ. فنجّاهُ من هذه الوحوش وعالهُ على طريق المعجزة *

وفي اليوم السابع قصد الملك الجبّ لينوح على دانيال لانّهُ كان يحبّهُ . فلمّا دنا من شفرتهِ . تطلّع واذا بدانيال جالساً في وسط الاسود . فكاد عقلهُ يطير وصاح قائلاً : واهًا يا ربّ يا الاه دانيال انّك لعظيم * ومن ساعتهِ أمر فأُخرج دانيال من جبّ الاسود . وأُلقي بدلاً عنهُ اولئك السفهاء الذين كانوا قد سعوا في اهلاكهِ * فافترستهم تلك السباع الضارية امام عينيهِ من لحظة *

(سنة ٣٤٥٠ للخليقة وهي سنة ٥٥٤ ق م) - وكان بلطشاصر اسم احد الملوك الذين ملكوا بعد أَوِيلَمَرُودَخ . وكان قد اضطرّهُ الحال الى إقامة حرب شديدة مديدة مع جيوش داريوش ملك الماديّين وكورش ملك الفرس المتحالفين عليهِ جميعاً . ولم يكن من امرهِ وهو في هذا الارتباك الاّ ورأى نفسهُ محصوراً في مدينتهِ بحصار شديد من كلّ جانب * بَيْدَ انّهُ مع كونهِ في عطب ظاهر لبث آمنًا متّكلاً على الاسوار الجسيمة المحيطة بالمدينة بالاستدارة وملازماً اللهو والطرب * وأمر في اثناء

ذلك فهيّأَت مأدبة فاخرة لجميع كبرآء دولتهِ . ولمّا أخذت فيهِ الخمر . أمر بان تُحضَر اواني الذهب والفضّة التي كان بختنصّر قد سلبها من هيكل القدس الشريف . فشرب مع ندمآئهِ بهذه الآنية القدسيّة * وبينما هو لم يفرغ من الشرب الاثميّ والنفاق الجسيم . اذ شوهدت يدٌ تسطر على الحائط بخطٍّ من نار هذه الكلمات الثلاث الرمزيّة وهي : منَا . تَقَل . فرَس * فطار من بغتةٍ سكر الملك . واستدعى العرّافين الكلدانيّين . وسأَلهم تفسير هذه الكلمات . فلم يوجد من يستطيع ان يعطي تاويلاً يشفي النفوس * فجعل الملك يرغّبهم بالمواعيد ويخوّفهم بالتهديدات . ومن ذلك أنّهُ وعد من يشفي غليلهُ بعطايا نفيسة مشتملة على سلسلة من ذهب وحلّة ملكيّة حتّى ثُلث ملكهِ ايضاً * ولم يحصل من كلّ ذلك على المطلوب *

وفي النهاية ذكرت الملكة والدتهُ ما كان دانيال قد ابداهُ من الرشد والحكمة في تعبير أحلام بختنصّر . فأَعلمت بذلك ابنها الملك * فدعا بلطشاصر بالنبيّ اليهِ . فلمّا مثل دانيال بين يدي الملك . لم يخشَ ان يصرّح بالحقّ . وانذر الملك المنافق بانّهُ قد اشرفت شمس أيّامهِ على الغروب . لانّهُ لم يعتبر عبرةً من العقوبات التي أُنزلت بجدّهِ بختنصّر

اذ تاه وتكبّر. ثمّ قال: اعلم ايها الملك انّ كلمة منا يراد بها انّ عدّة سني مدّتك قد عُدّت وانقضت. وثقل يُراد بها انّك وُزنت بالميزان فوُجدت خفيفًا ناقصًا جدًّا. وفرس يراد بها أنّ مملكتك قربت ان تنقسم بين مادي وفارس * وهذه النبوّة صحّت في تلك الليلة بعينها. لانّهُ بعد سويعات قلائل ظفر كورش ملك فارس ببابل. ودخلت جنودهُ المدينة من وسط الفرات الذي كان كورش قد حوّل مياهُ ونشّف قاعهُ. فانقضّت العساكر على الصرح الملكيّ. وهلك بلطشاصر في سعير القتال. وكان هذا آخر ملك من سلالة بختنصّر * وعلى هذا المنوال صحّت نبوّة دانيال الشهير اذ انقرضت دولة الاثوريّين واعتقبها دولة الفرس *

(سنة ٣٤٦٦ للخليقة وهي سنة ٥٢٨ ق م) – واقتسم مملكة اثور كورش وداريوش. فدخل اليهود ايضًا تحت حكمهما * امّا داريوش المعروف بالماديّ فبعد ما نصب عمّالاً في جميع اعمال مملكتهِ. جعل دانيال صدرًا في وزرائهِ. فحسدتهُ الاعيان وافرغوا وسعهم في اتلافهِ * غير انّهُ لم يمكّنهم ابدًا من حيلة على ذلك. بل خيّب مكايدهم الخبيثة بسيرتهِ المملوّة رشدًا وحزمًا واستقامةً * حينئذٍ عزم حسّادهُ ان ينصبوا لهُ شَرَكًا. فزيّنوا للملك ان

يبرز امرًا سلطانيًّا ينهى بهِ جميع رعاياهُ عن ان يصلّوا للآلهة مدّة ثلاثين يومًا . وان يعاقب بالموت من يتجاسر ان يصلّي في تلك المدّة كائنًا مَنْ كان ما عدا الملك * ففضّل دانيال شريعة الله على شريعة الانسان . ولم يخشَ من مخالفة هذا الامر الظلميّ . فكان يفتح طاقات منزلهِ ثلاث مرّات في النهار ويجثو وقتئذٍ متوجّهًا نحو اورشليم ويسجد لاله آبائهِ * فرصده اعداؤهُ وسعوا بهِ لدى الملك وقالوا فيهِ . انّهُ وحدهُ من بين جميع التَبَعة قد تجاوز ارادة الملك . وانّهُ من الواجب ان يكون جزاؤهُ عبرة *

فاضطرّ داريوش من اجل الامر الصّادر ولجاجة الاعداء . وأمر بدانيال . فأُلقي في جُبٍّ للأُسود * ولمّا كان خوفهُ على النبيّ من قساوة البشر اقوى منهُ من قساوة الوحوش الضارية . أمر بختم فم الجبّ الذي طُرح فيهِ دانيال * وقضى داريوش الليل كلّهُ بلا نوم . حتّى اذا دنا الفجر . قام وعدا الى شفير الجبّ . ونادى دانيال باسمهِ وسألهُ هل هو بعدُ في الحيوة * اجاب دانيال برفق وقال : هأنذا معافىً لا ضرَّ فيّ . فانّ الهي ارسل ملاكهُ فسدّ افواه الاسود عنّي * فطار عقل الملك من الفرح . وأمر فأُخرج دانيال من الجبّ . ولم يظهر

في بدنهِ اصلاً * واجرى داريوش على وشاة دانيال العقوبة التي ارادوا انزالها بهِ. وذلك انهُ القاهم في الجبّ. ومن ساعتهم تناولتهم الاسود وحطمت عظامهم قبل ان يطأوا القاع * ولم يرتَب احدٌ أنَّ دانيال لم يُحفَظ الاَّ بقوّة الله الواحد. وكان ذلك دفعةً ثانيةً بعد ما قد جرت لهُ في عهد الملك اويلمرودخ * ثمَّ انَّ الملك داريوش امر فنُودي في جميع أعمالهِ أنْ لا الاه الاَّ الله الواحد الاه دانيال. وإيّاهُ فليعبد الخلق كافّةً. لا سواهُ * وتنبّأ دانيال عن جميع الخطوب والشؤُون العظيمة التي اعقبت جلآء اليهود. وعن تقلّبات دولتَي الاثوريّين والفرس. وعن عدوان الملك انطيوخس ابيفانس *

الفصل الحادي والعشرون

امر كورش — نهاية الجلآء — زربّابيل — عزرا — نحميّا — تجديد بناء الهيكل — واسوار اورشليم — احوال اليهود في عهد خلفاء كورش — سياسة الاحبار العظام — نبوّة ملاخيا

(سنة ٣٤٦٨ للخليقة هي سنة ٥٣٦ قبل المسيح) — ومات

داريوش المادي في نهاية السنة الثانية من فتح بابل . وترك الملك لكورش ملك الفرس . فضمّ كورش الى حوزتهِ مملكتيْ فارس ومادي جميعًا * وكان في غضون ذلك قد بلغ الاوان المحدود الذي فيهِ كان الله قد عزم ان يرمق بعين الحنوّ الى امّتهِ البائسة . وكان قد مضى على اليهود سبعون سنة وهم ارقّآء اذلّآء تحت نير الاسر * فاراد ان ينجز كلمتهُ التي نطق بها من قبلُ على فم نبيّهِ ارمياءَ . فحرّك قلب كورش . فنشر كورش في جميع أعمال مملكتهِ الامر المشهور الذي بهِ اباح لليهود ان يرجعوا الى مواطنهم ويجدّدوا هيكل اورشليم * فقام ابنآء اسرائيل ورحلوا من بابل . وكان عدد الرُحَّل منهم يومئذٍ اثنين واربعين الف نفس . وكان قائدهم زُرُبّابِيل . وكان رجلاً حسيبًا من بيت داود الملك . وردّ عليهم كورش الاواني المقدّسة التي كانت قد سُلبت من الهيكل في عهد بختنصّر * ولمّا انتهوا الى ارض يهوذا . شمّروا لتاسيس هيكل جديد في اورشليم * وكان اهل السامرة يحسدون اورشليم حسد الاعدآء لمّا شاهدوها تنهض من خرابها . وصاروا يتعرّضون للبنيان ويمانعون أصحابهُ . ولم يزالوا يسعون حتّى اوقفوا البنيان زمانًا طويلاً بقوّة دسائسهم * وحدث بتوفيق الله انّ داريوش بن هستسب في السنة

الثانية من جلوسهِ مال الى سماع توسّلات اليهود وتضرّع قائدهم زربّابيل فاذن لهم ان يتمّموا هيكل بيت المقدس . لا بل ساعدهم بإِعطائهِ النفقات اللاّزمة لانجاز العمل . وامر ان يُدفَع للكهنة يوماً فيوماً كلّ ما يقتضي للضحايا والقرابين * فأَكثر اليهود الحمد والشكر لله على هذه الحماية التي خصّهم بها داريوش . وعادوا علي بناء الهيكل بهمّة ورغبة * وكان النبيّان حجّي وزكرياء يحضّضان الفَعلة تحضيضاً بليغاً . حتّى انّ الهيكل تمّ تشييدهُ في عشرين سنة . وكان ذلك في السنة السادسة من مملكة داريوش * وفي يوم تدشينهِ قُرّبت لله ذبائح كثيرة * وفي اليوم الرابع عشر من الشهر الاوّل عيّد ابناء اسرائيل المعتوقون من الاسر عيد الفصح * واعلم أنّ ارتحشستا الذي جلس بعد ابيهِ داريوش صنع مع اليهود من اللطف والاحسان ما كان قد صنعهُ ابوهُ داريوش *

(سنة ٣٥٥١ للخليقة وهي سنة ٤٥٣ قبل المسيح) – كان في بابل على عهد ارتحشستا الملك رجلٌ فاضل فقيهٌ في شريعة موسى من السلالة الكهنوتيّة اسمهُ عزرا * فهذا عزم على التوجّه الى القدس الشريف . فاستأذن الملك ورحل مصحوباً باليهود الذين شاءوا ان يرافقوهُ . وقضوا في طريقهم

اربعة اشهر. حتّى اذا انتهوا في آخرها الى اورشليم. اودعوا في الهيكل الهدايا النفيسة التي اهداها الملك ووزرآؤهُ على يدهم لخدمة بيت المقدس *

وكان الملك قد قلّد عزرا ما اقتضى من السلطان لوضع النظام بين الناس. فشرع الرجل الهُمام في اصلاح العوائد السيّئة التي كانت قد دخلت في زمان الجلآء * وقبل كلّ شيء اراد ان يردّ على عبادة الله طهارتها كلّها. فأبطل عادة كانت قد عثت بالقوم وافسدت احوالهم: وذلك انّ اليهود كانوا عند رجوعهم قد اصطحبوا عددًا كثيرًا من النسآء الاجنبيّات. وكان الشرع ينهى اليهود عن تزوّج من لم تكن من بني اسرائيل نهيًا قاطعًا * فأمر عزرا. فقُرئت التوراة المسطورة بيد موسى. وبعد قرآءتها والوقوف على سننها فُسخت وأُبطلت على وجه مشتهر تلك الزيجات المحرَّمة. وأُرسلت اولئك النسآء الغريبات الى اراضيهنّ * ثمّ لازم عزرا شغلاً آخر عظيم الخطب. وذلك انّه رتّب الاسفار المُنْزَلة. ومحا جميع التحريفات الواقعة فيها من قلم النُّسّاخ *

(سنة ٣٥٦٢ للخليقة وهي سنة ٤٤٢ قبل المسيح) - هذا ولم تكن بعدُ قد شُيّدت اسوار اورشليم. وكان اهلها عرضة

لأحوال القبائل المجاورة * وكان من جملة اليهود الذين انقطعوا الى حاشية ارتحششتا رجلٌ اسمهُ نَحَمْيآءَ وهو ساقي الملك * وقَدِمَ من اورشليم الى مدينة سوسان نفرٌ من قرابتهِ . فاستخبرهم عن احوال المدينة المقدّسة . فقالوا : انّ اخوتنا لفي حال بئس الحال . واسوار اورشليم لم تزَل مهدومة . وأبوابها قد أُحرقت بالنار * فشقّ هذا الخبر على نحميّا البارّ . وتألّم ألمًا شديدًا * فلمّا كان الملك ذات يوم على المائدة ونحميا بين يديهِ قائمًا بخدمتهِ . تطلّع في وجههِ . فاذا فيهِ علامات الكآبة . فسألهُ عن سبب ذلك . فلم يسع نحمياءَ الاّ ان كشف لهُ حقيقة الامر وقال : كيف لا اكون حزينًا كئيبًا ايّها الملك مولاي . وقد بلغني ما عليهِ من سوء حالٍ اورشليم بلدتي العزيزة ومدافن اجدادي * فرقّ الملك لانكسارهِ . واذن لهُ ان ينطلق ويشيد اسوار اورشليم في ظلّ حمايتهِ . وامر ان يُعطى امرٌ بهِ يوعز ان تتهيّأ لهُ كلّ العدّة اللازمة لاقامة أسوار اورشليم وأبوابها *

واعلم انّ هذا الامر الصادر في السنة العشرين من جلوس ارتحششتا هو الذي منهُ تبتدئ السبعون اسبوعًا من السنين التي جملتها اربعماية وتسعون سنة . وفي نهايتها كان محتومًا ان يُقتَل المسيح . كما تنبأ دانيال . وكما تمّ الأمر بالنجاز

على التدقيق طبقًا لحساب السنين * ولمّا وصل نحميا الى اورشليم. طاف حول المدينة ليجسّ حالة اسوارها. ثمّ اجتمع برؤساء الجمهور وشيوخهم. وحثّهم ان يشمّروا للعمل * وكان كلّما ازداد الفَعَلة إقدامًا في شغلهم. زادت معارضات العمّونيّين والموابيّين والسامريّين لهم. بحيث انهم كانوا ينصبون لهم اشراكًا ويحتالون على تقنيطهم * غير انّ نحميا لبث لا يتزعزع في مقصدهِ والجنود حواليهِ لمدافعة الاعداء * وزاد على ذلك أنّهُ امر الفَعَلة بأخذ الاسلحة. فصاروا باليد الواحِدة يمسكون آلة البناء وبالأُخرى السلاح. وجعلوا ابواقًا بين مسافة واخرى للمناداة على المَدَد وقت هجوم الاعداء * وكان نحميا قدوةً لجميعهم في استمرارهِ ثابتًا صبورًا متجلّدًا وهو يحضّض اخوتهُ على مثل ذلك ولا يبيح لنفسهِ استراحة * فحُوّطت اورشليم بسورٍ جديد في اثنين وخمسين يومًا. وعند ذلك عيّدوا عيد التهنئة او التدشين بشعائر دينيّة * ثمّ اخذ ايضًا نحمياء في رفع العوائد الرديئة: ومن ذلك انّهُ كان الاغنياء بمعزلٍ عن مساعدة اخوتهم المحتاجين. فكانوا يربحون من احتياجهم نفسهِ. وقد استولوا على مُعظَم اراضيهم واملاكهم بدل الربا. وصار المظلومون من جرى ذلك يعجّون صراخًا الى نحميّا * فرقّ لهم نحميا. وجمع كبراء

الامّة. وناشدهم ببحثٍ بليغ. ولم يزَل بهم الى ان رضوا جميعًا ان يتركوا لغرمائهم ديونهم كلّها ويردّوا عليهم اراضيهم واملاكهم * وكان عيد المظالّ قد قرب. فصار اليهود يحجّون من جميع أقطار اليهوديّة الى اورشليم ليعيّدوا هذا العيد الذي مدّتهُ سبعة ايّام * وطلب جمهور اليهود الى عزرا ان يتلو التوراة جهرًا وشهرةً . ولمّا تُليت في حضرتهم. امتلأُوا ورعًا وخشوعًا حتّى اذرفوا العبرات المنسجمة اذ انتبهوا على الكُفران الجسيم الذي بهِ قابلوا مِنن الرحمن. فجعل عزرا يسلّيهم بكلام الوداد والاخلاص. وهو مستمرٌّ على تلك التلاوة الخشوعيّة مدّة الايّام السبعة * وعظّموا العيد بالضحايا. والأفراح ونصبوا بهِ المآدِب الواسعة. ودعوا اليها عامّة الغرباَء والفقراَء والارامل والايتام* وبعد هذا العيد عيّن يومٌ للتوبة والاستغفار. وفيهِ تردّى الشعب كلّهم بالمسوح. وتصاغروا قدّام الربّ ووعدوا بان يحفظوا وصاياهُ ويرعوها بامانة *

وكانت سياسة اليهود اذ ذاك على مقتضى اصول شريعتهم ولو تحت سلطة الفرس * لانّهم كان الاحبار يدبّرونهم. وكان المجلس الكبير الذي نصبهُ موسى مستعملاً سلطانهُ. فيهتمّ بالمحافظة التامّة على جميع المسنونات في كتاب الشريعة الغرّاء * ولبث

اليهود تحت استيلاء ملوك الفرس مدة مايتي سنةٍ وهم في راحة وأمان مكرَّمين لدى اربابهم * وفي هذه المدّة بعد رجوعهم من الجلاء لم يزالوا متمسّكين بالشريعة وفرائضها . ولم يسقطوا قطّ في المجوسيّة وعبادة الاوثان . لانّهم لم يزالوا ذاكرين أهوال العدل الالهيّ وما قاسوهُ من عقوباتهِ السابقة * ونحو ذلك العهد اشتهر ملاخيا وهو آخِر انبياء بني اسرائيل . وكان يحضّهم على التمسّك بالشريعة والاستعداد لمجيء المسيح المخلّص * اعلم انّ الانبياء الذين نبوّاتهم مُودَعة في الكتابِ المقدّس عدّتهم ستّة عشر نبيًّا . منهم اربعةٌ يُعرَفون بالانبياء الكبار . وهم اشعياء وارمياء وحزقيال ودانيال . واثنا عشر يُعرَفون بالانبياء الصغار . وهم هوشع وعاموس ويوال وعوبديا ويونان وميخا وناحوم وحبقوق وصفنيا وحجّي وزكريّاء وملاخيا * وقد يُضمّ اليهم باروخ الذي نبوّتهُ توجد في ذيل سِفر نبوّة ارمياء *

الفصل الثاني والعشرون

قصّة استير ومردخاي — استيلاء الاسكندر الكبير المافدوني على بلاد اليهود — احوال اليهود في عهد خلفاء الاسكندر — وقوعهم بالتناوب تحت حوزة ملوك مصر وملوك الشام — ترجمة الاسفار المقدّسة في عهد بطلميوس فيلدلف ملك مصر —

لمّا اذن كورش وخلفاؤهُ لليهود بالرجوع الى اليهوديّة. كان قد تبقّى في الارض الغريبة جمٌّ منهم غفير آثروا الاقامة في بلد موطنهم الجديد واحبّوهُ لأسباب كثيرة * ومن جملة هؤلاء المتغرّبين كان رجل اسمهُ مردخاي. وكانت اقامتهُ في مدينة سوسان وهي المدينة التي كان يجلس فيها أحد خلفاء كورش اسمهُ في الكتاب المقدّس احشويرش * وكان لمردخاي بنتُ عمٍّ بديعة الجمال اسمها استير. فاختيرت بتقدير ربّاني لتكون زوجةً لاحشويرش مكان الملكة وشتي التي طلّقها لهفوةٍ صدرت منها * وكان يومئذٍ في حاشية ملوك فارس رجلٌ عماليقيّ اسمهُ

هامان . وكان لهُ وَجاهة مشهورة عندهم حتّى انّهُ كان من عادة جميع الناس وحشم الملك الخادمين في الباب السلطانيّ ان يجثوا على ركبهم قدّامهُ عند مرورهِ . ولم يجسر احدٌ ان ينكر عليهِ هذا الاكرام الاّ مردخاي . لانّهُ كان يحسب ذلك مخالفًا لشريعة الله * فلمّا رأى هامان ذلك . شقّ عليهِ جدًّا . وزادهُ حقدًا كونهُ من قبيل اصلهِ وجنسهِ عدوًّا جوهريًّا لليهود . فجزم على إتلاف امّة اليهود باسرها . فضلاً عن مردخاي * فصوّر هذه الامّة في عيني احشويرش بألوان مستقبحة وقال: لابدَّ ايّها الملك من استيصال هذه الامّة العاصية من بين بلادك لكي تحصل على الامان * فانغشّ الملك وانقاد لوسوسات هامان . واصدر امرًا بهِ اوعز الى الرؤساء والعمّال طرًّا في جميع أمصار الدولة بان يهلكوا اليهود قاطبةً . واقام هامان وكيلاً على اجراء هذا الامر الظلميّ *

ولمّا بلغ مردخاي ذلك . مزق ثيابهُ . وتردّى بالمسح دليلاً على الحزن والحِداد . ووقف على باب القصر غريقًا في بحر الكآبة . وبلّغ الخبر الى الملكة استير . واطلعها على العطب الذي احاط بامّة اليهود . وتوسّل اليها ان تترامى عند رجلي الملك وتستميحهُ العفو عن امةٍ صحيحة * ثمّ اجتمع بإخوتهِ اليهود .

واوصاهم بالصوم والصلوة ثلاثة ايّام * وامّا استير فعمدت الى ثياب الحداد . ورمت بنفسها قدّام الله متضرّعة اليهِ ان يخلّص قومها * وكان من سُنَن ملوك فارس انّهُ مَنْ دخل الى الملك من دون ان يُدعَى . يُقتَل لامحالة * ولم تتمالك استير من ان تعرض نفسها للموت فديةً عن قومها . فتزيّنت بافخر حُليّها . ودخلت على الملك مصحوبةً بجاريتين فقط * واذا المَلِك جالس على العرش محفوفًا بالأَنوار . وقد تبيّن في عينيهِ الغيظ * فانصدعت الملكة وسقطت كالميّتة غائبةً عن حسّها بين ايدي جاريتيها * فحنّ احشويرش فؤادهُ رافةً عليها . وبسط اليها قضيب الذهب اشارةً الى انّهُ قد اضرب عن موتها . وبذل جهدهُ في ان يؤمّنها بكلام التطييب * فاستفاقت استير من رعبتها . وقالت لهُ : يا سيّدي انّ عينيّ انبهرتا من اللميع المحيط بك . وخال لي أَنّي اشاهد ملاك الله * فأخذ احشويرش يزيد في تطييب خاطرها . ووعدها بانّهُ يبلّغها كلّ ما تتمنّى ولو سألتْ نصف ملكهِ * فقالت استير : انّ منيتي واحدة . وهي ان تتفضّل عليّ بالقدوم عندي للعشآء . وان تصحب معك الوزير هامان . فأجابها الملك الى ذلك *

ثمّ انّ احشويرش بعد ان فارقتهُ استير . أَمر فطُولعت

كُتُب التواريخ المسطورة فيها اخبار دولتهِ. واتّفق انهُ وقف على قصّة امرٍ جرى منذ سنين: وهو أنّ رجلين كانا قد اضمرا ان يقتلا الملك. فاكتشف مردخاي اليهوديّ على دسيستهما. واوقف الملكة عليها. فقُبض على ذينك المجرمين. وقُضي عليهما بما كانت تستوجب جريرتهما * فاذ سمع الملك ذلك. سأل قائلاً: وما المكافأة التي اصابها مردخاي على فضلهِ هذا. قالوا لهُ: انهُ لم ينَلْ على ذلك من الجزآء شيئًا البتّة * وفي غضون هذا الحديث دخل الوزير هامان. وكان في الليلة البارحة قد هيّأ آلة طولها خمسون ذراعًا. وفي نيّتهِ ان يصلب بها مردخاي. فبدأهُ الملك وقال: يا هامان ايّ شيءٍ يجدر بي ان اصنع برجل اريد ان اكرمهُ واعظّمهُ * فظنّ هامان انهُ هو المقصود بالكلام. فقال: انّ رجلاً مثل هذا ينبغي ان يوشَّح بالحلّة الملكيّة ويُوضَع على راسهِ التاج. ويركَّب على جوَادٍ ويُطاف بهِ في المدينة كلّها. ويمسك رجلٌ من أشرف أعوان الدولة بلجام الفرس وهو يصيح على اهل المدينة قائلاً: اعلموا انّهُ هكذا يكرّم الملك الذين استحقّوا إكرامهُ * فقال الملك: ألا يا هامان. أسرع وخذ حلّةً وجوادًا وسائر ما ذكرت. واصنع ذلك كلّهُ لمردخاي اليهوديّ. واحترز من ان تنسى شيئًا ممّا وصفت الساعة * وحينئذٍ شاهد

أَهل مدينة سوسان انقلابًا غريبًا عجيبًا. وذلك أنّ مردخاي الذليل ارتقى الى اعلى درجةٍ من الكرامة. وهامان المتكبّر قُهر وذلّ بين يدي ذلك الذي كان هو يبغضهُ ويحتقرهُ وقد آلى على نفسهُ ان يهلكهُ هو وقومهُ باجمعهِ *

واذ رجع هامان الى بيتهِ. أَخذ يتظلّم تظلّمًا شديدًا عند زوجتهِ واصدقائهِ من المذلاّت التي الَّمت بهِ. وبالغ في سبّ مردخاي * وفي الغد مضى الى المأدبة التي دعتهُ اليها الملكة. وكان في آخِر العشآء أَنَّ احشويرش الحّ على استير أَنْ تحتكم اليهِ اي تطلب منهُ ما تمنّت * فطلبت الملكة من احشويرش العفو عن امّة اليهود. وكشفت لهُ خديعة هامان وقساوتهُ اذ غشّ الملك واوغر صدرهُ على امّة اليهود حتّى اخذ منهُ امرًا بقتلهم جميعًا وهم ابريآء من كلّ ذنب * فلمّا سمع احشويرش ذلك (وكان على ما ذكر الكتاب المقدّس ذا مروءة ونخوة) بُهت في اوّل وهلة * ثمَّ لمّا استوعب جسامة ما صنعهُ هامان في ذلك من الجسارة والظلم. قضى عليهِ بالموت * وفي ساعتهِ قدم شرطيٌّ وقال للملك: انّ هامان كان قد هيَّأَ آلةً طولها خمسون ذراعًا لكي يصلب عليها مردخاي * فقال الملك: فاذنْ ليُصلَب عليها هامان نفسهُ الساعة فصُلب في الحال *

واذ علم احشويرش انّ مردخاي هو عمّ الملكة. رقّاهُ الى منزلة الوزارة. واودعهُ مهرهُ. والغى الامر بقتل اليهود. فأضحى اسم اليهود مكرَّمًا في المملكة كلّها *

(سنة ٣٦٦٢ للخليقة وهي سنة ٣٣٢ قبل المسيح) — وكانت أَحكام الله على هذه الدولة الثانية قد جرت في غضون ذلك طبقًا لنبوّة دانيال. لانّ الفُرْس كانوا قد اعانوا اليهود وخلّصوهم من نير الاثوريّين. فرجعوا الى ارض جدودهم. وكان في القضاء الالهيّ ان تاخذ مكان دولة الفُرْس دولةٌ اخرى اكبر منها * وذلك أَنّ الاسكندر الكبير مَلِك الماقدونيّين وهو المعروف بذي القَرْنين بعد ان استظهر على داريوس قُدْمان قرض دولة الفرس. وفتح جميع الولايات الخاضعة لهم. واتى الى غربيّ بلاد الشام ونصب الحصار على مدينة صور. وبعث برُسُل الى اليهود يسومونهم الطاعة والتسليم واعطاء المَدَد لجيشهِ من رجالٍ وذخيرة * وكان الحبر العظيم يومئذٍ في اليهود اسمهُ يدوع. فاجاب يدوع الرسل قائلاً: إِنَّ اليهود هم حلفاء مَلِك الفُرْس. واياهُ قد وعدوا بالأَيمان أَنْ لا يحملوا ابدًا عليهِ سلاحًا. وانّهم لثابتون على وعدهم وقَسَمهم لا محالة * فاستشاط الاسكندر غضبًا من هذا الكلام. وأَمر ان يُنذَروا بانّهُ سيسير

عليهم بجيشٍ عرمرم بعد افتتاح صور. وكما قال فعل. لانهُ بعد فتح مدينة صور سار علي اورشليم * فالتجأ يدوع الحبر العظيم الى الله حذرًا من العطب الذي اوشك ان ينزل بقومهِ. وأمر باقامة الصلوات الجمهوريّة والذبائح. وفي الغد فتح أبواب المدينة ولبس الحلّة الكهنوتيّة. واقبل في ظهرانَيْ اللاويّين تلقآء جيش الماقدونيّين * فلمّا شاهد الاسكندر ذلك. اخذتهُ الهيبة عند رؤيتهِ الكهنة الوقورين وهم موشَّحون بالحلل الطوال البيض. ولاسيّما الحبر الاعظم متردّيًا بالدرع الاسمانجونيّ المرصَّع بالذهب. وعلى راسهِ التاج. وعلى جبهتهِ صفيحة الذهب المسطور فيها الاسم الكريم * فاعترت الاسكندر دهشةٌ وخشوع. وانحنى قدَّامهُ ساجدًا. وحيّاهُ بإِكرام دينيّ * وفيما الامر كذلك. رفع اليهود الذين حولهُ اصواتهم في ساعتهم ودَعَوْا للملك الغازي بكلّ النجاح والاقبال * ثمَّ دخل الاسكندر اورشليم. ففتحوا قدّامهُ سفر نبوّة دانيال. واعلموهُ انّ ذلك النبيّ قبل احقاب كان قد تنبّأَ بانّهُ ستنقرض يومًا دولة الفرس ويقوم في مكانهم عاهلٌ من اليونان عظيمٌ * فعند ذلك شكر الاسكندر الاه السمآء. وقرّب لهُ الضحايا. واذن لليهود ان يعملوا بشرائعهم ويبقوا على عوائدهم وسننهم الدينيّة. وأَعفاهم عن نصف الجزية

التي كانت مرتّبةً عليهم. وانعم عليهم بانعامات أُخرى كما طلبوا *

(سنة ٣٦٨١ للخليقة وهي سنة ٣٢٣ قبل المسيح) - وبعد تملّك الاسكندر على قسمٍ من العالم كبير. مات ولهُ من العمر ثلاث وثلاثون سنة بلا خَلَف. وساعة وفاتهِ قال: انّ رجالي سوف يشيّعون جنازتي ويحتفلونها بحروب مهلكة * وكان الامر طبق ذلك * لانّ امرآء جيوشهِ اقتسموا ملكهُ الوسيع. وجرت الحروب الشديدة بعد موتهِ * ومن الجملة قامت مملكتان يونانيّتان كبيرتان. احداهما في الشام وقاعدتها مدينة انطاكية. والاخرى في مصر وقاعدتها مدينة الاسكندريّة * وبهذه التقلّبات كانت اليهوديّة لوقوعها بين الشام ومصر تتناوبها الملوك واحدًا بعد آخَر. فيستولي عليها تارةً الشاميّون وأُخرى المصريّون * واول من افتتحها هو بطلميوس سوتير مَلِك مصر: هذا نوى توسيع ملكهِ. فدخل اليهوديّة. وسار على اورشليم في يوم سبت اذ كان الناس مُقبلين على الصلوة. واجلى الى الاسكندريّة مائة الف اسرائيلي. ولكنّهُ لم يلبث كثيرًا ان صار يعاملهم بمثل ما كان يعامل سائر تبعتهِ الاهليّة من الرعاية واللطف *

(سنة ٣٧٢٠ للخليقة وهي سنة ٢٨٤ قبل المسيح) - صارت

اليهود تحت حوزة مملكة الشام. فعاملهم ملوكها حسنًا. وجزاءً لصدقهم انعم عليهم الملك سلوقس نيقاطور حقّ المدنيّة والذمة كمثل اهل بلادهِ. وأذن لهم ان يعملوا بشريعتهم وان يكونوا تحت سياسة رؤساء كهنتهم *

(سنة ٣٧٢٧ للخليقة وهي سنة ٢٧٧ قبل المسيح) - ثمّ وقعت اليهوديّة تحت ولاية بطلميوس فيلَدِلْف مَلِك مصر * وكانت من جملة مآثر هذا الملك أنّهُ كان يطلب الكتب النادرة النفيسة ويستجلبها من الاقاصي. ويودعها في خزانة الكتب الشهيرة التي كان قد اقامها في الاسكندرية * وكان قد اوكل على هذا العمل رجلًا من اعوانهِ فقيهًا خارقًا في العلوم اسمهُ ديمطريوس * فأقبل ديمطريوس يومًا الى بطلميوس واعلمهُ انّ عند اليهود كتبًا نفيسةً ثمينة. وأنّهُ يصعب استخراجها والحصول على ترجمتها. وانّها مستحقّةٌ ان يُبذَل فيها كلّ الامكان ويُنفَق مهما لزم عليها لكي توضع في خزانة الكتب الاسكندريّة * فاستحسن بطلميوس هذا الراي. وارسل رسلًا من لدنهِ الى اليعازر الحبر الاعظم مصحوبين بألوكةٍ لطيفة المعنى وبهدايا فاخرة * فدفع الحبر الاعظم الى هؤلاء الرسل نسخةً تامّة من اسفار الكتاب المقدّس اي العهد القديم مسطورةً بحروف

من ذهب. وأَمر ان يرافقهم ستّة شيوخ من كلّ سِبط لكي يستخرجوها الى اليونانيّة. وكانت عدّتهم اثنين وسبعين شيخًا * فلمّا صار هؤلآء الاثنان والسبعون شيخًا الى الاسكندريّة. شمّروا للعمل واستخرجوا الكتب المقدّسة في نيّفٍ وستّين يومـًا. وهذه هي الترجمة اليونانيّة التي منذ يومئذٍ اشتهرت وعظم شانها وتُعْرَف بالترجمة السبعينيّة *

(سنة ٣٧٨٧ للخليقة وهي سنة ٢١٧ قبل المسيح) - ثمّ ان بطلميوس فيلوباطر ملك مصر بعد ما ظفر بانطيوخس الملقّب بالمعظّم الذي كان مستوليًا دهرًا يسيرًا على مُعظَم بلاد فلسطين. أَتى اورشليم. واراد ان يلج داخل الهيكل خلافًا لنهي الشريعة وممانعة الحبر الاعظم. فعوقب من ساعتهِ على تجاسرهِ * وذلك انّ يدًا خفيّةً اوقفتهُ عند باب المحراب. فسقط على الارض طريحًا عديم القوّة والحركة. ولم يستردّ حسّهُ الاّ بعد ان ذهبوا بهِ الى خارج الهيكل. فأَبطن في قلبهِ الحقد. واضمر ان ياخذ ثارهُ ممّا اصابهُ فانّهُ حَسِب ذلك نكاية من اليهود * وعند رجوعهِ الى مصر قضى بالعبوديّة على جميع اليهود القاطنين بلادهُ. بل جزم ايضًا على هلاكهم. فامر بهم فحُبسوا مصفَّدين بالحديد في موضع يُعرَف بفسحة سباق الخيل. فجعلوا يستمدّون

النجاة من الله القدير باكين ورافعين ايدي الضراعة نحو السمآء * وبينما هم على تلك الحالة . اذ أُطلقت الفيلة عليهم هائجة لتهلكهم . فدارت هذه البهائم بمعجزة سماويّة على اصحابها انفسهم وفتكت بهم * فلمّا بلغ الملك ذلك . خمد غضبهُ . وفهم انّ الله العليّ العظيم كان يحمي امّة اليهود ويسترهم بوقايتهِ . فعفا عنهم وردّ لهم الانعامات المنزوعة عنهم * غير انّهُ لم يلبث ان لاقى ايضًا جزآء كفره . وذلك انّ انطيوخس ضبط منهُ بلاد اليهوديّة . فأصبحت منذ حينئذٍ في حوزة ملوك الشام . ولم تبرح كذلك دهرًا طويلاً خالصةً لهم دون ملوك مصر *

(سنة ٢٨٠١ للخليقة وهي سنة ٢٠٢ قبل المسيح) – ولمّا استولى انطيوخس الكبير على اليهوديّة . اخذ يعامل اهلها بالاحسان ابتغآء الاستفحال في امرهِ . فاجرى لهم من مالهِ كلّ ما يقتضي للذبائح ولمرمّة الهيكل . واذن لهم ان يعملوا بشريعتهم ودينهم . ونقّص ايضًا المكوس عنهم * واحبَّ ان يرجّع اورشليم الى ما كانت عليهِ من الرونق . فخصّ بانعامات جليلة جميع الذين يستوطنون فيها من ايّ افق اتوا *

(سنة ٢٨٢٨ للخليقة وهي سنة ١٧٦ قبل المسيح) – وفي عهد الملك سَلَوْقس فيلوباطر خليفة انطيوخس الكبير نشأ بين

عونيا الحبر الاعظم وشمعون صاحب حراسة الهيكل خصومة جلبت على الامّة بلايا جسيمة * وذلك انّ شمعون لمّا كان رجلًا باغيًا وعدوًّا خفيًّا للحبر الاعظم. وذلك لانّ هذا كان يُرعبهُ بهمّتهِ ورصانتهِ. عمد الى الحيلة لنوال رضى سلوقس * فعرض عليهِ انّ هيكل اورشليم محتوٍ على خزائن لا تُحصَى ولا توصَف. وانهُ قد يستطيع الظفر بها على اسهل مرام * فبعث سلوقس فيلوباطر وزيرهُ هليودورس الى اورشليم. فدخل على الحبر الاعظم. وسألهُ باسم الملك ان يدفعِ اليهِ الخزائن المطمورة في الهيكل. فلم يجبهُ عونيا الى ذلك. بل قال لهليودورس: اعلم انّ هذا المال ليس هو الاّ وديعة قدسية موقوفة لمعاش الارامل والايتام * الاّ انّ هذا الجواب لم يصدّ هليودورس عن عزمهِ. لانّهُ كان قد عوّل على تنفيذ ارادة سلوقس على كلّ حال * فوقع الجزع في قلوب الاهلين طرًّا. وتضرّعوا الى الله بحرقة قلوبهم وهم ينتظرون ان يهجم هليودورس على ابواب الهيكل في جنودهِ * فتداركهم الله واغاثهم. ووقى مقدسهُ العزيز. وذلك انّ اصحاب هليودورس خرّوا كلّهم ساقطين بوجوههم على الارض مرتعشين اذ رأوا جوادًا وعلى ظهرهِ رجل هائل المنظر موشّح بدرعٍ من ذهب. فأقبل على هليودورس وخبطهُ

وحطمهُ على الحضيض * ثمّ تراءى ايضاً شابّان آخران عليهما سحنة البسالة والجمال. وهما يتلألآن مجداً ويروقان بهآءً. فأقبلا على جانبي هليودورس وجعلا يضربانهِ بشدّة ضرباً شديداً غير منقطع. فحُمل هليودورس مغشيّاً عليهِ الى خارج الهيكل * فلمّا رأى الحبر الاعظم ذلك. رقّ قلبهُ وطلب الى الربّ ان يشفق على هليودورس وينجّيهُ من الموت * فأُستُجيبت طلبتهُ. ولمّا تعافى هليودورس. قرّب لله ذبيحة. وشكر عونيّا الحبر. وانقلب الى الشام وبلّغ الى سلوقوس خبر المعجزة التي صنعها الله بهِ في هيكلهِ * وبعد ذلك ذكر الملك يوماً امر هليودورس. وهمّ ان يرسلهُ ثانيةً الى اورشليم. فامتنع هليودورس قائلاً: مَن كان لك عدوًّا ايّها الملك. فأَرسِلهُ الى هيكل اورشليم. لانّ الساكن في السمآء هو في ذلك المحلّ. وعقابهُ شديد على الذين يجسرون على تدنيسهِ * ثمّ انّ عونيّا سُعي بهِ لدى ملك الشام. فدعاهُ الى حضرتهِ. فاحتجّ عونيّا عن نفسهِ. ووفى بالمرام وهدّأَ غضب الملك. وحملهُ ايضاً ان ينعم على اليهود ويشملهم برضاهُ *

الفصل الثالث والعشرون

اضطهاد انطيوخس ابيفانس ملك سوريّة — ثبات اليعازر — استشهاد الاولاد السبعة وامّهم — مقاومة متّثيا وابنائهِ — مناقب يهوذا المقابيّ — استقلال اليهوديّة

(سنة ٣٨٣٢ للخليقة وهي سنة ١٧٢ قبل المسيح) — انهُ في عهد انطيوخس ابيفانس الذي ملك بعد اخيهِ سلوقس فيلوباطر اصاب اليهود بلايا جديدة * وكان النبيّ دانيال قد سبق وانبأ على اجلى صورة عن المصائب التي المّت بهم حينئذٍ * وكان الباعث الاوّل الى ذلك ما صنعهُ بعض اليهود البغاة من الدسائس الخبيثة * ومن ذلك انّ ياسون ومنلاوس تنازعا وظيفة الحبر الاعظم . واضحت هذه المرتبة القدسيّة عرضةً لتجارة اثمية بَدَلاً عن ان تكون موروثةً بتعاقب مرتّب او ممنوحةً بالاحرى لمن كان افضل مزيّةً ولياقة من غيرهِ *

فصار الطمّاعون البغاة يعرضون مقدارًا من الذهب لكي يحصلوا على هذه المنزلة. وكان ملوك الشام يبيعونهم ايّاها * فمزّقت الأَحزاب نظام اورشليم * وافضت الفتن الى جالب الدمار التامّ على تلك المدينة. وصنع الله آيات بديعة لينذر بالنكبات التي كانت عتيدة ان تنزل باورشليم * وعلى رواية الكتاب المقدّس شوهد في مدّة اربعين يومًا جنود مسلّحون يتعاركون في الجوّ وفرسانٌ حاملون اسلحة برّاقة يتجارون بعضهم على بعض. وكانت السماء تتلامع بضياء الخوذات والسيوف المجرَّدة والتروس * فهذه الآيات الهائلة اوقعت الرعبة في قلوب اليهود. وجعلوا كلّهم يتضرّعون الى الله لكي يكفيهم شرَّ الاهوال التي كانت تتهدّدهم كافّةً *

وبلغ انطيوخس ابيفانس ما حدث في اورشليم من السجس والفتنة. فنوى ان يغتنمها فرصةً ليفتح هذه المدينة. واراد بذلك ايضًا ان ينتقم منهم حيث كانوا قد فرحوا وابتهجوا حين شاع خبر موتهِ. اذ كان في حرب مصر * فحاصر انطيوخس اورشليم وافتتحها عَنْوة. وقتّل من اهلها عددًا لا يُحْصَى. ونقض سور الهيكل المقدّس ودخلهُ. وظفر بجميع الاموال الجزيلة التي كانت مخزونة فيهِ. وروَى الكتاب المقدّس انّ الله

لم ينتقم هذه المرّة من جسارة هذا الملك . كما كان قد فعل بهليودورس . وذلك لانّ الامة كانت مجرمة . والهيكل انّما حرمتهُ ووقايتهُ من اجل الملّة . وليس وقاية الملّة من اجل الهيكل * وحمل انطيوخس الاواني القدسيّة ومنارات الذهب ومائدة خبز الوجوه والمجامر . وسلب ايضاً بُسُط الحرير والكتّان . وأحرق المنازل الفاخرة وهدم الأسوار . وابتنى قلعة في وسط المدينة *

(سنة ٣٨٣٧ للخليقة وهي سنة ١٦٧ قبل المسيح) - ولم تقف هنالك نقمة انطيوخس . بل همّ ان يُكرِه اليهود اجمعين على الجحود بدين الله والتمسّك بالمجوسيّة وعبادة الاوثان . وقضى بالموت على الذين يمتنعون من السجود للمشتري الذي كان الاه اليونان ويُعرَف بالاولمفيّ وكان انطيوخس قد شاد لهُ هيكلاً * فخشي كثير من الناس التهدّدات . وقرّبوا الضحايا للوثن * واما الذين ارادوا ان يفلتوا من خطر تجاوز الناموس ومن السقوط في العقوبة التي حدّها انطيوخس فهربوا واستخفوا * ولكنَّ غيرهم عرضوا انفسهم للخطر ولتضحية حياتهم . وآثروا الموت على الهزيمة * وكان من اجلّ هذا الصنف رجل اسمهُ اليعازر . وهو شيخٌ مهوب لم ينقصهُ عمرهُ جراءة ولا قوّة

فهذا أمر بأكل اللحوم المحرّمة في الناموس. فآثر اليعازر فخر موت الشهادة على العار الناشئ من تجاوز حدود الدين. ومشى بشجاعة تلقاء الموت * وكان اصدقاؤهُ يحثّونهُ على ان يمتثل امر الملك ولو بالظاهر فقط دون الحقيقة. ولكنّهم خابوا. فانّ الشيخ المحترَم اجابهم قائلاً: انّي افضّل الموت على انْ انقاد لهذا الراي كالجبان. ومعاذ الله انْ يخضع اليعازر وقد اتّصل الى آخِر عمرهِ للرسوم الوثنيّة ويكون للأحداث قدوة في السوء. فانّي لم يبقَ لي من الحيوة على الارض الاّ ايّام قلائل. ولعمري ما كنتُ لافضح شيخوختي بذلٍّ قبيح * قال هذا وامتثل امام الجلاّدين. فاداروا عليهِ من ساعتهم رحى الحِمام *

فقوي عزم اليهود بموت اليعازر الشيخ الصدّيق. وزاد المضطهدون بغضةً كلّما زادت همّة الشهدآء. فاستنبطوا انواع العذاب والاذى * وجآء في الكتاب المقدّس قصّة استشهاد الاخوة السبعة الشجعان الذين لم يذكرهم باسمائهم. وهم المعروفون عندنا بالمقابيّين ابنآء القدّيسة شموني * وذلك انّ انطيوخس عالج كثيرًا ان يغريهم على السجود للاصنام. ورجا ان يوهن ايمانهم بشدّة العذابات. فأَمر أن يُقتَلوا الواحد بعد الآخَر في حضور والدتهم. فقُطعت السنتهم واطراف ايديهم وارجلهم. وسُلِخت

جلدة رؤُوسهم. وسُلقوا في مرجل. الاّ انهم في وسط هذه العذابات كانوا يباركون الله الذي كان يصبرّهم على هذه الشدائد الشنيعة. وكلّموا انطيوخس. ودعوهُ للحضور للمحاكمة قدّام الله الديّان * فازداد الملك غضباً اذ راى هذه الشجاعة النادرة. وامسك أَصغرهم ودفعهُ الى والدتهِ موعزاً اليها ان تبذل ما عندها لتقنعهُ ان يكفر بدينهِ. ولكنّ هذه الامّ العجيبة بدلاً من ان تحثّ ابنها ان يشفق على حياتهِ. أَعطت العالم مَثَلاً لحماسة عجيبة لا نظير لها. فانّها اخذت تحِدّث ابنها وتفهّمهُ انّ البشر كلّهم زائلون. وانّ هذه الدنيا خيال لاثبات لها. ومجد الله الوسيم مخلّدٌ ابديّ. واستحلفتهُ ان يكون شقيقاً اهلاً لاخوتهِ ويموت نظيرهم * ولمّا استتمّت كلامها. أَخذ الصبيّ يقرّر انّهُ لا يطيع الملك بل يطيع شريعة موسى فقط. وجعل ايضاً يتوعّد الملك بالعقوبة الشديدة المهيّأَة لهُ. وقال لهُ: اعلم انّ سخط الله النازل بقوم اليهود كاد يهدأُ بسفك دمي ودم اخوتي * فاستشاط الملك غضباً. وأَمر بتعذيب هذا الفتى بقساوةٍ اشدّ ممّا فُعل باخوتهِ. وان يُفرَغ في جسدهِ الناعم ما امكن اختراعهُ من انواع الاذى والعذاب الشديد اشدّ ما يكون * ثمّ انّ امّ هؤلاء الشهداء القدّيسين بعد ما شاهدت مقتل اولادها السبعة

وهي لا تهدأ من تشجيعهم . دُفعت هي ايضًا الى ايدي اولٰئك الجلّادين . فاذاقوها الموت الذعاق بانواع العذاب وهي متجلّدة بصبر جميل ※

وكان في ذلك الزمان كاهن اسمهُ متّثيا وهو راس عشيرة الشمونيّين . فهذا هجر مدينة اورشليم حَذَرًا من ان يشهد بعينهِ عذاب اخوتهِ المستمرّين في الامانة مع الربّ . او ارتداد الذين يقرّبون للاوثان . فهرب متوجّهًا نحو بلدة مولدهِ هو وخمسة اخوةٍ لهُ ※ فسيّر انطيوخس احد قوّاد جيشهِ الى تلك المدينة . فنشر هنالك المنشور الذي قُرئ في اورشليم . بهِ يأمر جميع السكّان ان يذبحوا للاوثان في مهلة يسيرة ※ فذلّ بعض اليهود وخضعوا للامر المذكور . ولكنّ متّثيا أبى ان ينقاد لذلك . بل نادى بالحرب مجاوبًا الرسوليين بما نصّهُ : هب انّ جميع سكّان هذه البلدة ينقادون لهذه الدعوة الظلميّة . فانا وابنائي واخوتي لا ننقاد الّا لشريعة العليّ العظيم ※ حينئذٍ دكّ متّثيا المذبح والصنم . وقتل شُرَطيَّ الملك . ثمَّ خرج من المدينة . وجعل يحرّض جميع الذين كان في صدورهم شيءٌ من الحميّة على شريعة موسى ان يتبعوهُ الى البرّيّة ※ فانصرف الى الاماكن المعتزلة ومعهُ جيش صغير تحت قيادة ابنائهِ الخمسة . وهم يوحنّا . وشمعون ويهوذا

الملقّب بالمقابيّ. والعازر. ويوناثان * فهزم في وقعاتٍ شتّى عساكر الملك. وهدم مذابح الرجس. ويمكن انّهُ لو لم يوقف الموت مساعيهُ لنجح باكثر من ذلك في مناقبهِ * وفي ساعة وفاتهِ استدعى اولادهُ وقال لهم: هذا زمان العقاب والخراب. وزمان السخط والغضب: فتوشّحوا يا بنيّ بشحناء مقدّسة على عَبَدَة الاوثان. وكونوا دائمًا مستعدّين للموت عن دين آبائنا * اذكروا الخطوب التي جرت على جدودكم من عصر الى عصر. وتأمّلوا في يوسف كيف صار عزيزًا في مصر بعدما حسدهُ اخوتهُ. وداود كيف نجا من عدوان شاول. وحانيا وعازريا وميشائيل كيف سلموا من حدّة النار الاتونيّة. ودانيال كيف افلت من انياب الاسُود الضارية. فانّ الله لا يخذل ابدًا الذين يتّكلون عليهِ *

ولم يكن من همّ ابناء متثيا شيء سوى إتمام العمل الذي كان قد بداهُ وقد اجاد فيهِ * وكان الشيخ عند وفاتهِ قد امر ان يكون يهوذا المقابيّ ثالث بنيهِ رئيسًا على جيشهِ الصغير * قال الكتاب المقدّس: انّ يهوذا لبس درعهُ كمثل جبّار. وصار سيفهُ الماضي يحمي عسكرهُ. فوثب على القتال كما يثب الليث على الفريسة *

وانبثّت الى الاماكن البعيدة اهوال اسم يهوذا وغلباتهِ * وكان اوّل اعتنائهِ ان يتّخذ لهُ جنودًا طاهرين بلا لوم. وكان من سعدهِ انهُ جمع لهُ من هذا القبيل ستّة آلاف جنديّ حتّى انهُ اعتدَّ نفسهُ قادرًا على دفع صولة الاعدآء. وامر جيشهُ بأَن يكون لهم ثقة تامّة بالاه الجيوش * ثمّ سار على ابولونيوس رئيس قوّاد انطيوخس وضربهُ. فتجدّل صريعًا قتيلاً * فنهض سارون قائد الشاميّين الثاني. واضمر ان ينتقم لكسرة ابولونيوس. فلم تفضِ همّتهُ الاّ الى زيادة الفخر والمجد ليهوذا المقابيّ. حتّى بلغت اخبار مناقبهِ وشيكًا الى انطيوخس. فجمع من ساعتهِ عسكرًا جديدًا. وسلّم قيادتهُ لاشهر رؤساء دولتهِ. وهم لوسياس ونيقانور وجرجيا * فلمّا اقتربت هذه العساكر المخيفة. اقشعرّ في اوّل الامر أَحزابُ يهوذا المقابيّ. ولكنّ هذا المقاتل الصدّيق طفق يتهيّأُ للحرب بالصوم والصلوة والثقة بالله حتّى فتك باعدائهِ اجمعين * وبهذه الغلبة استولى على مدينة اورشليم. فانتهزها فرصةً واصلح شيئًا ممّا كان قد اصاب تلك المدينة من الخراب. حيث كانت شوارعها قد لزمها الدمار والبوار * وطهّر الهيكل وانتقى كهنتهُ. ورجّع الذبائح. وعيّد عيدًا محتفلاً لتجديد بيت الربّ المرّة الثالثة * وكذلك حصّن جبل صهيون.

وحوّطهُ بأسوارٍ وابراجٍ حذرًا من ان تاتي الامم وتنجّسهُ ايضًا. كما كانوا قد صنعوا قبلاً * فلمّا بلغ القبائل المجاورة لليهوديّة خبر رجوع عبادة الآله الحقّ. همّوا ان يبيدوا اليهود القاطنين في وَسْطهم * فنهض عليهم يهوذا المقابيّ وكسرهم دفعات كثيرة. ودكّ المذابح النجسة. واحرق تماثيل معبوداتهم. وعاد غنيًّا بالغنائمِ * فازداد انطيوخس حنقًا على اليهود اذ بلغتهُ هذه الاخبار. فقصد ان يغير بنفسهِ على بلاد اليهوديّة وحلف ليجعلنّ اورشليم قاعًا صفصفًا. ويخرّبنّها خرابًا حتّى تصبح مقبرة لسكّانها * فأخذ طريقهُ مسرعًا نحو اورشليم. وفيما هو في الاسراع والاستعجال سقط من عَجَلَتهِ. وترضّض جسدهُ كلّهُ * فذلّ هذا الملك المتكبّر الذي كان يدّعي السلطنة على امواج البحر وعلى رياح السمآء. وشعر بيدٍ اقدر من يدهِ. فانّ جسمهُ اعتراهُ الفساد وأحشاءهُ تمزّقت باوجاع لا تُقاسَى * وعند ذلك اخذ يتفكّر قليلاً في حالهِ حتّى اعترف بكونهِ انسانًا بلا مرآء. وقال في ساعة ارتعابهِ من حكم الله وهو في سياق الموت: ما افضل الخضوع لله. لانّ الانسان الميّت لا ينبغي لهُ ان يختلس مجد العليّ القهّار * وفي غضون ذلك قلق ضميرهُ من ذكر مظالمهِ الفاحشة. واقرّ انّ ما اصابهُ انّما هو عقابٌ عمّا ارتكبهُ

من الجور والتعدّي على اليهود . ونوى ان يعامل اورشليم بعد ذلك معاملةً احسن . وكان يقول : سأعتق اليهود واجعلهم مساوين لسائر رعيّتي . وآذن لهم ان يعملوا بشريعتهم المقدّسة بلا حَرَج . وادفع لهم ايضًا النفقات المقتضية لذبائحهم * غير انّ ذلك كلّهُ كان امرًا بطيئًا في غير اوانهِ . فانّ الربّ كان قد قدّر القضآء على هذا المالك الفاجر . فمات شقيًا وقد تركهُ غلمانهُ انفسهم اذ صاروا يشمأزّون من علّتهِ الكريهة ويأبون الدُنوَّ منهُ *

ولم يزَل يهوذا المقابيّ مجاهدًا مقاتلاً لحماية قومهِ وديانتهِ . واستظهر في وقعتين استظهارًا جليلاً . حتّى لاحت جليًّا الوقاية السماويّة لهُ * فانّهُ في الكفاح الاوّل تراءى في حومة القتال خمسة فرسانٍ نزلوا من السمآء . واذا اثنان منهم وقفا الى جانب المقابيّ وصارا يظلّلانهِ باسلحتهما . ويرشقان بَرَدًا من اسهمةٍ متّقدةٍ على الاعدآء . فتمزّقوا وتبدّدوا ايادي سبا * وبعد زمانٍ قليلٍ خرج يهوذا المقابيّ من المدينة بجنودهِ ليهجم على الاعدآء . واذا فارسٌ موشَّحٌ بردآءٍ ابيض وعليهِ سلاحٌ من ذهب شَخَص فجأةً لمنظر الجيش باجمعهِ * فانتعش في جنود يهوذا نشاطٌ عجيب . وامتلأُوا ثقةً . وهجموا كالليوث على الاعدآء .

فولّوا منهزمين وقد غادروا على الحضيض ما ينيف على اثني عشر الف قتيل *

وفي وقعةٍ اخرى لم تظهر الغلبة لاحد من الفريقين. وقُتل طائفةٌ من اليهود * فلمّا ذُهب بهم ليُدفَنوا. وُجِد في ثيابهم شيءٌ ممّا يُقرَّب قربانًا للاوثان. وكان ذلك خطيّةً حَسَبَ الناموس. فعلم انّ معصيتهم كانت الداعي الى انخذالهم وهلاكهم * فاغتنم يهوذا المقابيّ هذه الفرصة وجعل يحضّض جنودهُ على الثبات في الصلاح والتديُّن * وفي أثناءَ ذلك بعث ايضًا الى اورشليم اثني عشر الف درهم من الفضّة لتقريب الضحايا عن خطايا اولئك الموتى ليُغفَر لهم *

امّا الصلح الذي ضُرب عهدهُ بُعيْدَ هلاك انطيوخس ابيفانس فلم تطُل مدّتهُ زمانًا. لانّ ابنهُ انطيوخس اوفاطر جدّد الحرب. وزحف ليقاتل يهوذا المقابيّ بماية الف مقاتل واثنين وثلاثين فيلاً مرشّحة للكفاح * واشتهر في هذه الحرب اخٌ صغيرٌ ليهوذا اسمهُ اليعازر. وأبدى حماسة لا نظير لها: ومن جملة ذلك انّهُ لمّا رأى فيلاً مزيّناً دون غيرهِ بزينةٍ فاخرة. تخيّل لهُ انّهُ مركوب الملك. فنوى ان يعطي نفسهُ فديةً عن قومهِ ليتخلّصوا من العدوّ المخوف المهوب. فرمى بنفسهِ في

صفوف الاعداء. وصار يدافع المتعرّضين لطريقهِ. حتّى اذا تمكّن بعينهِ ويدهِ من بطن الفيل الجسيم. طعنهُ بسيفهِ. فتجدّل الفيل صريعًا ومات. وبسقطتهِ خبط تحتهُ الاسرائيليّ النجيب الذي جاد بنفسهِ فديةً عن امّتهِ *

وبعد زمان قليل سار انطيوخس اوفاطر الى بلاد الشام ليطفئ فتنةً نشأت هناك. فضرب عهد الصلح مع اليهود. واذن لهم ان يعملوا بشريعتهم وسننهم * الاّ انّ ديمطريوس سوتير في تلك السنة بعينها جلس على سرير الملك بعد انطيوخس. فنكث عهد الصلح مع اليهود. واراد ان يقبض على يهوذا المقابيّ. فوجّه الى اورشليم نيقانور احد رؤساء جيوشهِ. فاستعان نيقانور بالخديعة عوض القوّة الظاهرة. وصعد الى الهيكل ساعة كان الكهنة يقرّبون الضحيّة الجارية كلّ يوم. وأمرهم ان يدفعوا اليهِ يهوذا * فأجاب الكهنة قائلين: انّنا لا ندري اين الذي تطلبهُ * فاستشاط نيقانور غضبًا. ورفع يدهُ نحو الهيكل وقال: لئن لم تدفعوا اليّ يهوذا. لانقضنّ هذا الهيكل من راسهِ الى اسفلهِ * وبعد هذا التجديف انصرف. وبلغهُ انّ يهوذا المقابيّ في بلد السامرة. فسار عليهِ مصحوبًا بعساكرهِ كلّها * فوثق يهوذا بالحماية السماويّة. وبرز عليهِ اوّلاً وقاتلهُ وغلبهُ.

وقُتل نيقانور مع كثيرٍ من جنودهِ *

وفي العام التالي دخل باخيدس اليهوديَّة بجيش جرَّار. وكان هذا قائدًا آخَر لديمطريوس. فانتشرت الرعبة في رجال يهوذا المقابيّ. حتّى انّ اغلبهم اعتزلوا. ولم يبقَ معهُ سوى ثمانمائةٍ. فاشار بعضهم عليهِ ان يبوّق للهزيمة. فقال: حاشا لنا ان نهرب من وجه اعدائنا. فان كانت ساعتنا قد حانت. فلنفتخرنّ بان نموت عن اخوتنا * قال هذا ونادى بالقتال. فاشتدّت المعركة متّصلةً من الصباح الى المسآء * وقُتل البَطَل يهوذا في ذلك اليوم وهو في مُقدَّمة أصحابهِ الشجعان. وسقط جميع اليهود بسبب موتهِ في اليأس والقنوط. وناحوا عليهِ ايّامًا كثيرة. ولم يزالوا منذ ذلك يكرّرون القول: كيف سقط الرجل الجبّار. واهًا على الذي جاهد في خلاص امّة اسرائيل *

الفصل الرابع والعشرون

خلفاء يهوذا المقابي — يوناثان — شمعون — يوحنّا هرقان — تجديد الملكيّة — ارسطبولس — وقوع اليهوديّة تحت ولاية الروم على يد بمبيوس — هيرودس ملك اليهود

(سنة ٣٨٤٢ للخليقة وهي سنة ١٦٠ ق م) — بعدما مات يهوذا . ظهر الاشرار والبغاة في جميع نواحي اسرائيل . وكادت اليهوديّة تقع في حوزة الغرباء في عهد ولاية الشاميّين * فحينئذٍ اجتمع احزاب يهوذا : وطفقوا يقولون ليوناثان اخيهِ : انَّهُ منذ تُوفّي يهوذا اخوك لم يوجد انسان مثلهُ يقدر ان يقوم بوجه اعداء امّتنا . فلذلك اخترناك اليوم لتكون اميرنا وزعيمنا مكانهُ . وتتقدّمنا في جميع حروبنا * فتقبّل يوناثان الإمارة المفروضة عليهِ . ولم يلبث أن اظهر انَّهُ كان اهلاً ليكون خليفة ليهوذا البطَل * وقبل كلّ شيء التزم ان يدفع باخيدس قائد ديمطريوس سوتير ملك الشام الذي اغار دفعات شتّى على اليهوديّة . فقهرهُ وفرض عليهِ ايضاً شروط المصالحة * وجُعل حَكَماً في الحرب الشديدة التي جرت بين الاسكندر بالاع

وبين ديمطريوس سوتير . فتحزّب للاسكندر بالاع وضمَّ عساكرهُ مع عساكرهِ. وحمل على ديمطريوس سوتير فقتلهُ في معركة* وعامل الاسكندر بالاع يوناثانَ حليفهُ بإعزاز. وطلب اليهِ ان ياتي يزورهُ في مدينة عكّا. لانّهُ كان يومئذٍ منتظرًا عرس قلاوبطرة بنت ملك مصر* فانطلق يوناثان الى هناك بهدايا فاخرة. ونال كلَّ ما تمنّى من الاسكندر. حتّى انّ الاعداء الذين كانوا قد ساروا للسعاية فيهِ رجعوا خائبين* وبعد قليل من الزمان وجّه ديمطريوس بن ديمطريوس سوتير جيشًا على يوناثان . وسلّم امارتهُ الى ابولونيوس . فكتب ابولونيوس في اوّل امرهِ كتب التشنيع وارسلها الى يوناثان. فاستظهر عليهِ يوناثان تمامًا في اوّل لقآءٍ. ولكنّهُ ابتُلي بخيانة سودآء وقع في حبالها* وذلك انّ طريفون احد قوّاد الاسكندر بالاع نوى في قلبهِ ان يخلع ديمطريوس من السياسة الملكيّة ويستولي على المملكة. ولم يجهل انَّهُ كان ينبغي لذلك اهلاك يوناثان اوّلاً. فاستدعاهُ الى مدينة عكّا مكرًا. وتلقّاهُ بظاهر الصداقة والمصافاة* فلمّا صار يوناثان في امان من ذلك. ارجع عساكرهُ. واذا بأبواب المدينة أُغلقت من ساعتها. وقُتل يوناثان مع حشمهِ وحاشيتهِ بخيانة وحشيّة*

(سنة ٣٨٦٠ للخليقة وهي سنة ١٤٤ ق م) – وارتقى حينئذٍ شمعون الى مرتبة الحبر الاعظم* كان هذا قد بقي في الحيوة وحدهُ من اولئك الاخوة الخمسة الأَبطال الذين بذلوا حياتهم لصيانة ديانة جدودهم. وكان على جانب عظيم من الرصانة والشجاعة. حتّى انهُّ اخرج العصاة المَرَدَة من قلعة صهيون. وخلّص بلدتهُ من نير ملوك الشام* وبعد ان متّع اليهوديَّة بسلامٍ مديدٍ هنيٍّ قُتل قتلاً ذريعًا مع اثنين من بنيهِ بامر بطلميوس صهرهِ الكافر الذي كان هو عاملاً لهُ على ايريحا* وانّما حملهُ على ذلك طمعهُ في اختلاس رئاسة الكهنوت*

(سنة ٣٨٧١ للخليقة وهي سنة ١٣٣ ق م) – انّ اليهود جزاءً لجيل المقابيّين كانوا قد أقرّوا شمعون على امارة الامّة. وجزموا ان تكون وظيفة رئاسة الكهنوت إِرثيّة في سلالتهِ* فقام بعد شمعون يوحنّا ابنهُ الملقّب بهرقان الذي كان قد افلت من مكامن بطلميوس الفاتك* وامسى هرقان اسعد حظًّا من سلفائهِ. فانهُّ الزم انطيوخس سيداتيس ملك الشام ان يرفع الحصار من اورشليم. ورافقهُ في جهادٍ باشرهُ على الفرثيّين وهم الفرس. وجدّد العهد مع الروم. واستولى على بلاد الاموريّين* وهذه الغلبة قوّتهُ ومكّنتهُ. فسار على السامرة

وحاصرها . وحفر حولها خندقين واسعين . وحصر سكانها بمجاعة قويّة . ففُتحت المدينة بعد حصار سنةٍ تامة وأُخربت خرابًا تامًّا * فازداد يوحنّا جاهًا وشوكةً بسبب هذه الفتوحات . واصبح مخوفًا عند جميع جيرتهِ . ولم يضطرب اهل بلادهِ بحرب من خارج البتّة . الاّ انهُ في شيخوختهِ اكتنفهُ الحزن من جرى السجس الذي تسلّط في المملكة * فانّ اليهود كانوا في ذلك العصر منقسمين الى شِيَعٍ شتّى . ومن جملتها اثنتان كانتا مستظهرتين خاصّةً . وهما شيعة الفرّيسيّين وشيعة الصدّوقيّين ويقال لهم الزنادقة * وكان الفرّيسيّون ذوي عزٍّ عظيمٍ عند العامّة محسوبين من اهل الضبط في العمل بالشريعة ومواظبة الصوم وأداء العشور وإعطاء الصدقات الوافرة . غير انّ صلاح سيرتهم ما كان الاّ في الظاهر . فكانوا في الباطن ممتلئين عهارةً وصلفًا ورياء * واما الصدّوقيّون فكانوا كَفَرَةً يجحدون بقاء النفس ووجود الارواح وحشر الاجساد وجزاء الآخرة . فكان همّهم كلّهُ التنعّم بملذّات هذه الدنيا ليس غير * وجدَّ يوحنّا هرقان في استيصال عِرْق هذه الشقاقات الوخيمة . ثمّ تُوفّي وقد ساد مدّة احدى وثلاثين سنةً بمنزلة ملك لليهود من دون التسمية بذلك * (٢٨٩٧ للخليقة وهي سنة ١٠٧ ق م) — وخلّف يوحنّا هرقان

خمسة بنين. وكان بكرهم ارسطُبولس * وهذا سمّى نفسهُ ملكًا. وخال لهُ انهُ يثبّت سطوتهُ بهذا الاسم الذي لم يجترئ على اتّخاذهِ احدٌ من الأُمرآء سلفائهِ الذين دبّروا امور اليهوديّة منذ الجلاء الى ذلك الزمان * وبأرسطبولس ابتدأت دولة الملوك الاشمونيّين. وهي لم تدُم الّا قليلاً * وشارك في التاج المَلَكيّ انطيغون ثاني اخوتهِ. وحبس في سجنٍ واحدٍ سائر اخوتهِ الثلاثة وامّهُ. وهناك اجهدهم الجوع حتّى بلغ بهم المنون. ولم يلبث انطيغون ايضًا ان وقع في مظنّة السوء وقُتل. غير انّ ارسطبولس لم يلبث كثيرًا ان ندم على جرائرهِ الجسيمة. وغرق في كرب عظيم حتّى مات في اوّل سنة من ملكهِ *

(سنة ٣٨٩٨ للخليقة وهي سنة ١٠٦ ق م) - كان الاسكندر ياناي قد تخلّص من السجن هو واخواهُ الآخران بعد موت ارسطبولس. فاخذ مكانهُ. وكان احد اخوتهِ ينازعهُ السلطنة. فقتلهُ الاسكندر. وعامل الاخ الثاني بالمعروف. لانهُ كان قانعًا بالاعتزال * وطالت مدّتهُ سبعًا وعشرين سنة. ولم يزل فيها ممنوًّا بالحروب المتواصلة بعضها من الجيرة وبعضها من رعيتهِ انفسهم. اذ كانت مظالمهُ قد حَمَلَتهم على نبذ الطاعة لهُ * ورُوي انهُ صلب ثمانمائة يهوديّ من اهل العصيان *

(سنة ٢٩٢٥ للخليقة وهي سنة ٧٩ قبل المسيح) - ومات الاسكندر ياناي وخلّف ابنين. وهما هرقان وارسطبولس * وكانت الكسندرة زوجتهُ قد قرّ لها بوصيّتهِ تدبير المملكة. فاخذت ازمّة الحكم. واقتصرت على تسليم رياسة الكهنوت الى ابنها هرقان الذي كان عاجزًا عن القيام باعباء السلطنة * والكسندرة هذه اعانت الفرّيسيّين الذين في عهد الاسكندر سالفها كانوا قد طُردوا. فنهضوا لياخذوا ثارهم. واهاجوا الشحناء على اخصامهم الصدّوقيّين الذين يقال لهم الزنادقة. فغُمرت مدينة اورشليم بدم القتلى * وقام بالحكم بعد الكسندرة هرقان ابنها. غير انَّ اخاهُ ارسطبولس لم يلبث ان جمع أنصارهُ وادّعى بالمُلك. ونادى بالحرب على هرقان. فغلبهُ واستبدّ بالامر *

(سنة ٢٩٣٤ للخليقة وهي سنة ٧٠ ق م) - وكان في ذلك الزمان بُمبِيّوس قائد جيوش الروميّين اي اهل روميّة مشغولاً بفتح بلاد المشرق. وهو الذي فصل بين هرقان واخيهِ ارسطبولس. فانّهُ تحزّب لهرقان * ودخل اورشليم وحاصر الأعداء وكانوا قد اجتمعوا في الهيكل. فاستولى عليهِ هجمًا بعد حصار ثلاثة اشهر * ثمّ ضرب الخراج على اورشليم وجميع اليهوديّة. واستاسر الى مدينة روميّة ارسطبولس واولادهُ *

واما هرقان فتقوّى بنجدة رومية هذه وساس المملكة. ولكنهُ لم يَسُسْها الاّ بصفة رئيس أحبار* اما ارسطبولس فهرب من رومية. ثمّ رجع الى اليهودية. وجمع جيشاً وفتح حرباً مع الروم. وكانت الدائرة عليهِ في إمارة غابينوس خليفة بمبيوس الذي انتصر لهرقان. وصُفّد ارسطبولس ثانية بالحديد. وسيق الى رومية* وبعد برهة من الزمان ظهر في العالم يوليوس قيصر وضبط زمام الحكم في رومية. فأَطلق ارسطبولس وبعثهُ الى بلاد الشام مصحوباً بكتيبتين من العسكر رجاء ان يثبت امرهُ في تلك الولاية. الاّ انّ ارسطبولس لم يتنعّم دهرًا طولاً بالطمانينة التي كان حاصلاً عليها من حماية قيصر. لانّهُ أُطعِم السمّ بسعي اصحاب بمبيوس. وهؤلاء اهلكوا ابنهُ الاسكندر ايضاً* وبقي هرقان مستقلاً وحدهُ برئاسة الكهنوت ولكنْ بلا إمارة. لانّ هذه الوظيفة كانت قد آلت الى اسم مجرّد. اذ كان زمام الامر والنهي والحكم في الحقيقة بيد الروم* وكان العامل على تلك البلاد رجلاً باغياً اسمهُ انطيباطر اصلهُ من ادوم. وكان قد اكتسب بدَهائهِ رضى هرقان الجبان. وقد اعان يوليوس قيصر وانجدهُ في غاراتهِ على مصر. وابدى في ذلك شيئاً بديعاً من الباس والحماسة. فجازاهُ يوليوس قيصر على ذلك

بإحصاءٍ في سلك الاهليّة الروميّة وكان ذلك نعمةً جليلة عظيمة *

وكان يوليوس قيصر قد اقرّ هرقان ايضاً في رئاسة الكهنوت. وأذن لهُ بان يشيّد اسوار اورشليم * وقلّد فازائيل بن انطيباطر سياسة اورشليم . وهيرودس ابنهُ الثاني سياسة الجليل . ولم يكن لهُ من العمر سوى خمس عشرة سنةً * وهيرودس هذا جلّل مبادئ حكمهِ بتتبّع قُطّاع الطرق واللصوص الذين كانوا يعثون في البلد . فصار اهل الشام يحبّونهُ *واما فازائيل فكان قائمًا بأعباء السياسة بإِخلاصٍ واستقامةٍ *فاصبح انطيباطر محفوفًا بولديهِ ومعتضدًا بهما * واما وجوه اليهود فداخلهم من ذلك حسد عظيم. فقدِموا على هرقان وطلبوا اليهِ ان يسمع دعوى لهم على هيرودس ويحكم بينهم وبينهُ . فاضطُرّ هرقان ان يجيب الى سؤالهم . الاّ انّهُ اسرّ الى هيرودس واطلعهُ على الامر فهرب الى دمشق . وهناك نُصب عاملاً على بلاد الشام السُفلى *

وبعد زمان وجيز تملّك على اورشليم انطيغون بن ارسطبولس . وذلك بنجدة ملك الفرثيّين اي الفُرس. الذي كان قد ضرب معهُ العهد *فخاف فازائيل وقتل نفسهُ حذرًا

من الاسر. وصار مَلِك الفرثيّين يتتبّع هيرودس من بلدة الى بلدة . فلم يزَل هيرودس هاربًا من امامهِ حتى اجتاز الى بلاد العرب ومصر. وركب البحر وسار الى مدينة رومية رجآء ان يلقى هناك مَن ينتقم لهُ * وكان يوليوس قيصر في نحو ذلك الزمان قد مات قتيلًا في وسط مجلس الشورى الكبير في رومية وهو المجلس المسمّى السنات في لغتهم. فاستعان هيرودس بانطونيوس . فسعى انطونيوس لدى المجلس المذكور. فاقاموا هيرودس ملكًا على اليهود واذنوا لهُ ان يجمع جيشًا في مدينة عكّا * فتوجّه هيرودس مسرعًا نحو اورشليم . فسلّم لهُ اهل مدينة يافا * وتملّص من المكامن الكثيرة التي كانت منصوبةً امامهُ . واقام الحصار على مدينة اورشليم . فافتتحها عنوةً بعد حصار خمسة اشهر * فرمى انطيغون بنفسهِ عند رجلي هيرودس . فبعث بهِ الى رومية. وهناك ضُرب عنقهُ * وهكذا انتهت دولة الاشمونيّين المقابيّين التي ابتدأت بيهوذا المقابي ودامت مائة وتسعًا وعشرين سنةً *

(سنة ٣٩٦٤ للخليقة وسنة ٤٠ ق م) - أُقِرَّ هيرودس على مملكة اليهود . فجعل يقلّد وظيفة رئاسة الكهنوت بالتتابع لمن شآء من غلمانهِ * ولمّا بلغ ارسطبولس الذي كان آخِر ولدٍ من

سلالة الملوك الاشمونيّين السنة الثامنة عشرة من عمرهِ. تقلّد هو ايضًا تلك الوظيفة. ولكنهُ لم يلبث ان هيّج حسد هيرودس وظنّانهِ فيهِ *

وحدث انهُ ارتقى ارسطبولس ذات يوم الى المذبح وهو موشّح بالحلّة القدسيّة. فشخصت اليهِ عيون الناس الحاضرين واندهشت بهِ. وقد زادهُ ظرافةً شكلهُ الرائع وشبابهُ الخضل وقدّهُ الرشيق. وكان ايضًا اسمهُ محترمًا من اجل مناقب جدودهِ. فطفق الحاضرون يتشهّدون لبهجتهم بصفق الايادي والتهاليل * فشقّ ذلك علي هيرودس. ونوى ان يهلك ارسطبولس. ولم يسكن حتّى قضى اربهُ بقتلهِ * واهلك هيرودس اميرًا آخر ايضًا من امرآء تلك الذرّيّة اسمهُ هرقان. وكان مُسنًّا قد جاوز الثمانين سنة من العمر *

وفي غضون تلك الايّام تكدّرت راحة هيرودس لسبب الغلبة التي حازها اوغسطس المتسلّط على رومية في محاربتهِ خصمهُ انطونيوس في الوقعة المعروفة بيوم اكتيوم * وذلك انّ اصدقآء هيرودس باجمعهم لا بل أعداءهُ ايضًا رأَوا انّ سقطة هيرودس ستعقب لا محالة سقطة انطونيوس الذي كان ناصرهُ ووليّهُ * فاخذ طريقهُ وقصد بجرآءةٍ اوغسطس المظفَّر. وعوضًا

عن ان يذلّ متضرّعًا اليهِ ومستعطفًا رضاهُ تجلّد واقرّ بما في ضميرهِ لانطونيوس من النُّصح والصداقة. فاستحبَّهُ أوْغسطس واحسن اليهِ وأبقى لهُ التاج. وردَّهُ الى اليهوديَّة مصحوبًا بزيادة الكرامة والسطوة *

ولكنَّ هيرودس لاقى الشقاق والفتنة في داخل بيتهِ نفسهِ * فانَّ أُمَّهُ واختهُ كانتا تُبغضان اشدَّ البُغض مَرْيَمنة الملكة اخت ارسطبولس رئيس الاحبار. فبذلتا كلَّ وسعهما في اعدامها حتّى نجحتا في هذا الأَرَب الاثيّ * وذلك انَّهُ حُكم على مريمنة بالموت. فقُتلت بامر بعلها هيرودس. وقتل هيرودس ايضًا ابْنَيْن لهُ. وسفك دم اخصّ ندمائهِ * ولكنَّ العدل الالهيَّ عاقب هيرودس عقوبة جليَّة على بغيهِ وظلمهِ اللذين جاوزا كلَّ حدّ. فإنَّهُ اعتراهُ داءٌ معضلٌ شديد جدًّا. حتّى صار تنفّسهُ شاقًّا ونَفَسهُ كريه الرائحة * واصابهُ جوع شديد كلبيّ فلم يكن يشبع بشيءٍ. وكان لهُ حرارة مُحرقة تاكل احشاءَهُ وتذيقهُ اوجاعًا اليمة * فلمّا عَلِم أنَّ مدَّتهُ نفدت. لم يندم على ذنوبهِ. بل ارتأى رأيًا شنيعًا. وذلك أنَّهُ امر على اعيان اليهود الساكنين اورشليم ان ينتقلوا مع بيوتهم الى ايريحا. وحدَّ عقوبة الموت على من يتجاوز هذا الامر. وحبس جميع هؤلاءِ الاهلين

في الساحة المعروفة بسباق الخيل. ودعا اختهُ سالومي. وامرها ان تقتل برمي النَّبْل جميع هذا الجمهور حين خروج آخِر نَفَس منهُ * ومات بعيد ذلك. وترك التاج لابنهِ ارخلاوس *

ثمَّ انَّ ارخلاوس بعد ان قضي فريضة التجهيز والتجنيز لابيهِ بإجلالٍ وتعظيم لا مزيد عليهما. انطلق الى باب اوغسطس قيصر ملك رومية. وطلب اليهِ ان يقرُّهُ في المُلْك على اليهود * فلم يُجِبْهُ اوغسطس الى ذلك. ولم يترك لهُ سوى نصف اليهوديَّة. وسمَّاهُ عليها رئيس الامم. وقسم النصف الآخَر بين فيلبُّس وهيرودس انطيباس أَخَوَيْ ارخلاوس *

وبعد زمانٍ وجيز اذ رأى اوغسطس الملك تراكم الشكايات التي رُفعت اليهِ على ارخلاوس لبغيهِ وجورهِ. نفاهُ الى مدينة وَينَّة في ارض غاليا (وهي التي تسمَّى الآن فرنسا). وصيَّر قسم اليهوديَّة الذي كان تحت تدبيرهِ ولايةً روميَّة * ثمَّ انَّ طيباريوس قيصر خليفة اوغسطس قلَّد بيلاطس البنطيَّ سياسة تلك الناحية من اليهوديَّة التي كانت قد صارت ولايةً روميَّة. ومع ذلك لم يزَل هيرودس وفيلبُّس مُقيمَيْن على منزلتهما سائسَيْن كلٌّ منهما بصفة رئيس ربعٍ ذلك القسم الذي وقع في نصيبهِ * وفي عهد هيرودس ظهر للعالم يسوع المسيح

المخلّص الموعود بهِ الجنسُ البشريّ . وفي زمان الامرآء الذين خلفوا هيرودس عاش . ثمَّ قُتل بعد ما أيّد رسالتهُ الالهيّة بمعجزات باهرة . كما سيرد الكلام تفصيلاً في الجزء الثاني من هذه التواريخ المقدّسة *

* تمّت *

* تواريخ العهد القديم *

* وهو الجزء الأوّل *

* وتليهِ تواريخ العهد الجديد وهو *

* الجزء الثاني *

العهد الجديد

الفصل الاوّل

ولادة السيّد يسوع المسيح — سجود المجوس — الهرب الى مصر — قتل الاطفال الابرياء — الرجوع من مصر — وجود يسوع في وسط العلماء — مناداة يوحنّا المعمذان — عماذ المسيح وصومهُ وتجربتهُ — دعوة المسيح للناس — انتخاب الرسل الاثني عشر — الوعظ على الجبل — وفاة يوحنّا المعمذان

انّ الازمنة التي حدّدتها الانبياء كانت قد حانت وانقضت. وآن اوان خروج القضيب من يهوذا وجوازهِ الى يد انسان غريب الجنس اي مجيء المسيح * وكان هيرودس الادوميّ مولدًا يسوس اليهوديّة. والدولة الروميّة التي هي الاخيرة في الدول التي نطق عنها دانيال كانت مستولية على كلّ العالم المعمور. واصبحت المسكونة كلّها قاطبةً في سلام وامان على عهد أوغسطس قيصر * وممّا يستحقّ الاعتبار انّ

الله لنفوذ احكامهِ القدسيّة وفّق قبل ظهور المسيح انقياد الممالك والامم المختلفة لسلطة رئيس واحد . ليسهل أَمر انتشار بشارة الانجيل الطاهر * ففي عهد هذه الدولة الرابعة السابق عنها النبأ في دانيال . ونحو نهاية الاسابيع السبعين السنويّة المسطورة في كتاب هذا النبيّ النجيب ايضًا . جآء الى العالم يسوع المسيح . وجآء في الزمان الذي فيهِ كان جميع الشعوب منتظرين قدوم ملكٍ عظيمٍ مخوف من المشرق على ما كانوا قد استفادوا علمًا واسنادًا من الأَسفار المقدّسة *

كان في عهد هيرودس ملك اليهوديّة في الناصرة (وهي احدى مدن الجليل) فتاةٌ عذرآء وضيعة اسمها مريم من سِبط يهوذا ومن آل داود . والى هذه العذرآء ارسل الله جبرائيل المَلَاك . فدخل البيت الذي كانت فيهِ وقال لها : السلام عليكِ يا مريم الممتلئة نعمةً . مباركةٌ انتِ في النسآء * فاضطربت مريم من كلامهِ . فأَمّنها الملاك قائلاً لها : لا تخافي يا مريم . لانّكِ ظفرتِ بنعمةٍ من عند الله . وستلدين ابنًا وتسمّينهُ إِيشوع او يَسوع (اي المخلّص) . وسيكون عظيمًا . وابنَ العليّ يدعى . ويعطيهِ الله عرش داود ابيهِ . ولمُلْكِهِ لن يكون انقضآء * وقال لها ايضًا : روح القدس سيحلّ عليكِ . وقوّة العليّ تظلّلكِ .

لأَنَّ القدّوس المولود منكِ يُدعى ابنَ الله * قالت مريم : ها انا أَمة الربّ . فليكن لي كقولك * وفي تلك الأيّام صدر امرٌ من أُوْغُسطس قيصر الممالك على الجانب الاعظم من الارض المعروفة في ذلك الزمان أَن يُكْتَتَب جميع اهل ممالكهِ الواسعة . فانطلق الناس جميعاً كلٌّ الى بلدةِ ميلادهِ او قبيلتهِ ليُكتتَب هناك * فانطلقت مريم الى بيت لحم مع يوسف خطّيبها * ولمّا لم يُلفيا محلًّا في المنزل . دخلا اصطبلاً . وهنالك ولدت مريمُ مخلّصَ العالم ابن الله لاربعٍ وعشرين خلونَ من كانون الاوّل من سنة اربع واربعة آلاف من الخليقة[1] . ولفّتهُ بالقمط واضجعتهُ في مذودٍ * وهكذا صحّ كلام النبيّ حيث قال : وانتِ يا بيت لحم ارض يهوذا لستِ الصغرى بين مدن يهوذا . لانّهُ منكِ يخرج الرئيس الذي يدبّر شعبي اسرائيل * وكان حول بيت لحم رعاة متبدّون يحرسون غنمهم . فظهر لهم بغتةً ملاك الربّ وبشّرهم بأنَّ المسيح المنتظَر منذ دهورٍ طويلة قد وُلد . ثمّ قال : وهذه لكم العلامة . انّكم تجدون طفلاً مقمّطاً مُضجعاً في مذود *

(١) اعلم انّ من العلماء من يعدّ اربعة آلاف وتسعمائة وثلاثاً وستّين سنةً من آدم الى المسيح . وهذا الاختلاف انمّا هو ناشئٌ من اختلاف الارقام في نُسَخ التوراة *

ولمّا قال هذا . اذا جمهورٌ من الارواح السماويّة ظهروا واتّفقوا مع الملاك مسبّحين ومباركين الله * فمضى الرعاة الى بيت لحم . وانفوا هناك مريم ويوسف والطفل يسوع مضجعًا في مذود * ثمّ انّ ولادة المسيح بُشّر بها ايضًا في المشرق بنجمةٍ عجيبة تراءت للمجوس وهم قوم ماهرون في علوم الفلك والحكمة . وكان من اعتقادهم والاحاديث المتواترة عندهم انّ نبيًّا تنبّأ بان سيظهر كوكبٌ ويبشّر بولادة المخلّص ملك اليهود * فلمّا شاهدوا الكوكب . لم يرتابوا في انّ الملك المقصود قد وُلد . فاهتدوا بذلك النجم حتّى اتوا بيت لحم . وخرّوا قُدّام الصبيّ يسوع ساجدين له . ثمّ فتحوا كنوزهم وقدّموا لهُ هدايا ذهبًا ولبانًا ومرًّا *

وفي اليوم الاربعين بعد ولادة يسوع مضى مريم ويوسف الى هيكل اورشليم ليقرّباهُ للربّ ويُصعِدا عنهُ القربان المرسوم بسُنّة موسى * وكان في تلك الساعة في الهيكل رجلٌ بارٌّ اسمهُ شمعون . وكان هذا منذ زمانٍ طويل يتشوّق الى مجيء المخلّص * فاذ شاهد يوسف ومريم داخلَين . أُوحي اليهِ باطنًا من روح القدس بانّ هذا الطفل الوضيع هو المسيح * ومن ساعتهِ حملهُ على ذراعيهِ . وبارك الله قائلاً : الآن يا ربُّ اطلق عبدك ليموت بسلام على ما قلت . لانّ عينيَّ قد ابصرتا

المخلّص الذي اعطيتهُ نورًا للامم ومجدًا لشعبك أسرائيل *

وفي اثناء ذلك بلغ الى هيرودس قدوم المجوس ومقصدهم . فاضطرب . ولاسيَّما اذ سمع ما كان من الآيات البديعة المصنوعة في شان الطفل يسوع . وخَشِيَ منهُ ان يقوم يومًا وينازعهُ المملكة * فجزم ان يهلكهُ . وامر ان يُقتَل جميع الاطفال الذين في بيت لحم وفي كلّ تخومها من ابن سنتين فما دون * ولكنّ هذه القساوة لم تُجْدِهِ نفعًا . فانّ يوسف ظهر لهُ مَلَكٌ في الحُلم واعلمهُ في الحال . فهرب الى مصر مع الصبيّ وأمّهِ *

واذ مات هيرودس . ظهر ملاك الربّ ليوسف في مصر . وامرهُ ان يرجع الى ارض اسرائيل * فانطلقت العائلة المقدّسة الى الناصرة . وهناك عاش يسوع عيشًا فقريًا في اهلهِ * وقال الانجيل المقدّس : انّ يسوع كان ينمو بالنعمة والقامة عند الله والناس *

ولم يَرِدْ في الانجيل عن صباء المسيح الاّ خبرٌ واحد * وذلك انّ ابويهِ يوسف ومريم كانا ينطلقان كلّ سنة من الناصرة الى اورشليم في موسم الفصح لقضاء ذلك العيد . وكانت الناصرة على مسافة نحو ثلاثين ساعةً عن اورشليم * فلمّا كان يسوع في عمر اثنتي عشرة سنة . مضيا كالعادة ومعهما يسوع .

وبعد انقضاءَ ايّام العيد اخذا في الرجوع * فطلبا يسوع في الطريق فلم يجداهُ . فلم يزالا في قلق عظيم وهما يجولان عليهِ . حتّى عادا ودخلا الهيكل . فلقياهُ هناك في وسط العلماءَ والكَتَبَة يصغون اليهِ بدهشة وهو يتكلّم * فتشكّت امّهُ من هذا افتراقهِ عنهما . فقال لها برفقٍ : لماذا كنتما تطلباني . الم تعلما انّهُ ينبغي لي ان اكون في ما لابي * فلم يفهما الكلام الذي قالهُ لهما * ثمَّ نزل معهما واتى الناصرة . وهناك عاش عيشةً دنيّة خاضعًا لهما الى السنة الثلاثين من عمرهِ *

وقبل مولد يسوع المسيح بأشهر كانت اليشباع خالة مريم قد وَلَدت ابنًا وسمّوهُ يوحنّا * هذا ارسلهُ الله ليكون ساعيًا قُدَّام المسيح . اي بشيرًا اليهود بمجيئهِ . وعاش في القفر الى اليوم الذي فيهِ باشر رسالتهُ * وفي السنة الخامسة عشرة لمُلك طيباريوس قيصر الذي جلس بعد اوغسطس . اذ كان بيلاطس البنطيّ والي اليهوديّة . اتى الى شاطئ الاردنّ هذا يوحنّا الملقَّب بالمعمدان . لانّهُ كان يُعمِّذ . وصار يكرز بالتوبة ويعمّذ بالماءَ جميع المقبلين لاستماع كلمتهِ * وكان يقول لهم : انا اعمّذكم بالماءَ . ولكنْ في وسطكم قائمٌ واحدٌ لستم تعرفونهُ . وهو الذي ياتي بعدي وكان قبلي . هو يعمّذكم بروح القدس . وهو اعظم

منّي لانّي لا استحقّ ان احلّ سيور حذائهِ * واقبل الي يوحنّا يسوع المسيح ايضًا واراد ان يعتمد منهُ . فجعل يوحنّا يتمنّع قائلاً : انا واجب عليّ ان اعتمد منك . وكيف تاتي انت اليّ * فلم يزَلْ بهِ يسوع حتّى اذعن وعمّدهُ * وفي ساعة خروج يسوع من ماء الاردنّ وقد اعتمد . انفتحت السموات ونزل عليهِ روح القدس بهيئة حمامة . وسُمع صوتٌ من السماء يقول : انت ابني الحبيب . بك سُررتُ * تأمّل انهُ بهذا الوجه وفي ذلك الوقت اي في معموديّة المسيح كان استعلان اقانيم الثالوث الاقدس الثلاثة الآب والابن وروح القدس . كما رايتَ *

وبعدما اعتمد المسيح . انفرد في البرّيّة . وهناك صام اربعين يومًا بلياليها متهيّئًا بذلك للرسالة التي كان لهُ ان يقوم بها على الارض * حينئذٍ دنا منهُ الشيطان وحاول في دفعتين ان يجرّبهُ . فلم يُفلح في كيدهِ . ثمّ مضى بهِ الى جبلٍ عالٍ واراهُ جميع ممالك الدنيا وقال لهُ : انّي معطيك هذه الاشياء باجمعها . ان خررت لي ساجدًا * قال يسوع : اذهب عنّي يا شيطان . لانّهُ مكتوب : للربّ الهك تسجد . واياهُ وحدهُ تعبد * حينئذٍ ولّى الشيطان وتركهُ . واذا الملائكة اقبلوا الى يسوع وصاروا يخدمونهُ *

ثمّ نشم المسيح في الوعظ والدعوة. وكان قد دخل السنة الثلاثين من عمرهِ. فطاف ارض اليهوديّة مُعلنًا حكمتهُ وقدرتهُ بسموّ تعليمهِ وقداسة سيرتهِ. وبالآيات البديعة التي كان يصنع * ورسم هو بنفسهِ لرسلهِ ولتلاميذهِ قواعد في الامور الواجب عليهم الايمان والعمل بها. وعلّم الجميع محبّة الله والقريب والصفح عن السيّئات واحتقار الاشياء الدنيويّة * وكان يعلّمهم أنّ آمالهم لا ينبغي ان تكون مقصورة على هذه الارض. وانّهُ يقتضي لنوال الحيوة الابديّة ان يُعبَد الله وتُعمَل التوبة * وبهذه الصورة نجز الوعد الذي وُعد بهِ الانسان الاوّل والانبياء القدماء * وختم المسيح رسالتهُ الالهيّة باستعدادهِ للموت على الصليب *

وفي زمان يسير صار ليسوع المسيح عددٌ غفير من التلاميذ * وحضر يومًا مع بعض تلاميذهِ وامّهِ عرسًا كان في قانا الجليل. فأعوزهم الخمر. فأمر يسوع أن يملأُوا ستّ اجاجين كبار كانت هناك ماءً . فلمّا أترعوها . حوّل ذلك الماء الى خمر. وكانت تلك اوّل معجزة اصطنعها السيّد المسيح *

ومرّةً اخرى كان على ساحل بحيرة جنّاشار. ورأى سفينتين موقوفتين على الشاطئ . وكان بعض الصيّادين قد

انحدروا اليها ليغسلوا شباكهم. فركب احداها وكانت لشمعون بن يونا. وشرع يعظ الشعب منها. ثُمَّ قال لشمعون: ابعد الى العمق. والقِ شبكتك وتصيَّد * فقال لهُ شمعون: يا معلّم. قد تعبنا الليل كلَّهُ ولم ناخذ شيئًا. ولكن على كلمتك القي الشبكة * ولمَّا فعل ذلك هو ورفقاؤُهُ. امسكوا سمكًا كثيرًا جدًّا. حتّى كادت شبكتهم تتمزّق. فأَشاروا الى شركائهم الذين في السفينة الاخرى ان يأتوا ليساعدوهم * فاخذت الدهشة شمعون والذين معهُ من هذا الصيد العجيب. ولمّا جاءُوا بالسفينتين الى الشاطئ. تركوا كلَّ شيء وتبعوا يسوع *

ومرّة اخرى اذ كان يسوع قريبًا من الدخول الى مدينة من الجليل. ابرأ ابرص كان قد جثا قدّامهُ واكبَّ بوجههِ على الارض قائلاً: يا ربّ ان شئت فانت قادر ان تبرئني * وفي كفر ناحوم جيءَ اليهِ بمفلوج مطروح على فراش. فقال لهُ يسوع: قم وادخل بيتك. ولساعتهِ قام المفلوج ومشى * فلمّا رأَى الخَلْق هذه الآيات. اخذتهم الرهبة واسدوا المجد لله *

وفي ذلك الزمان اعتزل المسيح في جبل وبات الليل كلّهُ مصلّياً. واذ اصبح. دعا تلامذتهُ. وانتقى منهم اثني عشر

من أكْثَرِهِم فقرًا وتواضعًا . وسمّاهم رسلاً . وهم شمعون الذي سمّاهُ كيفا (١) . واندراوس اخوهُ . ويعقوب بن زبدى . ويوحنّا اخوهُ . وفيلبّس . وبرثلمي . وتوما . ومتّى . وسمعان . ويهوذا . ويعقوب بن حلفي . ويهوذا الاسخريوطيّ الذي اخذ مكانهُ ماثيا * هؤلآء فوّض اليهم يسوع المناداة بالانجيل في العالم اجمع والسلطانَ لعمل المعجزات قائلاً لهم : ها انا مرسلكم كالخراف بين الذئاب . وسيبغضكم العالم من اجل اسمي . فمن يعترف بي قدّام الناس . اعترف انا ايضاً بهِ قدّام ابي الذي في السموات *

وكان جمهور عظيم من الناس يتبع يسوع اينما كان ليسمعهُ * فجلس يوماً على جبل وحولهُ تلاميذهُ . وشرع يكلّمهم كلاماً طويلاً يتضمّن اجلّ قواعد السيرة المسيحيّة . ومن جملة ذلك هذه الاقوال وهي : طوبى للمساكين بالروح فانّ لهم ملكوت السموات . طوبى للحزانى لانّهم سيتعزّون . طوبى للمتواضعين لانّهم سيرثون الارض . طوبى للجياع والعطاش للبرّ لانّهم سيشبعون . طوبى للرحماء لانهم سيُرحمون . طوبى لانقياء القلب لانّهم سيعاينون الله . طوبى لصانعي السّلام لانّهم ابناء الله

(١) كيفا لفظة سريانيّة معناها الصخرة او الصفا . وفي اليونانيّة الصخرة يقال لها بطرس . ولذلك يقال لشمعون الصفا بطرس *

يدْعَوْن . طوبى المطرودين من اجل البرّ لانّ لهم ملكوت السموات . طوباكم اذا عيّروكم وطردوكم وقالوا عليكم كلَّ كلمة سوءٍ من اجلي كاذبين . افرحوا وتهلّلوا فانّ اجركم عظيم في السموات * وكان يقول لهم : احبّوا الربّ الهكم بكلّ قلوبكم وبكلّ انفسكم وبكلّ قوّتكم . واحبّوا قريبكم مثل انفسكم . واحبّوا ايضًا اعداءكم . واحسنوا الى مبغضيكم . وصلّوا على الذين يطردونكم ويظلمونكم . لكي تكونوا ابناء ابيكم السماويّ . فانّه يُشرق شمسهُ على الأبرار والاشرار *

وفي أَثناءِ ذلك لم يزَل يسوع المَسيح يصنع المعجزات . فاحيا ابن ارملة من مدينة نائين محمولًا الى القبر * وذلك انّهُ دنا من امّهِ وقال لها : كفّي عن البكاء . ومسّ النعش وامر الميّت ان ينهض * فنهض الصبيّ لساعتهِ . فدفعهُ الى امّهِ * فأخذ جميعَ الحاضرين الخوف . وطفقوا يمجّدون الله قائلين : لقد ظهر فينا نبيّ عظيم . وقد افتقد الله شعبهُ *

واذ نظر يسوع الى كثرة الجمع المحيط بهِ . اوصى تلاميذهُ ان يجتازوا وايّاهُ الى عبر بحيرة جنّاشار . ووفق اذ ذاك ان تهيج ريحٌ عاصف شديدة فيما هو نائم . فخاف التلاميذ من هيجان الامواج المتلاطمة حتّى اسرعوا وايقظوا يسوع . فبكّتهم

يسوع على جبانتهم . ونهض حالاً وانتهر الرياح والامواج .
فسكنت وهدأت * فاندهشوا مندهلين وقالوا : من هو هذا .
فانّ الرياح والامواج جميعاً تطيعهُ * وبُعيد ذلك وافاهُ رجل اسمهُ
يوارش . وكان رئيس المجمع عند اليهود . وخرّ لهُ ساجداً وقائلاً :
يا ربّ . انّ ابنتي مناهزة الموت . ولكن ان انت وضعت يدك
عليها . تحيا * فذهب يسوع ومعهُ تلاميذهُ في الحال الى البيت .
واخرج من البيت كلّ الجماعة التي كانت داخلاً . وامسك
الفتاة بيدها . فقامت من ساعتها متعافيةً * وبعد ذلك بقليل
كان يسوع في بيت سمعان الفرّيسيّ . واذا امراةٌ اسمها مريم المجدليّة
كانت شهيرة بالفضاحة . اتت ووقعت على قدميهِ . وصارت
تبلّها بدموعها وتدهنها بالطيب . وتمسحها بشعر راسها * فافتكر
الفرّيسيّ قائلاً : لو كان هذا نبيًّا . لعلم مَن هذه المرأة التي
تلمسهُ . وانّها خاطِئة عاهرة * فاطّلع يسوع الاهيًّا على فكر
سمعان . وقال لهُ : يا سمعان . كان لرجل غريمان . على الواحد
خمسماية دينار . وعلى الآخَر خمسون ديناراً . واذ لم يكن لهما
ما يوفيان وهب لهما جميعاً . فقل لي ايّهما يكون اكثر حبًّا لهُ *
فاجاب سمعان وقال : اظنّ الذي وَهب لهُ اكثر . فقال لهُ :
بالصواب حكمت * ثمَّ قال : انتظر هذه المرأة . انّي دخلتُ بيتك .

وانت لم تسكب ماءً على رجليَّ. واما هذه فغسلت رجليَّ بالدموع ومسحتهما بشعر راسها * ثمَّ انت قبلةً لم تقبلني. واما هذه فمنذ دَخَلْتُ لم تكفف من تقبيل رجليَّ * ثمَّ انت لم تدهن راسي ولو بزيت. واما هذه فدهنت رجليَّ بالطيب * من اجل ذلك اقول لك: انَّهُ قد غُفِرت لها خطاياها الكثيرة * ثُمَّ التفت الى المرأة وقال لها: اذهبي بسلام. ايمانكِ خلّصكِ *

ونحو ذلك الزمان حدث قتل يوحنّا المعمذان. فانَّهُ كان قد أُلقي في السجن بامر هيرودس انطيباس رئيس الربع الذي كان قد سخط عليهِ لتوبيخهِ اياهُ على معاصيهِ وآثامهِ الخفية * فصنع هيرودس يوم عيد ميلادهِ وليمة فاخرة. فدخلت ابنة هيروديّة زوجة اخيهِ ورقصت في حضور الجماعة. فانشغف هيرودس بحبّها. وأقسم انَّهُ يعطيها من ساعتها مهما طلبت * فتلقّنت من امّها (وكانت امّها حافظة حقدًا شديدًا على يوحنّا المعمذان) وطلبت هامة يوحنّا المعمذان من هيرودس * فارسل الملك سيّافًا وأمرهُ ان ياتيهُ برأسهِ. فذهب السيّاف وقطع راسهُ في السجن. وحملهُ على طبق ودفعهُ الى هيروديّة الفاجرة الظالمة * وجاء تلاميذ يوحنّا فرفعوا جثّتهُ ووضعوها في قبر *

الفصل الثاني

آية تكثير الارغفة — الوعد بالاوخرستيا — تجلّي يسوع المسيح — امثال الغنيّ الشرير والابن الشاطر والراعي الصالح — شفاء البُرْص العشرة — انبعاث لِعازر — الدسائس والمؤامرات على يسوع المسيح ودخولهُ المجيد الى اورشليم

كان يسوع المسيح قد انصرف منفردًا في موضع خلآءٍ بقرب بيت صيدا ابتغاء الاستراحة مصحوبًا برسلهِ. الاّ انّهُ تبعهُ جموع كثيرة من الناس ليسمعوا كلمتهُ * وكان عددهم نحو خمسة آلاف رجل. ولم يكن لأحد منهم شيءٌ من المآكل. وكان المكان مقفرًا. ولم يوجد عند التلاميذ من طعام سوى خمسة ارغفة شعير وقليل من سمك دقيق * فاجلس يسوع الناس. ورفع عينيهِ الى السمآء. وبارك الارغفة واعطاهـــا لتلاميذهِ فوزّعوها على الجماعة. وتكاثرت تلك الارغفة القليلة بطريق المعجزة وهي في ايديهم. حتّى انّهُ بعد ان اكلوا منها كلّهم وشبعوا

جمعوا الكِسَر الفاضلة بأمر يسوع . فكانت تنيف على سبع قفاف كبار * فبُهت الجمع جدًّا . وارادوا ان يمسكوا يسوع ويقيموهُ ملكًا عليهم . الاّ انّهُ لمّا كان ناويًا ان يموت بارادتهِ . هرب منهم وانصرف منفردًا في الجبل *

وحدثَ في أثنآء ذلك انّ تلامذتهُ صعدوا الى سفينة ليجتازوا الى عبر بُحَيرة طبريّة . فهاجت عليهم ريح عاصفة . واضطربت امواج البحر . فتوجّه يسوع اليهم ماشيًا على سطح المياه كما على اليبس * فارتعبوا وظنّوا انّهم يشاهدون خيالاً . وصرخوا بصوتٍ عالٍ . فأمّنهم يسوع المسيح بكلامهِ . واوعز الى بطرس ان ياتي اليهِ * فانحدر بطرس من السفينة بكلّ ثقة وتمشّى على المياه . فخاف من شدّة الريح وكاد يغرق . فصاح : يا ربّ خلّصني * فبسط يسوع يدهُ وأَسندهُ قائلاً : يا قليل الايمان ما بالك شككت . ودخل كلاهما السفينة * وقدموا الى الشاطئ . فدنا من يسوع الذين هناك وخرّوا لهُ سُجّدًا قائلين : انّك ابن الله حقًّا *

وقَدِم الى يسوع من كفر ناحوم جَمٌّ غفير من الذين فاتهم باية تكثير الخبز . فقال لهم : انكّم لستم تطلبونني من اجل الآيات التي عاينتموها . بل من اجل انّي اعطيتكم الخبز فأكلتم

وشبعتم. فاجتهدوا واسعوا لا في الطعام الذي يفنى. لكن في الطعام الذي يبقى الى الحيوة الابديّة. الطعام الذي سوف يعطيكموهُ ابن الانسان * من ياكل جسدي ويشرب دمي. يثبت فيّ وانا فيهِ. ولهُ حياة الابد. وانا اقيمهُ في اليوم الاخير. لانَّ جسدي هو مأكل حقّ ودمي مشرب حقّ *

وبعد ما طاف يسوع الجليل كلّهُ. تخلّى عن الذهاب الى اليهوديّة. لانّ اليهود كانوا يلتمسون قتلهُ. فانطلق الى نواحي صور وصيدا. وهناك صنع معجزات جديدة * واذا امرأة كنعانيّة وافت اليهِ صارخةً وقائلةً: انَّ ابنتي قد مسكها شيطان. فارحمها وارحمني * فلم يجِب يسوع في اوّل الامر الى سؤالها لانّها وثنيّة من الامم. فلم تزَل تلجّ معترفةً انّ اليهود هم الأرباب لانّهم بنو الآله الحقّ. وأنَّ مثلها هو مثَل العبيد بل الكلاب التي تاكل من الفتات. فاجاب الربّ الى طلبتها مكافأةً لايمانها هذا *

ولمّا اتى الى نواحي قيصريّة فيلبس. سأل تلاميذهُ قائلاً: ماذا تقول الناس عنّي * فقالوا: يا ربّ. من قائلٍ انّك يوحنّا المعمدان. ومن زاعمٍ انّك ايليّاء او ارمياء * واجاب الصفا اي شمعون بطرس وحدهُ بغير توقّف وقال: يا ربّ.

انت المسيح ابن الله الحيّ * فوعدهُ يسوع بانّهُ سوف يصير يوماً رأس كنيستهِ . قائلاً لهُ : انت كيفا اي صخرة . وعلى هذه الصخرة سأبني بيعتي . وابواب الجحيم لن تقهرها . وسأعطيك مفاتيح ملكوت السموات . ومهما ربطتهُ على الارض يكون مربوطاً في السمآء . ومهما حللتهُ على الارض يكون محلولاً في السمآء * وهكذا قرّر المسيح لشمعون الصفا الطوباويّ الرئاسة العليا على البيعة كلّها * ومن ذلك تُستلزَم الرئاسة لخلفآئهِ الجالسين على كرسيّهِ . وهم احبار روميّة الذين على يدهم وبشخصهم قائمةٌ وحدَة ايمان المسيح والنصرانيّة *

وبعد ايّام قلائل طلع يسوع جبلاً عاليًا مع ثلاثة من تلامذتهِ وهم بطرس ويعقوب ويوحنّا . وشرع يصلّي . واذا بوجههِ بدا لامعًا كالشمس وثيابهُ بيضاً كالثلج . وظهر ايليّآء وموسى يخاطبانهِ . وخرج صوت من داخل سحابةٍ نيّرةٍ يقول : هذا هو ابني الحبيب الذي بهِ سُررتُ . ايّاهُ اسمعوا * فوقع التلاميذ الثلاثة بوجوههم على الارض . ثمّ رفعوا اعينهم فلم يروا الاّ يسوع وحدهُ * وعند انحدارهم من الجبل نهاهم يسوع ان يحدّثوا بهذا التجلّي حتّى ينبعث ابنُ الانسان من بين الاموات * وكان مراد السيّد المسيح أن يجعل تعاليمهُ جليّة

للحسّ سهلة المأخذ لتلاميذهِ وللجمع الذي يستمعهُ بشوق . فأخذ يُطالعهم على حقائق جليلة دقيقة بأَمثالٍ بديعة * ومن جملة ذلك قال لهم ذات يوم: كان رجلٌ غنيٌّ يلبس البرفير والبوص . وهو يتنعّم كلَّ يوم بالترفّه * وكان مسكين اسمهُ لعازر . وكان مطروحاً عند بابهِ مضروباً بالقروح . وكان يشتهي ان يشبع من الفتات الذي يسقط من مائدة الغنيّ . فلم يعطِهِ احد . وكانت الكلاب تاتي وتلحس قروحهُ * ثمّ انّهُ مات المسكين . فاخذتهُ الملائكة الى حضن ابرهيم . ومات الغنيّ ايضاً وقُبر * فرفع عينيهِ في الجحيم وهو في العذاب . فنظر ابرهيم من بعيد ولعازر في حضنهِ . فنادى وقال : يا ابتِ ابراهيم ارحمني وارسل لعازر ليبلّ طرف اصبعهِ بماء ويبرّد لساني . لانّي معذَّبٌ في هذا اللهيب * فقال لهُ ابراهيم : يا بنيُّ اذكر انّك قد استوفيت الخيرات والتنعّمات في حياتك . وكذا لعازر اصابهُ البلايا . والآن فهو في التنعّم وانت في العذاب * قال الغنيّ : اذن اسألك يا ابتِ ان ترسلهُ الى بيت ابي . فانّ لي خمسة اخوة حتّى يشهد لهم لئلاّ ياتوا هم ايضاً الى هذا موضع العذاب * قال ابراهيم : عندهم موسى والانبياء فليسمعوا منهم : وان كانوا لا يسمعون منهم . فلا يصدّقون ايضاً

إنْ قام احدُ الاموات * ومن هذا المثل يتّضح ما الذي يكون يومًا من الاغنياء الذين لا رحمة لهم والكفّار المتصلّبة قلوبهم بالعمى الذين على الآيات الباهرة نفسها لا يؤمنون *

ومرّةً اخرى اراد المسيح ان يبيّن انّ الله مستعد ليقبل الخاطئ متى تاب. فضرب لهم مثلاً وقال: كان لرجل ابنان. فاخذ اصغرهما حصّتهُ من ميراث ابيهِ. وسافر الى بلدةٍ بعيدة. وهناك بدّد جميع مالهِ بالإسراف الى ان امسى محتاجًا في اعسر حال * وحدثت مجاعة شديدة في تلك الارض. فالتصق برئيسٍ ضيعة. فجعلهُ يرعى خنازير لهُ * ثمّ استحوذ عليهِ الخجل من ذلك. واجهدهُ نخس ضميرهِ. فأخذ يقول في نفسهِ وهو يتنفّس الصعداء: واويلاهُ. كم من اجير لابي يفضل عنهم الخبز. وانا هاهنا اهلك جوعًا وانازع هذه البهائم الدنيّة طعامها * واذ لم يمكنهُ ان يتحمّل هذه العيشة الشقيّة اكثر. قال في نفسهِ: اقوم واذهب الى ابي واقول لهُ: يا ابتِ اخطأتُ الى السماء وقدّامك. ولستُ مستحقًّا بعد ان أُدعى لك ابنًا. فاحسبني كاحد اجرائك * قال هذا وقام ورجع الى بيت ابيهِ. واذ هو غير بعيد. لمحهُ ابوهُ. فاسرع للقائهِ وقبّلهُ * فاخذ الغلام يقول لابيهِ بقلبٍ نادمٍ ذليلٍ. اخطأتُ الى السماء وقدّامك. ولستُ مستحقًّا ان أُدعى

لك ابنًا * فأمر ابوهُ عبيدهُ ان ياتوا بالحلّة الاولى ويلبسوهُ. ويهيّئوا وليمة الفرح من اجل هذه العودة التي لم تكن في الامل. وقال: انّ ابني كان ميتًا فعاش. وضالاًّ فوُجد * فيالهُ من مثال بديع لرحمة الله وشفقتهِ على الخطاة التائبين *

ثمّ انّ المسيح قال يومًا للفرّيسيّين: انا هو الراعي الصالح. والراعي الصالح يبذل نفسهُ عن خرافهِ. ولكنّ الاجير الذي ليس براعٍ وليست الخراف لهُ اذا رأى الذيب مقبلاً. يترك الغنم ويهرب. فيخطف الذيب القطيع ويبدّدهُ. وانّما الاجير يهرب لانّهُ مستاجَر. ولا يعنيهِ امر الخراف * امّا انا فانّي الراعي الصالح. وانا عارف بغنمي. وغنمي تعرفني. كما انّ الآب يعرفني وانا اعرف الآب. وانا ابذل حياتي عن خرافي * ولي خراف أخرى ليست من هذا القطيع. ينبغي ان آتي بها ايضًا. فتسمع صوتي. وتكون الرعيّة واحدةً والراعي واحدًا * انظر انّ السيّد المسيح انبأ بهذا الكلام عن اهتداء الامم وقبولهم الايمان وانتظامهم في النصرانيّة *

ثمّ انّ يسوع اذ كان يطوف اليهوديّة. استقبلهُ عَشَرة بُرصٍ عند مدخل مدينة السامرة. فلبثوا واقفين على بُعدٍ إجلالاً لهُ. وهم يتضرّعون ان يترحّم عليهم ويطهّرهم من اوصابهم *

فاجابهم يسوع قائلاً : اذهبوا وأَروا انفسكم للكهنة . وقدّموا لهم قربانكم على ما في الناموس * فاطاعوا لساعتهم. وللوقت برِئُوا * ولم يرجع منهم الى يسوع الاّ واحد. فسجد لهُ ومجّد الله بصوت عالٍ واجهر الشكران وتخشّع . والباقون كفروا بالاحسان ولم يشكروا * فلمّا بلغ الفرّيسيّين أمر هذا الشفآء . كادوا لهُ مكيـدة . لانّهم كانوا يبغضونهُ لتوبيخهِ ايّاهم على ريآئهم * فاتوا اليهِ بامرأة قد ارتكبت الفحشآء قائلين في نفوسهم : ان اوجب الموت عليها . نشيّع عنهُ انهُ متشدّد المذهب مفرّط . وَان صفح عنها . نشجبهُ بسُنّة موسى * فعلم المسيح بخبثهم ومكيدتهم . ولم يجِبهم الاّ بقولهِ : مَن كان منكم بلا خطيّة . فليرجمها بحجَرٍ اوّلاً * فخرج الفرّيسيّون واحدًا فواحدًا . وبقي يسوع وحدهُ والمرأة واقفة في الوسَط . فأطلقها بسلام . واوصاها ان لا تعود تخطئ ايضاً *

وذات يومٍ قدّموا الى يسوع صبيانًا صغارًا ليبارك عليهم . فانتهر تلاميذهُ حامليهم * فقال لهم يسوع : دعوا الصبيان الصغار ياتوا اليّ . لانّ ملكوت السمآء هو لمن كان مثل الصبيان في سلامة القلب والوداعة . ثمّ اعتنقهم ووضع يديـهِ عليهم وباركهم * وبعد ذلك صادف رجلاً اعمى من مولدهِ . فجبل قليلاً من طين بريقهِ وطلى عينيهِ . وارسلهُ الى بِركة شيلوحا

ليغتسل . ففعل الاعمى كما اوصاهُ . فرجع اليهِ البصر*
واشرف آية صنعها يسوع المسيح وزادت اعداءَهُ حسدًا لهُ وحقدًا عليهِ هي احياءُ لعازر* كان لعازر قد وقع مريضًا في بيت عنيا . فارسلت اختاهُ مرتا ومريم واخبرتا يسوع وسألتاهُ ان يشفي بقدرتهِ الفائقة اخاهما . فقال يسوع : انّ هذه المرضة ستزيد مجد الله لميعًا * ولمّا قال هذا . مكث في موضعهِ . حتّى بلغهُ خبر موت لعازر . فقام وانطلق مع تلاميذهِ الى بيت عنيا . ولم يلتفت الى قول رسلهِ الجبناءِ الذين كانوا يحثّونهُ ان لا يعرّض بنفسهِ لأعدائهِ المترقّبين ان يقبضوا عليهِ * وكان للعازر اربعة ايّام وهو في القبر * فخرجت مرتا للقاءِ المسيح . وقالت : يا ربُّ لو كنت هاهنا . لم يمُت اخي . قال يسوع : سيقوم اخوكِ * قالت لهُ مرتا : انا اعلم انّهُ سيقوم في اليوم الاخير * قال يسوع : انا هو القيامة والحيوة . مَن يومن بي وان مات . فسوف يحيا ولا يموت ايضًا ابدًا . اتومنين بهذا * قالت : نعم يا ربّ . انا آمنتُ أنك انت المسيح ابن الله الحيّ الآتي الى العالم * ولمّا قالت مرتا هذا . مضت ودعت اختها وقالت لها : المعلّم قد حضر وهو يدعوكِ * فجاءَت مريم وسجدت عند قدمي يسوع باكيةً . فرقّ قلبهُ ودَمع * ثمّ انطلق معهم الى القبر . ورفع عينيهِ الى السماءِ وقال : يا ابتاه

اشكرك لانّك استجبت لي. فانّي عالم انّك تستجيب لي دائمًا. ولكنّي اقول ذلك من اجل هؤلآء الناس الذين حولي ليؤمنوا انّك انت ارسلتني * ولمّا قال هذا. صاح بصوت عظيم وقال: لعازر اخرج من القبر. فخرج الميت من ساعتهِ قائمًا منتصبًا ورجلاهُ ويداهُ مربوطة ووجههُ ملفوف بمنديل. وقد رُدّت اليهِ الحيوة بكمالها *

وشاهد هذه المعجزة جمٌّ غفير من اليهود. فآمنوا بالمسيح * ولكنّ الكهنة والفرّيسيّين لمّا بلغهم ذلك. تآمروا وقالوا: هذا الرجل يصنع كثيرًا من الآيات. فان تركناهُ هكذا. يُؤمن الجميع بهِ. فياتي الرُّوم وياخذون مكاننا واُمّتنا * ومن ذلك اليوم جزموا ان يقتلوهُ *

وعند ذلك دنا عيد الفصح. فتوجّه يسوع بتلامذتهِ نحو اورشليم. وفي أثنآء الطريق قال لهم: اعلموا انّهُ قد دنت الساعة التي فيها يُسلَّم ابن الانسان الى رؤسآء الكهنة والكتبة. فيقضون عليهِ بالموت ويصلبونهُ. وفي اليوم الثالث يقوم * فلم يفهموا شيئًا من هذا الكلام *

وكانت المعجزة التي صنعها المسيح بإحيآء لعازر قد بثّت سمعتهُ وعظّمت شهرتهُ. فانّ الذين قد شهدوها كانوا يذيعونها

في كلّ مكان * ولمّا علم العامّة انهُ مقبلٌ الى اورشليم. خرجوا للقائهِ. وشرع بعضهم يفرشون ثيابهم على ممرّهِ. وبعضهم يقطعون سعف النخل وأَغصان الزيتون وينشرونها على الطريق وهم يصيحون: اوشعنا لابن داود. مباركٌ الآتي باسم الرب * وركب يسوع اتانًا ليصحّ نبوّة زكرياء حيث قال: بشّروا بنت صهيون: هوذا ملككِ ياتيكِ وديعًا راكبًا اتانًا وجحشًا عفو اتانٍ * واوّل ما وقعت اورشليم تحت نظر المسيح. بكى عليها وتأَسَّف. اذ فكر سبحانهُ بالنكبات التي كانت قريبة ان تلمّ بها. فقال: ستاتي ايّامٌ فيها يحيط بكِ اعدآؤكِ بمتراس. ويحدقون بكِ ويحاصرونكِ من كلّ جهة. ويهدمونكِ وبنيكِ فيكِ. ولا يتركون فيكِ حجرًا على حجر. لانّكِ لم تعرفي يوم افتقادكِ * ودخل اولاً المسيح الهيكل. فدنا منهُ عُميٌ وعُرجٌ. فأَبرأَهم * ثمّ لاحظ واذا الموضع المقدّس قد استحال الى سوق فيهِ باعة ومُرابون وصيارفة جلوسٌ. فأَخذتهُ حميّة الاهيّة. واتّقد بغيرة قدسيّة. فقلّب موائد الصيارفة وكراسيَّ باعة الحمام. وصاح قائلاً: انّما بيت الله هو بيت الصلوة. وانتم جعلتموهُ مغارة لصوص *

ولمّا شاهد الفرّيسيّون ما كان يسوع يصيبهُ من الإِكرام والتعظيم. حنقوا عليهِ واحترقوا حسدًا. فنووا من جديدٍ ان

يفرغوا كلّ وسعهم في هلاكهِ *

الفصل الثالث

بدء آلام المسيح — العشآء الاخير — رسم الاوخرستيا — خيانة يهوذا — موت المسيح على الصليب

انّ يسوع المسيح بعد دخولهِ اورشليم مظفّرًا جرى لهُ محاورات شتّى مع رؤسآء الكهنة والفقهآء وشيوخ الشعب الذين لم يزالوا لابثين في نيّاتهم الخبيثة * وانبأهم يسوع برذل امّة اليهود واهتدآء الامم بمثَلين عجيبين. اوّلهما مَثَل الكرّامين وربِّ البيت . وثانيهما مثل وليمة العرس * وفي أثنآء ذلك كان يعلّم تلاميذهُ الطاعة للرؤسآء الدنيويّين . ويوصيهم ان يؤدّوا لقيصر ما هو لقيصر من دون ان يهملوا ان يؤدّوا للّه ما هو للّه . وكان يخزي الزنادقة والفرّيسيّين مبيّنًا سخافة مذاهبهما *

ولمّا لاح عيد الفصْح . جمع المسيح رسلهُ لياكل معهم الخروف الفصحيّ . وقبل الاكل غسّل اقدامهم ونشّفها . وقال

لهم: مثالاً اعطيتكم لكي تفعلوا انتم بأجمعكم بعضكم مع بعضٍ كما صنعتُ انا *

ثمّ جلس على المائدة في ظهرانَيْهم المرّة الاخيرة * وفيما هم ياكلون. تناول خبزًا وبارك وكسر. وناول تلاميذهُ قائلاً: خذوا كلوا هذا هو جسدي * ثُمَّ اخذ الكاس وفيها خمر. وشكر وناولهم قائلاً: اشربوا منها باجمعكم. لانّ هذا هو دمي دم العهد الجديد الذي يُسفك من اجل كثيرين. اصنعوا هذا لذكري * وعلى هذه الصورة رسم المسيح سرّ الاوخرستيا جاعلاً ذبيحة جسدهِ ودمهِ الذبيحة المسجود لها مكان الذبائح القديمة * وبقولهِ: اصنعوا هذا لذكري. اعطى رسلهُ وخلفاءهم السلطان ليصنعوا ما صنع هو. اعني ان يحوّلوا ذات الخبز والخمر الى ذات جسدهِ ودمهِ في قربان القدّاس. وان يوزّعوهُ على المؤمنين في ما يسمَّى التناول *

وبينما هم كذلك. انفصل عن يسوع احد الرسل وهو يهوذا الاسخريوطيّ. وانطلق الى اليهود وعرض عليهم ان يبيعهم معلّمهُ يسوع * وخرج المسيح بصحبة تلاميذهِ. وعبروا وادي قدرون. ثمّ ساروا نحو جبل الزيتون. وحينئذٍ قال: انّي ساكون لكم في هذه الليلة سبب عثرة. فانّهُ مكتوب. سوف أَضرب

الراعي فتتبدّد الرعيّة. ولكن بعد ان اقوم اسبقكم الى الجليل * فاجاب الصفا وقال: اذا شكّ فيك سائر الرسل. فانا لا اشكّ ابدًا * قال يسوع: وانا بالحقّ اقول لك: انّك في هذه الليلة نفسها قبل ان يصيح الديك ستنكرني ثلاث مرّات* ولكنّ الصفا وسائر الرسل طفقوا يؤكّدون انّهم مستعدّون ان لا ينكروا معلّمهم البتّة ولو الجأهم ذلك الى الموت *

ولمّا انتهى المسيح الى بستان الزيتون. اوعز الى رسلهِ أن يسهروا ويصلّوا * وابتعد هو قليلاً. واكبّ بوجههِ على الارض قائلاً: يا ابتاه ان كان ممكنًا فلتعبر عنّي هذه الكاس. ولكن لتكن مشيّتك لا مشيّتي * ثمّ وقع في جهاد ونزْع. وجرى من جسدهِ كلّهِ عرَق كقطرات دم على الارض. وجاء ملَكٌ من السماء ليقوّيهُ *

وفي تلك الساعة جاء يهوذا الخائن في جند كثير من رجال مسلّحين بسيوف وعِصِيّ. ارسلهم رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب. وقد اعطاهم يهوذا علامةً قائلاً: انّ الذي اقبّلهُ هو هو. فامسكوهُ * فدنا يهوذا للوقت من يسوع وقال: السلام يا معلّم. وقبّلهُ. فقال لهُ يسوع: يا صاحب لماذا جئت. أَبِقُبلة تسلّم ابن الانسان * ثمّ التفت الى الجند وقال لهم: لمن تطلبون.

قالوا : يسوع الناصريّ : قال لهم : انا هو . ولساعتهم قهقروا وسقطوا على الارض * فسألهم ثانيةً : من تطلبون . فقالوا : يسوع الناصريّ . قال : قد قلتُ لكم . انّي انا هو * وعند ذلك تقدّم الذين كانوا برفقة يهوذا . ورموا ايديهم على يسوع وامسكوهُ * واراد بطرس ان يصدّهم بالقوّة . فاستلّ سيفهُ وقطع أُذُن مَلْخُس عبد الحبر الاعظم . فوبّخهُ يسوع وقال لهُ : ردّ سيفك الى غمدهِ . لانّ الذين يستعملون السيف فبالسيف يُبادون * اتظنُّ انّي لا أَقدر ان اطلب الى ابي فيمدّني بجيوش كثيرة من الملائكة لينشلني من ايدي اعدائي . ولكن كيف تتمّ الكتب التي تقول : انّهُ ينبغي ان يكون هذا * حينئذٍ لمس اذن العبد وأبرأها . وفرّ جميع الرسل هاربين * واكتفى يسوع المسيح بأَن يكلّم الجند والجمع قائلاً : انكم قد خرجتم عليّ كأنّهُ على لصّ بسيف وعصيٍّ . قد كنتُ كلَّ يوم في الهيكل معكم ولم تمدّوا عليّ يدًا : غير انّ هذا كلّهُ قد صار لكي يتمّ المسطور في الانبياء . لانّ هذه هي ساعتكم وساعةُ سلطانِ الظلمة * وذهبوا بيسوع اوّلاً الى حانان الذي كان حما قيافا رئيس الكهنة . فسألهُ حانان عن تلاميذهِ وتعليمهِ . فأجاب قائلاً : انّ تعليمي مشهور . فاسأل الذين كانوا يسمعوني . لانّي لم اتكلّم شيئًا في

الخفاء * فانزعج من هذا الجواب المحقّ شرطيٌّ كان واقفًا. فلطم المسيح على خدّهِ وقال: اهكذا تجاوب رئيس الكهنة * فاحتمل يسوع هذه الاهانة. ومع ذلك شهد للحقّ بعزّة نفسٍ ووقار * وذهبوا بيسوع الى منزل قيافا حيث كان رؤساء الكهنة مجتمعين وشهود الزور الذين كانوا مزمعين ان يشهدوا عليهِ. وكانت جميع شهاداتهم كاذبة متناقضة * فاتى واحد وشهد عليهِ بأنّهُ قال: انّي قادر ان انقض الهيكل وابنيهُ من جديد في ثلاثة ايّام. فلم يجاوب يسوع بشيءٍ * فاحتدّ قيافا غيظًا من سكوتهِ. وسألهُ هو بنفسهِ: انّي استحلفك بالله الحيّ ان تقول لنا. هل انت المسيح ابن الله * فقال يسوع: انت قلت. انّي انا هو. ولكنّي اقول لكم: انّكم سوف تشاهدون يومًا ابن الانسان جالسًا عن يمين عزّة الله وآتيًا على سحاب السماء * فصرخ عظيم الكهنة ممزّقًا ثيابهُ وقال: لقد جدّف. ما حاجتنا بعدُ الى شهود. وصاح الحاضرون ايضًا لقد جدّف. انّهُ مستوجب الموت *

حينئذٍ اخذوا يهينون يسوع. فكان منهم من يتفل في وجههِ. ومنهم من يضربهُ من ورائهِ ويقول باستهزاء: ايّها المسيح تنبّأ مَن الذي ضربك * ثمّ ساقوهُ الى بيلاطس البنطيّ والي

اليهوديّة من قِبَل الروم قاصدين ان يُخرِجوا عليهِ قضاءَ الموت * وكان بطرس قد تبع يسوع من بعيد وجلس في الدار. فسألتهُ جارية: ألستَ انت من تبعة يسوع الناصريّ. فقال بطرس: انّي لستُ اعرفهُ * وكذلك انكر دفعتين أُخريين على مثل هذا السؤَال. وحينئذٍ صاح الديك * فذكر بطرس من ساعتهِ كلام يسوع حيث قال لهُ: انّك قبل ان يصيح الديك تنكرني ثلاث مرّات: فخرج متأسّفًا. وبكى بكاءً مرًّا *

وامّا بيلاطس البنطيّ فلم يكن مشتركًا في حنق اليهود على يسوع المسيح وحسدهم. وحاول ان يخلّصهُ لانّهُ كان يعلم انّهُ بريّ * وكان لهُ عادة ان يطلق لهم اسيرًا في عيد الفصح في كلّ سنة. فعرض عليهم ان يتخيَّروا بين يسوع المسيح ورجل سافك دم منشئ فتنة اسمهُ برَابا. فجعل رؤَساءُ الكهنة والشيوخ يحثّون العامّة على ان يطلبوا اطلاق برابا * فقال لهم بيلاطس: وماذا اصنع بيسوع المدعوّ المسيح * اجابوهُ باجمعهم قائلين: ليُصلَبْ * فشعر بيلاطس حينئذٍ انّ لجاجتهُ تغيظ الشعب وتزيد اضطرابهم وضجيجهم. فالتمس ماءً وغسل يديهِ قدّام الجمهور قائلًا: انّي بريٌّ من دم هذا الزكيّ. فاجاب الشعب قائلين: دمهُ علينا وعلى اولادنا * فأطلق لهم برَابا. وامر على يسوع

بان يُجلَد بالسياط . ثمّ دفعهُ ليُصلَب *

اما ما كان من أَمر يهوذا الخائن. فانهُ اذ رأى معلمهُ مقضيًّا عليهِ بالموت . ذهب الى رؤساء الكهنة ورمى عند اقدامهم الثلاثين من الفضّة التي كان قد اخذها . ثمّ خنق نفسهُ يؤوسًا * فأَخذ رؤساء الكهنة الفضّة وقالوا : لا يجوز لنا ان نضعها في خزانة القدس . لانّها ثمن دم * وبعد ما تشاوروا بينهم . اشتروا حقل الفخّار ليكون مقبرة للغرباء * واذ ذاك صحّت كلمة ارمياء حيث قال : اخذوا الثلاثين الفضّة ثمن المثمَّن الذي ثمّنوهُ عند بني اسرائيل . واشتروا بها حقل الفخّار *

وفي هذه الحالة اخذ جند الوالي يسوع وذهبوا بهِ الى دار الولاية . وعرّوهُ من ثيابهِ . وجلدوهُ بشدّة وقساوة . ووضعوا على ظهرهِ رداءً قرمزيًّا خَلَقًا من ارجوان للهزؤ . وعلى راسهِ اكليلًا من شوك . وفي يدهِ قصبة * وكانوا يجثون قدّامهُ للهزؤ قائلين : السلام عليك يا ملك اليهود . وحمّلوهُ ما شاؤوا من الهوان والسخريّة والتعيير وهو صامت لا يتكلّم *

ثمّ ذهبوا بهِ ليُصلَب * فتوجّه يسوع وهو حامل صليبهُ الى جبل الجلجلة . وكان ذلك الموضع قد جُعل لقتل المجرمين *

وكانت عزائمِ يسوع وقوّتهُ قد خارت وفنيت من العذابات التي كابدها . فكبا على الارض من ثقل الصليب . فسخّروا رجلًا من العامّة اسمهُ سمعان القيروانيّ ليحمل عنهُ الصليب * وساقوا ايضًا معهُ لصّين محكومًا عليهما بالصلب * ولمّا بلغوا بهِ الى الجلجلة . عرّوهُ من ثيابهِ . وسمّروهُ على الصليب بمسامير بعد ما ثقبوا يديهِ ورجليهِ * وجعلوا فوق رأسهِ عنوانًا يدلّ على علّة موتهِ وهو : هذا هو يسوع الناصريّ ملك اليهود * وبعد ما صلبوهُ تقاسموا بثيابهِ بينهم . واقترعوا عليها على ما قال النبيّ : اقتسموا بثيابي بينهم . وعلى لباسي اقترعوا * حينئذٍ دعا يسوع لقاتليهِ قائلًا : يا ابتاه اصفح عنهم . لانّهم لا يدرون ما يصنعون *

وكان الجند ورؤساء الكهنة يهينونهُ مع العامّة قائلين : هذا قد خلّص غيرهُ ولا يقدر أن يخلّص نفسهُ . فان كان هو قادرًا ان ينقض هيكل الله ويبنيهُ في ثلاثة ايام . فلينجِّ نفسهُ الآن . وان كان هو ابن الله . فلينزل عن الصليب ونؤمن بهِ * وواحد من اللصّين المصلوبين معهُ صار ايضًا يجدّف عليهِ بمثل هذا الكلام قائلًا : ان كنت انت المسيح . فخلّص نفسك وايّانا جميعًا * ولكنّ اللصّ الآخر تاب في ذلك الآن .

وتخشّع قلبهُ بندامة خالصة. واقرّ بانّهُ مستوجب للعقاب. والتفت نحو المسيح وقال لهُ: اذكرني اذا ما جئتَ في ملكوتك * اجابهُ يسوع قائلاً: اليوم تكون معي في الفردوس *

وكانت مريم امّ يسوع قد تبعتهُ الى الجلجلة. فوقفت بجذاء الصليب برفقة يوحنّا تلميذهِ الحبيب. فتطلّع يسوع وقال لمريم: يا امرأة هوذا ابنكِ. مشيرًا الى يوحنّا. وقال ليوحنّا: هذه هي امّك. مومئًا اليها * ومن تلك الساعة اخذها ذاك التلميذ الى خاصّتهِ *

ولمّا صار وقت الظهر. اذا بظلمات دامسة تكاثفت في السماء وغشيت الارض كلّها الى ثلاث ساعات. وحينئذٍ قال يسوع: قد انقضى كلّ شيء. واستودع نفسهُ في يدي ابيهِ. وأَمال راسهُ واسلم روحهُ * وصحّ المسيح بموتهِ جميع ما كان مكتوبًا في الانبياء * ثمّ ترادفت آيات جديدة عظيمة: فانّهُ في الحال انشقّ حجاب الهيكل الحجاب الذي كان يحجز عن قُدْس الاقداس. وتزلزلت الارض. وتفتّحت القبور. وقام اموات كثيرون * فلمّا رأى قائد المائة والجند الذين كانوا يحرسون يسوع هذه المعجزات. خافوا جدًّا. وقالوا: هذا الانسان هو ابن الله بالحقيقة *

الفصل الرابع

قيامة المسيح — ظهورهُ لتلاميذهِ — تقليد الرسالة للرسل — صعود المسيح — ارسال روح القدس على التلاميذ — تبشير الرسل وآياتهم — استشهاد القدّيس اسطفانس — اهتداء القدّيس بولس — نجاح بشارة الانجيل

بعد ان اسلم يسوع المسيح روحهُ. تقدَّم واحدٌ من تلاميذهِ وهو يوسف الراميّ الى بيلاطس البنطيّ. والتمس منهُ جسد يسوع ليدفنهُ * فأجابهُ الوالي الى ذلك. فأخذهُ وكان بصحبتهِ نيقوديمس. فحنّطاهُ وكفّناهُ بكفن ابيض. واودعاهُ في قبر جديد * امّا رؤَساء الكهنة والفرّيسيّون فلم يلبثوا ان اتوا الى بيلاطس وقالوا لهُ: يا سيّد. قد ذكرنا انَّ ذلك المُضِلَّ قال عن نفسهِ اذ كان حيًّا: انّني بعد ثلاثة ايّام اقوم. فمر بحراسة القبر الى اليوم الثالث. لئلاَّ يأتي تلاميذهُ ليلاً ويسرقوهُ ويقولوا بين الناس: انَّهُ قام من الاموات * فاذن لهم بيلاطس

ان يتخذوا ما يرون من الحرّاس * فاقاموا حول القبر جنداً يحرسونهُ. وختموا الحجر الذي على ثغرهِ *

وكانت دفنة المسيح في مسآء يوم الجمعة * وفي يوم الاحد عند الفجر حدث زلزلة عظيمة من فجاةٍ. وقام المسيح من القبر بقوّتهِ الذاتية * ونزل ملاك الربّ ساطعاً بالنور. ودحرج الحجر الذي كان على فوهة القبر * فاخذ الحرّاس فزعٌ عظيم. فهربوا الى اورشليم. واخبروا رؤساَء الكهنة بما جرى * فاجتمع اولئك لساعتهم. ورشوا الحرّاس بمبلغ وافر من الفضّة لكي يشيّعوا الخبر بانّ تلاميذ يسوع جآءوا في الليل وسلبوا جسدهُ بينما كانوا هم نائمين * فأخذ الجند الفضّة وفعلوا كما قيل لهم * وفي اثنآء ذلك ادلجت مريم المجدليّة غَلَساً مع نسوةٍ اخر الى القبر ومعهنَّ حنوطٌ وأطياب. وكنّ يقلنَ بعضهنَّ لبعض: مَن يدحرج لنا الحجر عن باب القبر. وتطلّعنّ واذا الحجر مدحرج. ولمّا اقتربنَ من القبر زادت حيرتهنّ اذ لم يجدنَ هناك جسد يسوع * ثمّ انّ بطرس ويوحنّا قصدا هما ايضاً الى القبر. ولم يجدا سوى الاكفان التي كان ملفوفاً بها الجسد * أمّا مريم المجدليّة فمكثت عند القبر تنوح وتبكي على انّهم اخذوا جسد معلّمها السماويّ. واذ التفتت. رات رجلاً

يقول لها : يا مريم . ففرحت فرحًا عظيمًا وترامت عند قدميهِ. لأنّها عرفت انّهُ هو يسوع ✻ وظهر ايضًا المسيح لاثنين من تلاميذهِ عند قرية عماوس . ولنساءٍ قديسات كثيرات . ولرسلهِ الاحد عشر ✻ وفي يوم القيامة نفسهِ لمّا كان التلاميذ مجتمعين في محلّ واحد . دخل يسوع في وسطهم وقال لهم : السلام معكم. كما ارسلني الآب . كذلك انا ارسلكم . قال هذا ونفخ فيهم وقال : خذوا روح القدس : مَن غفرتم لهُ خطاياهُ غُفرت لهُ . ومن امسكتموها عليهِ أُمسكت ✻ وعلى هذه الصورة اخذت الكنيسة سلطان مغفرة الخطايا في سرّ التوبة ✻ امّا توما احد الرسل فلم يكن معهم حين ظهر لهم يسوع . فقال لهُ التلاميذ الآخرون : قد رأينا الربّ . فأجابهم قائلاً : ان لم أُبصِرْ في يديهِ اثر المسامير . واضع يدي في جرح جنبهِ . لا أُومن ✻ وبعد ثمانية ايّام كان التلاميذ مجتمعين في مكان واحد وتوما معهم . فظهر يسوع فجأةً في وسطهم . وقال لهم : السلام معكم ✻ ثمّ التفت الى توما . وقال لهُ : ضع اصبعك في هذه الجروح ويدك في جنبي . ولا تكُنْ غير مومنٍ بل مومنًا . طوبى للّذين آمنوا ولم يروا ✻ وبعد ما اظهر يسوع نفسهُ مرّات كثيرة للتلاميذ في خلال اربعين يومًا واوصاهم الوصايا الاخيرة . صرّح لهم القول انّهُ

بقوّة السلطان المطلق الذي أُعطي في السماء وعلى الارض. يُرسلهم الى العالم ليكرزوا بالانجيل على جميع الامم. وقال: وها انا اكون معكم كلّ الايّام الى انقضاء الدهر. فمن آمن واعتمد خلص. ومن لم يومن يُدان * حينئذٍ عرج الى السماء وهو يبارك تلاميذهُ. واذا بسحابة نيّرة اخفتهُ عن منظرهم * وهكذا انقضت رسالة يسوع المسيح على الارض اي امر خلاص العالم * وجمع تلاميذهُ اخبار اعمالهِ واقوالهِ وتعليمهِ وآلامهِ. واربعة منهم اودعوها في اناجيلهم وهم متّى ومرقس ولوقا ويوحنّا * وهذه الاناجيل هي قسمٌ من العهد الجديد اي كتاب العهد الذي ضربهُ الله جديدًا مع البشر بواسطة يسوع المسيح *

وامّا التلاميذ فبعد صعود المسيح المجيد اعتزلوا في بيت في اورشليم. ومكثوا هناك عشرة ايّام في صلوات متّصلة. وكان لهم اذ ذاك خمسون يومًا منذ عيد الفصح. واذا حفيفُ ريح عاصفٍ جاء من السماء فملأ البيت الذي فيهِ التلاميذ * ونظروا واذا شبه السنةٍ من نار منحدرة على راس كلّ منهم. ومن ساعتهم امتلأُوا بأجمعهم من روح القدس. وطفقوا يتكلّمون بلغات مختلفة * ولمّا شاع هذا الخبر. صار اليهود في حيرة عظيمة من جرى هذه المعجزة الجديدة. واشتبه عليهم امر

السماكين المساكين المعروفين بالجليليين * وفي اوّل الامر تقوّلوا عليهم بانّهم سكارى * حينئذٍ رفع بطرس المغبوط صوتهُ وشرع يخاطبهم ليرفع عنهم ذلك الوهم. ويبشّرهم علانيةً بقيامة. يسوع الناصريّ. ويحرّضهم على اخذ المعموديّة ليفوزوا بمغفرة خطاياهم * وكان كلامهُ بليغًا مقنعًا. حتّى انهُ هدى من ساعتهِ الى ايمان المسيح نحو ثلاثة آلاف نَسَمة * ومن بعد ذلك صعد بطرس ويوحنّا الى الهيكل للصلوة. فأبصرا عند الباب رجلاً اعرج من بطن امهِ يسألهما الصدقة. فقال لهُ بطرس: ليس لي فضّة ولا ذهب. ولكن اعطيك ما عندي: باسم يسوع المسيح قم وامشِ. وفي الحال انتصب واقفًا. وصار يمشي. وتشدّدت رجلاهُ وكعباهُ. وتمسّك ببطرس في الهيكل وهو يسبّح الله ويباركهُ * فهذا الشفاء العجيب صار باعثًا لموعظة ثانية فيها زعيم الرسل وبّخ اليهود على قتلهم يسوع المسيح. وحثّهم على التوبة * واهتدى في ذلك اليوم خمسة آلاف نسمة * فلمّا رأى الكهنة ورئيس حرّاس الهيكل ذلك. اغتاظوا والقوا الرسولَين في السجن * وفي الغد اوقفوهما في وسط مجلسهما الكبير. ونهوهما عن ان يكرزا فيما بعد باسم يسوع المسيح * فقالا: إن كان حقًّا امام الله ان نسمع لكم اكثر مما لله. فاحكموا انتم. لاننا نحن

لا يمكننا ان لا نتكلّم بما رأينا وسمعنا * فهدّدوهما ايضًا واطلقوهما * غير انّ هذه التوعّدات والتخويفات لم يمكنها ان تمنع الكنيسة المنتشئة من الإقبال والنجاح. فانّ التلاميذ بأجمعهم كانوا على قلب واحد وروح واحدة متّفقين بالغيرة والحميّة لاجل الانتصار على الاهوال المعارضة لهم * وصار الموسرون والاغنياء منهم يبيعون اراضيهم واملاكهم. ويوزّعون أَثمانها على المحتاجين * وفي غضون ذلك كان الرسل يكثرون الآيات باسم يسوع المسيح. وكان عدد المومنين بالربّ يزداد يومًا فيومًا * وكان اهل اورشليم وسكّان المدن المجاورة يأتون بمرضاهم الى الشوارع. حتّى يكون اذا مرّ بها بطرس المغبوط. خيّم ولو بظلّهِ على بعضهم فيتعافون من عِلَلهم * فلمّا رأى ذلك رئيس الكهنة وسائر أَتباعهِ والزنادقة. استشاطوا غضبًا وسعوا ليلقوا الرسل في سجن العامّة * الّا انّ ملاكًا من عند الربّ اقبل في آناء الليل وفكّهم. وامرهم ان يذهبوا الى الهيكل ويكرزوا بتعليم يسوع المسيح بلا خوف * وفي الغد التمسوهم في السجن ليحضروهم في المجمع. فلم يجدوهم * ولمّا بلغ روساء الكهنة انّ الرسل في الهيكل يعلّمون الناس. ارسلوا عليهم رجالًا فأَمسكوهم واحضروهم. فسأَلهم رئيس الكهنة: الم نُوصِكُم وصيّةً ان لا تعلّموا باسم يسوع

المسيح . فكيف لا تزالون تملأون اورشليم من مناداتكم هذه . وتريدون ان تجلبوا علينا دم هذا الانسان * فأجاب بطرس والرسل قائلين : انهُ ينبغي ان يطاع الله اكثر من الناس . لانّ الاه آبائنا اقام يسوع الذي انتم قتلتموهُ وعلّقتموهُ على الصليب * فجلدهم الرؤساء بالسياط . ونهوهم عن ان يتكلّموا ايضاً باسم يسوع المسيح * فخرجوا من المجمع فرحين جدًّا . لانهم استأهلوا ان يهانوا من اجل اسم يسوع المسيح . ولم يزالوا كلّ يوم في الهيكل وفي البيوت يعلّمون ويبشّرون بالانجيل *

وكانت البيعة مع كلّ ما يصيبها من الضنك والضيق تزداد انتشارًا يوماً عن يوم * وفي ذلك الزمان مات القدّيس اسطفانس الشمّاس شهيدًا رجمةُ اليهود . وصار اوّل المقتولين في سبب يسوع المسيح * وسار فيلبّس الرسول الى السامرة وبشّر سكّانها بالايمان *

وكان بولس (الذي كان اسمهُ اوّلاً شاول) من المضطهدين لتلاميذ المسيح . فاصبح بآية باهرة نذيرًا بايمانهِ * وذلك انّهُ اذ كان يسير يوماً الى مدينة دمشق وهو يتقّد حنقاً ونقمةً على تلاميذ الناصريّ . اذا بنورٍ سماويّ احدق بهِ . فسقط على الارض مرتعباً . وسمع صوتاً يقول لهُ : شاول شاول لِمَ تضطهدني *

فقال: مَن انتَ يا ربّ. قال لهُ الربّ: انا هو يسوع الذي تضطهدهُ * فارتعب وتحيّر وقال: يا ربّ وماذا تريد ان افعل. قال لهُ الربّ: قم وادخل المدينة. فيقال لك ما ينبغي ان تفعل * فنهض شاول وعيناهُ مفتوحتان لا يبصر بهما. فاقتادهُ رفقاؤهُ بيدهِ الى دمشق. وحينئذٍ اوحى الله الى تلميذٍ اسمهُ حانيا. فاقبل بامرهِ تعالى الى البيت الذي كان شاول نازلاً فيهِ. ووضع يديهِ عليهِ. وفي الحال ابصر شاول وتعمَّد. وشرع يكرز في المجامع بيسوع المسيح ابن الله * وهكذا كانت كلمة الانجيل تنتشر * وكما سار بطرس الرسول زعيم الحواريّين الى روميّة ليقاتل عبادة الاصنام في تلك المدينة التي كانت مركز الوثنيّة. تفرّق بقيّة الرسل الى الامصار المختلفة من المملكة الروميّة وما سواها ايضاً من البلاد. وهم يقضون رسالتهم ويدعون الناس الى دين المسيح * ومن جملتهم توما الرسول سار الى البلاد الشرقيّة التي كانت تحت حكم الفرس. ووصل الى بلاد الهند. وأَندراوس الى بلاد السقوثيّين وثراقية وهي بلاد شماليّة باردة. ومتّى وبرثلي الى اليَمن وفارس وارمنية * فشوهد هؤلاءِ الأَبطال الضعفاء يجاهدون جهادًا قويًا. حتّى انّهم نصروا الحقّ ونالوا لهُ الظفر. مع كونهم معدومين من كلّ

عون بشريّ وكلّ جاه وكلّ غنى وكلّ سطوةٍ. ومتعرّضين للاهوال التي كانت تقوم عليهم من شهوات الوثنيّة. وغباوة الجاهليّة. وحقد الكهنة والأيمّة. وصلف روميّة السافكة الدمآء*

وناهيك انّ السرعة العجيبة التي بها انتشرت وتملّكت النصرانيّة في العالم هي من اسطع البيّنات واجلى البراهين على أنّها ديانة الاهيّة سماويّة *

تمّ الكتاب

جدول تاريخيّ

في مُعظَم خطوب الاخبار المقدّسة

سنة ق م	
٤٠٠٤	خلق العالم وآدم [1] *
٣٨٧٢	قتل هابيل *
٣٠٧٤	وفاة آدم *
٣٠١٧	وفاة شيت *
٢٩٤٨	ولادة نوح *
٢٣٤٨	الطوفان العامّ *
٢٢٤٧	برج بابل *
٢٢٤٧	تفرّق اولاد نوح *
١٩٩٦	ولادة ابراهيم *
١٩٢١	دعوة ابراهيم *

(١) اعلم انّه من العلماء المحقّقين مَنْ يجعل خلق العالم سنة ٢٩٢٦ ق م وعلى ذلك تُقاس سائر الحوادث . وهذا الاختلاف حاصل من الاختلاف الكائن في النسخات والترجمات المتعدّدة للتوراة نظرًا الى ارقام سني الآباء الاوّلين (للمستخرج) *

سنة ق م	
١٨٩٦	ولادة اسحٰق *
١٨٣٦	ولادة يعقوب *
١٧٢٨	بيع اخوة يوسف ايّاهُ *
١٧٠٦	يعقوب في مصر *
١٥٧١	ولادة موسى *
١٤٩١	الخروج من مصر *
١٤٩١	انزال الله سنّتهُ على موسى *
١٤٥١	عبور الاردنّ على يد يشوع *
١٤٥١	دخول بني اسرائيل في ارض الميعاد *
١٢٤٥	قضآء جدعون *
١١٨٨	قضآء يفتاح *
١١٣٥	قضآء شمشون *
١١١٦	قضآء سموئيل *
١٠٩٥	مُلك شاول اوّلاً *
١٠٥٥	ملك داود *
١٠١٥	ملك سليمان *
١٠٠٣	تقديس سليمان الهيكل *

سنة ق م

٥٧٩ وفاة سليمان *

٩٨٠ تفرُّق الاسباط العشرة *

* ملوك اسرائيل *

٩٨٠ يوربعام *

٩٥٩ ناداب *

٩٥٨ بعشا *

٩٣٥ آلا *

٩٣٥ زمري *

٩٣٤ عمري *

٩٢٣ اخاب *

٩٠١ اخزيا *

٩٠٠ يورام

٨٨٩ ياهو *

٨٥٨ يواش *

٨٢١ يوربعام الثاني *

٧٢٩ زكريا *

٧٢٨ شلوم *

سنة ق م

٧٦٤ مناحيم *

٧٥٧ فقحيّا *

٧٥٥ فقح *

٧٢٧ هوشع *

٧٢٧ افتتاح السامرة على يد شلمانسر وانقراض دولة
اسرائيل *

* ملوك يهوذا *

٩٨٠ رحبعام *

٩٦٣ ابيّا *

٩٦٠ اسا *

٩١٩ يهوشافاط *

٨٩٦ يهورام *

٨٩٠ اخزيا *

٨٨٩ عثليا *

٨٨٣ يواش *

٨٤٥ امصياء *

٨٠٦ عوزيّا *

سنة ق م	
٧٥٤	يوثام *
٧٣٩	احاز *
٧٢٤	حزقيا *
٦٩٩	منسّى *
٦٣٤	عمّون *
٦٤٢	يوشيّا *
٦١٠	يوأحاز *
٦٠٨	يوياقيم *
٦٠٨	جلآء بابل ونبوّة دانيال *
٥٩٨	يوخنيا *
٥٩٨	صدقيا *
٥٨٧	افتتاح اورشليم وانقراض دولة يهوذا *
٥٣٦	منشور كورش وانقضآء جلآء بابل *
٥٣٦	زربّابيل *
٥١٦	تكريس الهيكل الثاني *
٤٤٢	نحميا ومرمّة اسوار اورشليم *
٣٣٢	افتتاح الاسكندر ذي القرنين اورشليم *

ܒܝܬ ܐܪ̈ܟܐ ܕܒܝܬ ܡܪܕܘܬܐ
Biblical Studies: General
Beth Mardutho Library

$20